دار الشروق

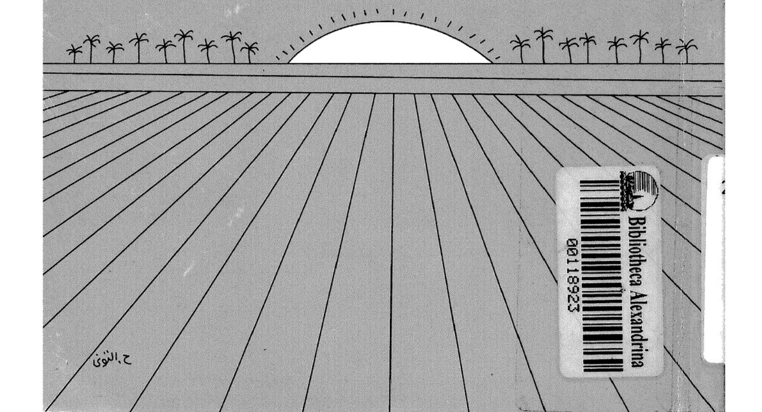
النبوءة والسياسة

تأليف

جريس هالسل

ترجمة

محمد السماك



النبوءة والسياسة

الإنجيليون العسكريون فى الطريق الى الحرب النووية

الطبعة الرابعة
طبعة دار الشروق الأولى
١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما ـ تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

النبوءة والسياسة

الإنجيليون العسكريون في الطريق الى الحرب النووية

تأليف

جريس هالسل

ترجمة

محمد السماك

دار الشروق

مقدمــــة جــديـدة

بعض الاعتقادات تدوم ولكن ذلك لا يعنى أنها صحيحة.

وبعض القواعد تتجذر ولكن ذلك لا يعنى أنها عادلة .

وبعض التقاليد تتأصل ولكن ذلك لا يعنى أنها ضرورية.

ثمة اعتقادات وقواعد وتقاليد تستمد ديمومتها من قدرتها على الاستمرار وليس من صحتها أو من عدالتها أو من ضروريتها.

إن الأفكار أشبه ما تكون بالفيروسات ، فهى تعيش وتنتشر عندما تجد استعداداً لتقبلها . وهى تموت وتندثر عندما تواجه مناعة ترفضها وتقطع تواصلها.

وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمعات . فالأفكار - بصرف النظر عن مضمونها - تتسرب إلى العقول وتتغلغل فى النفوس عندما تُطرح فى مجتمع ضعيف المناعة أو فاقد لها وغير محصّن ذاتيًا ضد ما تحمله من قيم ومبادئ.

من هنا خطورة الأفكار التى تطرحها الحركة الصهيونية المسيحية فى الولايات المتحدة الأميركية. ومن هنا أهمية هذا الكتاب الذى يعرض للمنطلقات الفكرية لهذا الحركة ، وللمنظمات الدينية التى تعمل تحت ظلال كنسية للترويج لأفكارها. وتكوّن بالتالى ضميراً دينيًا جماعيًا بوجوب دعم إسرائيل تحقيقًا لنبوءات مستخرجة من التوراة بما يتوافق مع الأهداف الستراتيجية لإسرائيل فى فلسطين وفى الوطن العربى . . ولذلك يفسر الكاتب التوراتى الأميركى هال ليندسى تاريخ الشرق الأوسط والعالم كله فى كتابه «الكرة الأرضية العظيمة السابقة» بقوله : «إن دولة إسرائيل هى الخط التاريخى لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل».

ويقول ليندسى فى كتابه أيضاً : «قبل أن يصبح اليهود أمة لم يُكشف عن شىء، أما الآن وقد حدث ذلك فقد بدأ العدّ العكسى لحدوث المؤشرات التى تتعلق بجميع أنواع النبوءات . واستناداً إلى النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز على الشرق الأوسط وخاصة على إسرائيل فى الأيام الأخيرة. إن كل الأمم سوف

تضطرب وسوف تصبح متورطة بما يجرى هناك. إن باستطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور فى هذا الوقت ويأخذ مكانه الصحيح فى مجرى النبوءات تمامًا كما تأخذ الأحداث اليومية مواقعها فى الصحف اليومية».

وفى كتاب آخر له عنوانه «العالم الجديد القادم» يقول ليندسى : «فكروا فى ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جندى من الشرق مع ملايين أخرى من قوات الغرب يقودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثة (أوروبة الغربية)».

«إن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا مدينته القدس. ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى ماجيدو أو هرمجيدون . فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل من القدس. . وهذا الوادى سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء».

ويكتب ليندسى كذلك «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق ! إن العقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللا إنسانية من الإنسان للإنسان ، ومع ذلك فإن الله يمكّن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم » .

ويضيف ليندسى فى كتابه : «عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ، بحيث يكون كل شخص تقريبًا قد قُتل ، تحين ساعة اللحظة العظيمة ، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل . وفى هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية».

ويحسم ليندسى هذا السيناريو لنهاية التاريخ بقوله : « سيبقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة هرمجيدون . . وسينحنى كل واحد منهم ، الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح. وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدءون التبشير ببشارة المسيح ».

وينقل كاتب توراتى أميركى آخر هو جيرى فولويل عن إصحاح زكريا ١١/١٢ و١٦/١٦ وعن إصحاح إسحاق ٣٦/٣٥ و ٣٥ : «إن ساحة معركة هرمجيدون سوف تمتد من « - سهل - » مجيدو فى الشمال إلى ايدوم فى الجنوب ، مسافة حوالى ٢٠٠ ميل. وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط فى الغرب وإلى تلال موهاب فى الشرق ، مسافة ١٠٠ ميل تقريبًا . إن سهول جزريل والنقطة المركزية للمنطقة كلها ستكونان مدينة القدس . استنادًا إلى زكريا ١٤ الآيتان ١ و ٢».

ففى عام ١٩٨٥ أجرى المعهد المسيحى فى واشنطن (وهو معهد متخصص فى الدراسات الدينية عن الإسلام والمسيحية واليهودية) دراسة بقيادة القس اندرو لانغ حول إيمان الرئيس ريغان بنظرية هرمجيدون جاء فى الدراسة: « إن إمكانية إيمان رئيس الولايات المتحدة بأن الله قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام مثيرة : هل يؤمن بجدوى مباحثات التسلح رئيس يعتنق هذا النظام الدينى؟ وخلال أى أزمة نووية هل سيكون متروياً وعاقلاً؟ أو إنه سيكون متهافتاً للضغط على الزر ، وهو يشعر فى قرارة نفسه أنه يساعد الله فى مخططاته التوراتية المقررة مسبقاً لنهاية الزمن؟».

لقد ساعد لانغ فى إعداد هذه الدراسة عن ريغان وهرمجيدون لارى جونز وهو كاتب من نيويورك ومتخرج من جامعة كولومبيا . ويقول لانغ إن المؤمن بنظرية هرمجيدون هو أصولى يقرأ الكتاب المقدس كما يقرأ قاموساً ليتنبأ بالمستقبل.

إن رجالاً أمثال جيرى فولويل وهول لندسى وبات روبرتسون وغيرهم من قادة اليمين المسيحى الجديد، يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية والانهيار الاقتصادى والفوضى الاجتماعية.

«إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية، كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح فى الكتاب المقدس . وقبل السنوات الأخيرة من التاريخ ، فان المسيحيين المخلصين سوف يرفعون مادياً من فوق الأرض ويجتمعون بالمسيح فى الفضاء . ومن هناك سوف يراقبون بسلام الحروب النووية والمشاكل الاقتصادية. وفي نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون ثانية مع المسيح كقائد عسكرى لخوض معركة هرمجيدون ، ولتدمير أعداء الله، ومن ثم ليحكموا الأرض لمدة ألف سنة».

الرئيس الأميركى الأسبق رونالد ريغان يقول : «إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل هرمجيدون قد تحققت ، ففى الفصل ٣٨ من حزقيال أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة . لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفى سنة ، ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار معركة هرمجيدون والعودة الثانية للمسيح.

تولى ريغان قبل أن يصل إلى البيت الأبيض مرتين منصب حاكم ولاية كاليفورنيا، وهى الولاية الأميركية التى تكثر فيها الحركات الدينية المتطرفة من نوع

حركة «بوابة السماء» التى ارتكب أتباعها جريمة الانتحار الجماعى فى شهر إبريل - نيسان ١٩٩٧ . ومن هذه الحركات أيضًا الكنيسة العلمية SCientology التى أصبحت من اكبر الكنائس فى أميركا ، وكنيسة «المسيح الدولية» التى تأسست فى عام ١٩٧٩ فى لوس انجيلوس بقيادة الأسقف كيب ماك كين . وفى إحصاء أميركى أن ثمة ٢٠٠٠ حركة دينية من هذا النوع فى الولايات المتحدة تحتمى بالمادة الأولى من الدستور الأميركى الذى يضمن الحريات الدينية ويحجب حتى عن العائلة حقّ التدخل لمنع أبنائها من الانضمام إلى أى حركة دينية يختاورنها.

ولقد وصلت هذه الحركات إلى آسيا ، وخاصة إلى كوريا الجنوبية كما وصلت إلى أوروبة ، وبلغ عددها فى بريطانيا وحدها ١٦٠٠ مجموعة . وكان من مظاهرها مأساة معبد الشمس فى عام ١٩٩٤ حيث انتحر ٤٥ شخصًا فى وقت واحد فى كل من سويسرا وكندا . ومأساة غرونوبل فى فرنسا حيث انتحر ١٦ فرنسيا من أتباع هذه الحركة . ولذلك وقفت ألمانيا ضد «الكنيسة العلمية» رغم أنها تمكنت من استقطاب أكثر من ٣٠ ألف شخص حتى عام ١٩٩٧ ، ووقفت بريطانيا ضد «الكنيسة الموحدة » التى استقطبت ٢٥٠٠ مؤمن بها ؛ وشكلت فرنسا فريقًا من ٦٥٠٠ شخص يعملون فى ١٣٠٠ مركز لتوعية الشباب على مخاطر هذه الحركات الدينية.

إن المسافة بين حرية الاعتقاد وحماية أمن المجتمع بدأت تضيق . والمسافة بين الحرية الدينية والحقوق الإنسانية بدأت تتقلص بعد سنوات من «الانفلات» والتفلّت. وتكشف هذه الحركات الدينية أن الولايات المتحدة تمثل الينبوع الأساسى للحركات الأصولية الدينية بما تتسم به من تطرف وعنف وإلغاء للآخر وإن لهذه الحركات تأثيراً مباشراً وفعالا على صناعة القرار السياسى الأميركى المتعلّق تحديداً بالشرق الأوسط.

فعندما زار الرئيس الأميركى الأسبق جيمى كارتر إسرائيل فى آذار مارس - ١٩٧٩ ألقى خطابا أمام الكنيست (وكان يعمل على إقرار معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل) قال فيه : «جسّد من سبق من الرؤساء الأميركيين الإيمانَ بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هى أكثر من علاقات خاصة. إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة فى ضمير الشعب الأميركى نفسه ، وفى أخلاقه وفى دينه وفى معتقداته، لقد أقام كلا من إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية ، مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة».

ويعكس الموقف الذى اتخذه يوم الثلاثاء ٢٤ تشرين أول - اكتوبر ١٩٩٥ الكونغرس الأميركى بمجلسيه الشيوخ والنواب ، باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل وبنقل مقرّ السفارة الأميركية إليها من تل ابيب ، مدى قدرة هذه الحركة الدينية الأصولية على التأثير فى صناعة هذه القرار . لقد وضع السيناتور بوب دول المشروع بهدف كسب تأييد الأصولية الإنجيلية فى معركة انتخابات الرئاسة الأميركية التى كان يخوضها ضد الرئيس بيل كلنتون . ورغم أن ثمانية من قادة الكنائس الأميركية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية المشيخية وقّعوا فى آذار - مارس ١٩٩٥ على بيان يعارض نقل السفارة الأميركية إلى القدس ، ورغم أن الرئيس كلنتون نفسه أعلن أنه لا يجد فى توقيت القرار ، على الأقل ، أى خدمة للمصالح الأميركية الستراتيجية أو لمساعى التسوية السياسية فى الشرق الأوسط التى تقوم بها إدارته ، فإن الإثارة الدينية تكاملت مع المعركة الداخلية حول انتخابات الرئاسة لولادة أخطر قرار يلقى بقفازات التحدى فى وجه العالمين الإسلامى والمسيحى معًا. وقد عاد مجلس النواب الأميركى وأكد قراره فى شهر حزيران - يونيو ١٩٩٧ من خلال الدعوة إلى نقل مقرّ السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس ورصد الاعتماد المالى اللازم لذلك.

من خلال ذلك يتبين بوضح أن الأصولية الإنجيلية المتصهينة لا تقتصر على مجرد تقديم تفسيرات معينة لمفاهيم دينية محددة ، ولكنها تحاول أن تصنع المستقبل وفقًا لهذه التفسيرات وعلى قاعدتها. ومن خلال الموقع الممتاز الذى تتبوؤه فى مصنع القرار الأميركى (والذى يتحكم فى مصائر العالم ومقدراته) لم يعد يجوز ، ولم يكن جائزاً فى الأساس ، تجاهل دورها وتأثيرها ونفوذها . فقرار الكونغرس بمجلسيه الشيوخ والنوب بشأن القدس لم تمله مصالح أميركية . وهو لا يقع فى إطار حركة السياسة الأميركية فى الشرق الأوسط ، ولكن أملته معتقدات دينية أصولية . وبات على السياسة الأميركية أن تتكيف معه وأن تعيد النظر فى سلوكها وفقًا لمقتضيات الالتزام به كمعطى إلهى مقدّس.

من هنا كانت ضرورة إعادة طبع هذه الكتاب حتى يصل إلى كل عقل وإلى كل ضمير وإلى أصحاب القرار فى وطننا العربى الكبير.

محمد السماك

مقدمة الطبعة الثالثة

يمثل العالم العربى موقعًا متميزًا وفريدًا من نوعه فى عملية اتخاذ القرار السياسى الأميركى. فبالإضافة إلى أهمية موقعه الجغرافى ، وسوقه التجارية الاستهلاكية ، وإنتاجه من النفط، فإن ثمة عاملاً آخر يتقدم على هذه العوامل كلها. هذا العامل هو تأثير الفكر الدينى المسيحى- الإنجيلى على صياغة القرار الأميركى من الصراع العربى- الإسرائيلى.

من المعروف أن الصهيونية - اليهودية سبقت الصهيونية المسيحية (الإنجيلية) بحوالى أربعمائة سنة:

إن الإيمان بعودة السيد المسيح، وبأن هذه العودة «مشروطة» بقيام دولة صهيون، وبالتالى بتجميع اليهود فى أرض فلسطين، لعب فى الماضى، ويلعب اليوم، دوراً ساسيًا فى صناعة قرار قيام إسرائيل وتهجير اليهود إليها، ومن ثم دعمها ومساعدتها. كذلك ، فإن الإيمان بأن اليهود هم شعب الله المختار، لعب فى الماضى ويلعب اليوم، دورًا أساسيًا فى إعفائهم من القوانين والمواثيق الدولية، ذلك لأن منطق الصهيونية اليهودية - والصهيونية المسيحية معًا يقول ، إن شريعة الله هى التى يجب أن تطبق على شعب الله، وإن شريعة الله تقول بمنح اليهود الأرض المقدسة فى عهد مقطوع لإبراهيم ولذريته حتى قيام الساعة. وبالتالى ، فإنه حيث تتعارض القوانين الإنسانية الوضعية مع شريعة الله ، فإن شريعة الله وحدها هى التى يجب أن تطبق على اليهود فى فلسطين.

كذلك، فإن الإيمان بأنه لا بد من محرقة نووية (هرمجدون) تحضّر لعودة المسيح، وأنه لا بد أن يذوب فى هذه المحرقة كل أولئك الذين ينكرون المسيح من الملحدين الشيوعيين، ومن المسيحيين العلمانيين، ومن المسيحيين غير الإنجيليين، ومن المسلمين، ومن معظم اليهود، إن هذا الإيمان يقف وراء قرار ضرورة إضعاف العرب، وضرورة تعزيز الترسانة العسكرية لإسرائيل ، ووراء حتمية الاستجابة إلى جميع مطالبها بالدعم المالى والسياسى والعسكرى.

لقد قامت فى بريطانيا أولا، ثم فى الولايات المتحدة ، حركات دينية مسيحية إنجيلية انطلاقًا من هذه المعتقدات. ولعل أهم وأقوى هذه الحركات اليوم هى الحركة «التدبيرية» ، وهى الكلمة التى وجدت أنها أقرب ما تكون إلى معنى اسم الحركة باللغة الإنكليزية وهو Dispensationalism .

هذه الحركة تؤمن بأن الله هو مدبّر كل شىء . وأن فى الكتاب المقدّس وخاصة فى سفر حزقيال، وسفر الرؤيا وسفر يوحنا. . نبوءات واضحة حول الوصايا التى يحدد الله فى تحقيقه كيفية تدبير شؤون الكون ونهايته:

عودة اليهود إلى فلسطين. قيام إسرائيل. هجوم أعداء الله على إسرائيل. وقوع محرقة هرمجدون النووية. انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين . ظهور المسيح المخلص، مبادرة من بقى من اليهود إلى الإيمان بالمسيح . انتشار السلام فى مملكة المسيح مدة ألف عام.

وعندما تضم هذه الحركة أكثر من أربعين مليون أميركى.

وعندما يكون من بين أعضائها الرئيس الأميركى الأسبق رونالد ريغان،

وعندما تسيطر الحركة على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأميركية وبصورة خاصة المتلفزة، وعندما يشارك قادتها، كبار المسئولين الأميركيين فى البيت الأبيض، والبنتاغون، ووزارة الخارجية، فى صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية من الصراع العربى - الصهيونى.

عند ذلك تصبح دراسة هذه الحركة (التى تتوسع باستمرار والتى تستقطب حركات دينية أخرى داخل وخارج الولايات المتحدة) ضرورة وواجبًا.

إن أهمية هذا الكتاب، أن كاتبته السيدة غريس هالسل هى من بيت مسيحى إنجيلى معروف فى الولايات المتحدة. وقد تعرفت على الحركة التدبيرية عن قرب. حاورت قادتها وفلاسفتها . زارت فلسطين المحتلة عدة مرات ضمن جولات دينية ومؤسسات، كنائس ، تتفانى فى العمل من أجل مصلحة إسرائيل ، لا حبًّا باليهود بالضرورة، ولكن للمساعدة على تحقيق النبوءات التوراتية التى تمهد لعودة المسيح.

وتبين هذه الدراسة أيضًا كيف تعمل هذه المؤسسات والشخصيات داخل الولايات المتحدة . كيف تجمع الأموال. وكيف تثير الرأى العام. وكيف تدافع عن مصالح إسرائيل. وكيف تنسّق مع الحكومة الإسرائيلية.

وتبيّن هذه الدراسة كذلك، أن هناك كنائس مسيحية كاثوليكية فى الدرجة الأولى وحتى كنائس إنجيلية، مثل الكنيسة المشيخية (بالإضافة إلى الكنائس الشرقية الأرثوذكسية) تنبذ هذه الأفكار وتعتبرها دخيلة على المسيحية ومقوّضة لأركانها الإيمانية.

إن أهمية هذا الكتاب تكمن فى أنه يعطى صورة واضحة عن كيفية عمل هذه الحركة الدينية. ويقدم خريطة مفصلة لمواقع نفوذها. كما أنه يلقى أضواء على الصراع بين هذه الحركة والكنائس المسيحية الأخرى التى تتخذ مواقف مناقضة إلى حدّ كبير.

وبسبب هذا الأهمية كان لا بد من ترجمته حتى يقف كل من هو فى موقع المسئولية المباشرة أو غير المباشرة فى العالم العربى ، أمام الحقائق الموضوعية الثابتة التى يتضمنها.

إن الكتاب يمكن أن يشكل مصباحًا فى طريق العاملين من أجل تطويق خطر هذه الحركة الدينية ليس فقط على السلام فى العالم العربى ، إنما على السلام فى العالم كله.

محمّد السمّاك

المقـــدمة

ولدت فى مدينة «ليبوك» من أب وأمٍّ مسـيحّيين. تربّيت وترعرعت على الإيمان بالدّيانة المسيحيّة . إننا نؤمن كمسيحيّين أنّ تاريخ الإنسانيّة سوف ينتـهى بمعركة تدعى «هَرْمَجَدُّون»، وأنّ هذه المعـركة سوف تتوّج بعودة المسـيح ، الذى سيحكمُ بعودته على جميع الأحياء والأموات على حدٍّ سواء.

بصورة عـامّة يؤمن المسيـحيّون فى مـدينتى أيضًا بأنّ عـمر الكون هو ٦ آلاف سنة، وأنّ مريم أمّ عـيسى كانت عذراء، وأنّ الـيهود هم شعب الله المخـتار، وأنّ الله أعطى الأرض المقدّسة إلى شعبه المختار اليهود.

ولأنّ اليهـود هم شعـبه المخـتار فإنّ الـله يبارك الذين يبـاركون اليهـود ويلعن لاعنيهم.

كنّا ندرس فى - أيام الآحاد - فى المدرسة كتابًا يتضمن صوراً ملوّنة عن مناطق بعيـدة وعن رجالٍ ملثمين يلبسـون قفاطين فضـفاضة. وكنت أستـمع إلى قصص العهد القديم حولَ استيطان «العبرانيّين» فى فلسطين.

ومنذ عهد مـبكّر تملّكتنى الرغبة بأن أقيم فى فلسطين أيـضًا. وعندما كنت فى التاسعة عشرةً من عمرى غـادرت مدينة «ليبوك» وتركت عائلتى واطمئنانى وعشت سنوات معتمدةً على دخلى من عـملى ككاتبة. وعشت لسنوات فى أوروبا وكوريا واليـابان وأميـركا الجنوبيـة . كذلك ذهبـت إلى فيـتنام كمـراسلة. وهناك رأيت المستـشفيات تغضّ بالنســاء والأطفال الذين فقـدوا أذرعهم أو سيقـانهم من جراء القنابل الأميركيّة ألقتها عليهم الطائرات الأميريكية. كان كثير من الضحايا يشيرون إلى السماء ويقولون: النيران، النيران الأميركيّة!

ولقد تساءلت ، باستغراب ، لماذا نقتل الفيتناميّين؟

تركت فيـتنام وعدت إلى الولايـات المتحدة وأقـمت فى مدينة واشنطـن حيث عملت مراسلة لتغطية الحملة الانتخابيّة لـ «لندون جونسون». اختارنى يومًا الرئيس جونسون شخصيًا للعمل معه ككاتبة فى البيت الأبيض.

لقد واصل جونسون تصعيد الحرب وأرسل المزيد من الجنود الأميركيين ليَقتلوا وليُقتَلوا وغالبًا ما رأيته يتألمّ من القتل وكان يقول : «كنت أستيقظ كلّ الليل وأجد نفسي مُحاصرًا . كانَ أسير اعتقاده أنّ الرجال الأقوياء يكسبون المعارك.

لقد كنت أتساءل باستمرار: لماذا لا ننظر إلى الفيتناميين كشعب؟ متى يمكنني أن أقول للرئيس جونسون ولغيره: إن الفيتناميين حقيقيّون كبشر مثلي ومثلك ؟ ثمّ ساءلت نفسي : هل هناك جماعات أخرى من الشعوب التي لا نراها أيضًا ؟

إنني كمسيحية بيضاء ترعرعت في «تكساس» ، لم أر أبدًا شعبًا أسود ، فهل كان عدم رؤيتي له هو نتيجة العنصريّة في داخلي؟ من أجل أن أكتشف السؤال تركت عملي في البيت الأبيض ، وبعد «تسويد» بشرتي عشت كامرأة سوداء وسجّلت انطباعاتي وتجاربي في كتاب.

وبعد ذلك «عشت حياة سيّدة هنديّة كانت تعيش في مخيّم «نافاجو» في «مكسيكو الجديدة» و«أريزونا» ثمّ كتبت تجربة سيّدة مكسيكيّة تجتاز الحدود «الأميريكية المكسيكيّة» بدون وثائق رسميّة.

وبالتأكيد توّجهت إلى «الشرق الأوسط» ولكن قبل أن أصل إلى هناك لم أدرس ثقافة المنطقة وتاريخها دراسة كاملة. غير أنّ معرفتي بالشرق الأوسط تنطلق بشكلٍ أساسيٍّ من الكتاب المقدس ، وفي هذا الشأن فإنني أشكل نموذجا للعديد من الأميركيين.

في عام ١٩٧٩ قابلت في فلسطين المحتّلة لأوّل مرّة في حياتي أحد الفلسطينيين. لقد أخبرني كيف أنّه أجبر، من خلال التهديد بالبندقيّة ، على مغادرة الأرض التي زرعها أجداده وأجداد أجداده.

أقمت في إحدى المستوطنات اليهوديّة غير الشرعيّة في الضفّة الغربيّة وتدعى «تاكوا» ونزلت لفترة في منزل «ليندا وبوبي براون» وهما من الجيل الأميركي الثالث قد أخبراني أنهّما استعملا المسدّسات وبنادق «أوزي» لمصادرة الأرض من الفلاحين الفلسطينيين . وقال لي «بوبي براون »وهو يهودي من «بروكلين» : إنّ الله أعطى هذه الأرض لنا ، نحن اليهود. مختارًا . وأنّ الله أعطى الأرض المقدسّة إلى شعبة المختار.

الآن وأنا في الأرض المقدّسة ، فإن الذي يتكلّم هذه المرّة هو رجل من «بروكلين»، والأرض التي نجلس عليها ليست أسطورة ولكنّها حقيقيّة تخصّ فلسطينيين عاشوا هنا طوال الألفي سنة الماضية.

في هذه اللحظة وجدت نفسى وجـهًا لوجه أمام سؤال مهمٍّ جـدًا كان يرافقنى منذ الطّفولة وهـو : هل صحيح أن لله شـعبًا مـختارًا ؟ وراود ذهنى سـؤال آخر وهو: كيف يمكن لدولة حـديثة تدعى إسرائـيل أن تصنَّف على أنّها هى صهـيون التوراتية الأسطوريّة؟

بعـد عدّة زيارات إلى الأرض المقـدّسة أردت أن أسـتكشف أكثـر نظاما إيمانـيا بالمسيحـيّين وأن أتعلّم ما يعتقـده الآخرون بشأن نهاية الزّمن . قرأت كـتاب «آخر أعظم كرة أرضيـة» الذى بيع منه حوالى ١٨ مليون نسخـة وظلّ على رأس لائحة الكتب الأكثـر مبيعًـا خلال السبـعينات ، وكان يبـاع منه أكثر من أىّ كتـابٍ آخر باستثناء الكتاب المقدس.

فى هذا الكتاب وفى أربعة كتب أخرى ، بما فيها كتاب «العالم الجديد »، يقول المؤلف «هول لـندسى» إنّ الله قـضـى علينا أن نخـوض غـمـار حـرب نووية «هَرمَجَدُّون».

كان كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» على الطّاولة فى غرفتى عندما كان يساعدنى فى ترتيب أثاث المنزل أحـد العمّال الذى التقـطه وقال إنّه كان مهـتّمًا جـدا بقراءة الكتاب عندما نشر لأول مرّة وإنّه اشترى نسخة منه.

سألته : لماذا هو مهتم بقراءة هذا الكتاب؟ فأجاب: أردت أن أعرف ماذا سيحلّ بهذه الأرض.

ترى ، هل يتفق مع الكاتب «لندسى» بأنّ علينا أن ندمّـر الكرة الأرضيّة ، وأن نبيد أنفسنا وكل ما عندنا من أشجار وأزهار وأشعار وفنون وآداب وموسيقى جميلة بحيث لا يبقى شيء من الماضى؟ وبحيث لا يكون هناك غَد على الأرض؟

أجابنى العامل : «حسنًا إن ذلك كلّه موجودٌ فى الكتاب المقدس تمامًا كما يقول «لندسى» .

كان : «رونالد ريغان» واحدًا من الذين قرءوا كتاب «آخر أعظم كرة أرضية » ، فهل هو مثل «لندسى» يؤمن أنّ الله قد قـضى أنّ على هذا الجيل بالتحديد، الذى يعيش فى الوقت الحاضر، أن يدمّر الكرة الأرضيّة؟ وهل بدأنا عمليّة العد العكسى للقضاء على أنفسنا؟

فى وقت مبـكرّ من عام ١٩٨٦ ، أصبـحت «ليبـيا» العدوّ الـدّولى رقم واحد

لـ«رونالد ريغان» ، فهل يعود تفسير ذلك إلى نبوءة توراتيه؟ استنادًا إلى «جايمس ميلز» ، الرئيس السّابق لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا، فإنّ «ريغان» كره «ليبيا» لأنّه رأى أن ليبيا هى واحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النّبوءات ، وبالتالى فإنّها هى عدوّ لله.

وفى عشاء أقيم فى عام ١٩٧١ فى مدينة «سكرمنتو» فى كاليفورنيا» (حيث كان ريغان فى ذلك الوقت حاكمًا» تكريمًا لـ «جيمس ميلز» ، بدأ ريغان فجاة يتحدّث إلى «ميلز» الذى كان يجلس إلى جانبه حول النّبوءات الإنجيليّة، وحول حتميّة مقاتلتنا للاتحاد السوفياتى (يأجوج ومأجوج فى الكتاب المقدس) ويذكر «ميلز» هذا الحادث فى عدد شهر أغسطس ١٩٨٥ من مجلّة «سان دييغو» ويقول إنّ ريغان أخبره بتأكيد جازم:

«فى الفصل ٣٨ من إصحاح حزقيال هناك نصّ يقول : إنّ أرض إسرائيل سوف تتعرّض إلى هجوم تشنه عليها جيوش تابعة إلى دول لا تؤمن بالله . وتقول إنّ ليبيا ستكون من بينهم . هل تفهم ماذا يعنى ذلك»؟

لقد أصبحت ليبيا الآن شيوعيّة وهذا مؤشر إلى أنّ هَرْمَجَدُّون ليس ببعيد.

إنّ السجلات تشير إلى أنّ ريغان ، وعلى مدى سنوات عديدة ، أطلق تصريحات مماثلة بشأن مجابهته لقوى شيطانية فى «هَرْمَجَدُّون» نوويّة. ويقول الباحثان «لأرى جونز» من نيويورك و«أندرو لانغ» فى المعهد المسيحى الإنجيلى فى مدينة واشنطن ، إن دراساتهما تقنعهما بأنّ ريغان قبل فى الماضى تفسيراً توراتيًا لنبوءة تقول : بأنّ هَرْمَجَدُّون نووية هى أمر لا يمكن تجنّبه وأنه ، حتّى عام ١٩٨٦، ربّما يكون ريغان قد استمرّ على هذا الاعتقاد . إن الموضوع مثير لدرجة أننى أخصص ، فصلا خاصًا عن ريغان وإيمانه.

إنّ معظم محطات التلفزيون الرئيسيّة الإنجيليّة تعلّم ما قاله (هول لندسى) فى كتبه المشهورة ، وهو أنّ هذه الكرة الأرضيّة سوف تصبح فى حياتنا آخر كرة أرضيّة عظيمة. إنّ الله يعرف أنّ ذلك سيحدث ، إنّه يعرف ذلك منذ البداية الأولى . ولكنّ الله أخفى مخططه عن بلايين البشر الذين عاشوا قبلنا – أمّا الآن، واستنادًا إلى «لندسى» فإن الله يكشف عن مخططه إلى «لندسى» وإلى الآخرين مثل «جيرى فالويل» و«جيمى سواغارت» و«بات روبرتسون» ، الذين يبّشرون بنظريّة هَرْمَجَدُّون.

إنّ نظام الإيمان عند لندسى وفالويل وسواغارت وروبرتسون ، وعند حوالى ٤٠ مليون إنجيلى أصولى. يتمركز حول أرض صهيون الإنجيلية وحول دولة إسرائيل الصّهيونيّة الحديثة التى يعتبرونها واحدة ونفس الشّىء.

يخبرنا «لندسى» أنّ علينا أن نمرّ فى سبع مراحل زمنيّة تتضمّن واحدة منها معركة هَرْمَجَدُّون الرّهيبة حيث يُكشف عن أسلحة نوويّة مدمّرة تمامًا وجديدة . وحيث إن الدم سوف يسيل كالأنهار العاتية . إنّ كلّ مرحلة من هذه المراحل تدعى «التدبيرية» . والمبشّرون بهذا الاعتقاد مثل «جيرى، فولويل» و«جيمى سواغارات» يصوّرون نظامهم الإيمانى على أسس أصوليّة أرثوذكسية تقوم على تفسير لفظى للكتاب المقدس. غير أنّ هذه الأرثوذكسية لا يزيد عمرها على ١٥٠ سنة ، وليس ممكنًا أن تُطبّق بدقّة كلمات «الفظيّة»و«أصوليّة» على مُعْتَقَد مسيحّى يطالب بالحرب وينفى صلاة المسيح على جبل الزيتون «مُباركٌ أولئك الذىَ يصنعون السلام».

إنّ انتشار هذه النظرية فى هذه البلاد يعود فى معظمه إلى جهود «سايروس إنجيرزون سكوفيلد» الذى ولد فى ١٩ آب ١٨٤٣ فى «كلنتون» فى ولاية «متشغن».

إنّ نظام الإيمان عند «سكوفيلد» لم يبدأ معه إنّما يعود إلى جون نلسون داربى » وهو إيرلندىّ عاش فى القرن التاسع عشر وتعلّم فى كليّة «ترينتى» فى «دبلين» ، وكان فى وقت ما قسّيسًا فى كنيسة إنكلترا . لقد علّم أن لله مخططين ، وأن عند الله مجموعتين من الناس يتعامل معهما وأن إسرائيل كانت مملكة الله هنا على الأرض وأنّ الكنيسة «المسيحيّة» كانت مملكة الله فى السماء.

لقد قام داربى بعدّة زيارات إلى كندا والولايات المتّحدة وأثّر فى «جايمس بروكس» راعى كنيستين كبيرتين من الكنائس المسيحيّة فى «سانت لويس » بولاية «ميزورى» . ومن هناك بدأ «سكوفيلد».

لقد وضع «سكوفيلد» و«داربى» النّبوءة فى المركز الرّئيسى لفهومهما عن المسيحيّة ، وجعلا منها قلب نظامهما الدّينى . مع بداية عام ١٨٧٥ عقد «سكوفيلد» عدّة مؤتمرات حول النّبوءات فى الكتاب المقدس. ومع تركيزه على ما كان يعتقد أنّه مخطط الـّله على الأرض من أجل إسرائيل ومخطط الله فى السمّاء من أجل خلاص المسيحيّين ، رأى «سكوفيلد» إدخال ، ملاحظات تفسر نظامه الإيمانى فى مرجع إنجيلىّ.

وفى عـام ١٩٠٩ طُبعَ أوّل مرجع إنجـيلىّ لـ «سكوفيلد» وأصـبح أكثـر الكتب المُتداولة حول المسيحيّة . وكانت تُباع منه ملايين النّسخ.

فى كتابه «سكوفـيلد العجيب وكتابه» يشيـر المؤلّف «جوزيف كنفيلد» إلى خطر قيام سكوفيلد بزرع آرائه الشّخصيّة فى الإنجيل، وهذا يعنى،كما كتب «كنفيلد» أن العامّة فشلت في التمييز بين كلمات «سكوفيلد» وكلمات «الرّوح القدس».

لقد علّم «سكوفيلد» أنّ تاريخ الإنسان ينقـسم إلى مراحل محّددة حيث إن الله يتراءى للإنسـان بطرق مخـتلفة .أما المرحلة «التـدبيرية» فيـقول سكوفـيلد: «إنها مرحلة من الوقت حيث يُمتحن الإنسـان بالنسبة إلى طاعة إرادة الله التى تظهر فى هذه الفترة المحددة . وهناك سبع مراحل مميزة واردة فى النّصوص».

لم ير سكوفـيلد أىّ أمل فى هذا العـالم . إنّنا لا نسـتطيع أبدًا أن نعـيش فى سلام، كما يقول..

وفى إحدى المناسبات كان يذكّر مستعميه أنه : «عاما بعد عام كان يردّد التحذير بأن عالمنا سوف يصل إلى نهايته بكارثة وبدمار وبمأساة عالميّة نهائيّة».

ولكنّه كان يقول أيضًا : « إن المسيحيين المخلّصين يجب أن يرحّبوا بهذه الحادثة لأنه بمجرّد ما تبـدأ المعركة النهائيّة فـإنّ المسيح سوف يرفعـهم إلى السّحاب وأنّهم يُنقَذون ، وأنّهم لن يواجهوا شيئًا من المعاناة التى تجرى تحتهم.

بالرغم من أنّ الأصوليّين لم يتقبّلوا كلّهم هذه الفكرة، فـإنّها تسبّبت فى انقسام كـبيـر. فهناك مـؤشـر إلى أنّ أعدادًا مـتزايدة مـن المسيـحيين يتـعلّقـون بنظريّة «هَرمَجَدُون»، فهم مثل سكوفيلد يعتقـدون أنّ المسيح وعد المسيحيّين بسماء جديدة وأرض جـديدة ، وبما أنّ الأمر كـذلك ، فليس عليـهم أن يقلقـوا حول مـصيـر الأرض، فليذهب العالم كلّه إلى الجحيم ليحقّق المسيح للقلّة المختارة سماء وأرضًا جديدتين.

إنّ «جيمس وات» وزير الدّاخليـة السابق قدّم مثالا على ذلك ، فـقد أشار إلى لجنة مجلس الـنوّاب الأميركى المعنيـة بشؤون الغابات والأنـهار أنّه لا يقلق كثـيرًا بشأن تدمير مـصادر الأرض «لأننى لا أعرف كم من الأجيال المقبلة سـوف نعتمد عليها قبل أن يعود الربّ». كذلك فإنّ نظرية هَرمَجَدون قد تكون وراء عدم اهتمام اليمين وبعض الدوائر الحـكومية بشأن الـعجز فى الميـزانية والذى يزيد على ٢٠٠ بليون دولار فى السّنة، وحول تضاعف الدّين الوطنى فى ٤ سنوات فقط.

قمت برحلتين منظمتين بواسطة (جارى فالول) إلى الأرض المقدسة. وامتزجت بالعديد من أهل التدبيريين ومن بينهم (أون) الذى سأكتب عنه بعض التفاصيل. لقد شرح نظام إيمانه الذى يقتضى الحاجة إلى تدمير معظم الصروح الإسلامية المقدسة فى القدس، والتى يقدسها حوالى مليار مسلم فى العالم، كما شرح الضرورة إلى شن حرب نووية هَرْمَجَدُّون من أجل تدمير الكرة الأرضية. ولقد ساءلت نفسى هل يمثل شريطًا ضيقًا من مجتمعنا؟ هل على الآخرين أن يهتموا بمعرفة ما يعتقده؟ وإلى أى مدى يشكل تفكيره تمثيلاً لوجهة نظر واسعة؟.

أخبرنى (أون)، عندما كنا فى المدينة القديمة من القدس وهو ينظر إلى قبة الصخرة: إن النبوءة الإنجيلية (تقضى) بأن على اليهود تدمير هذا الصرح وبناء معبد - هيكل - يهودى مكانه. إن الإرهابيين اليهود الذين أمطروا المسجد بالديناميت لإزالته، هم أبطال فى نظر (أون) . وعلمت أن الإرهابيين اليهود كانوا أبطالا أيضًا فى نظر الكثيرين من بينهم يهود نافذون وأغنياء مثل (هاجان دانس) صاحب معامل المثلجات (وروبن ماتيوس) محرر الصحافة اليهودية (ويهودا شواتس)، وتاجر السلاح المكسيكى (ماركوس كاتس) الذى أرسل مئات الآلاف من الدولارات إلى الحركة اليهودية السرية.

إن المسيحيين الأصوليين الذين تبرعوا بسخاء إلى الإرهابيين اليهود يتضمنون فيمن يتضمنون (تيرى ريزن هوفر) أحد أقطاب صناعة النفط والغاز والذى يقوم بزيارات دورية للبيت الأبيض ، والدكتور (هيلتون ساتون) رئيس (البعثة إلى أميركا) ، والدكتور- (جايمس ديلوخ) راعى الكنيسة المعمدانية فى هيوستن الذى زارنى فى شقتى بمدينة واشنطن، وتباهى أمامى بأنه ، مع آخرين، أنشئوا مؤسسة «معبد القدس» خصيصًا من أجل مساعدة أولئك الذين يعملون على تدمير المسجد وبناء المعبد.

لقد قال لى إنهم أرسلوا ٥٠ ألف دولار إلى منظمة الدفاع اليهودية الرسمية الإرهابية التى أدينت بالتخطيط لتدمير قبة الصخرة.

خلال إجراء البحث فى هذا الكتاب ، لم أكن أرغب فى الكشف عن أية شخصية أو أية جماعة، إنما كنت أرغب فى الكتابة عن نظام إيمانى مقبول على نطاق واسع. إنَّ أولئك الذين يؤمنون بنظرية (هَرْمَجَدُّون) بينهم الغنى والفقير، الشهير والصعلوك، ولكن لم يسمع الكثيرون بـ (حنى) أو (كلامير) أو (براد)، وهم حجاج مع (جيرى فولول).

ولكن الملايين يعرفون راعى البقر فى دالاس (توم لاندرى) أو رأوا صورته على شاشة التلفزيون. لقد كان حاجًا فى واحدة من رحلات (فالويل) المنظمة وهو يقدر نظرية (فالول) حول هَرْمَجَدّون) تقديراً كبيراً.

عندما بدأت الكتابة كنت أطرح أسئلة أكثر مما كنت أجيبُ عليها.

وعندما كان الجنرال (جون فيسى)، الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة، يقيم جلسات الصلاة فى البنتاغون، هل كان يؤمن بأن حربًا نووية مع روسية سوف تسرع عودة المسيح؟.

هل يعتقد المسيحيون المخلصون من الموظفين السامين مثل (ادوارد ميز) (وهربرت أكينغتون) أن دولة إسرائيل الحديثة وصهيون التوراتية هما دولة واحدة وأن أرض إسرائيل مقدسة!.

إلى أية درجة تسيطر فكرة «هول ليندسى» بأن الله يريدنا أن ندمر الكرة الأرضية، على أولئك الذين يتخدون قراراً بتوجيه الضربة النووية الأولى ضد السوفيات؟ وكم يوجد هناك من مسيحيين يؤمنون بالتدبيرية، أمثال بوبى هرومنس، زوجة الدكتور لسلى هرومنس من مؤسسة ت. ر. وفى كاليفورنيا وهى واحدة من كبرى المؤسسات الألكترونية لإنتاج الأجهزة الدفاعية، والتى تعتقد أن اللّه أعطى كل الأرض المحددة فى الإصحاح ١٥ إلى يهود القرن العشرين؟ وحتى فى العاصمة الأميركية كم عدد أولئك الذين يعرفون أن السيدة هورمنس التى تسكن فى رولينغ هيلز فى كاليفورنيا تملك منزلا فى الشارع المقابل للسفارة الإسرائيلية فى مدينة واشنطن من أجل هدف واحد منظور وهو إقامة كنيسة حيث يتمكن مسيحيون من كبار موظفى الحكومة الأميركية من أداة الصلاة مرة كل ثلاث ساعات وعلى مدار الساعة من أجل فداء (ملكية إسرائيل) كل الأرض من النيل إلى الفرات؟.

من خلال إشارتى إلى بعض الأفراد ، ليس هدفى انتقاد المؤمنين بالكتاب المقدس من المسيحيين أو الأصوليين. إن والدى هارى . هـ . هالسل علمنى قوة وجمالية الصفات التى تأتى مع الإيمان.

لقد كان والدى مؤسس كل من جامعة جنوب غرب (جورج تاون)، (وجامعة تكساس) (وجامعة دالاس). وفى الواقع فإن المسيحيين البروتستانت المؤمنين بالكتاب المقدس أنشئوا معظم جامعاتنا الكبيرة بما فيها (هارفارد) (وبال)

(وبرنستـون) (وإيموري) (ودرو) ، وكذلك جـامعة جنوب كـاليفـورنيا في (لوس انجلوس) وهذا غيض من فيض. إن المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس أنشئوا أيضًا معظم مستشفيـاتنا الشهيرة. لم يكن هدفـهم بناء الكنائس فقط إنما إقامـة مراكز ثقافـية وصحيـة ضخمة. كـانوا مهتمين ومـتفائلين ببناء عـالم أفضل ، ولـم تكن لديهم الرغبـة في تدمير هذا العـالم ، ومع ذلك فإن استـقصاءات الرأى الأخـيرة تشير إلى أن أعدادًا متزايدة من الأميـركيين يعتقدون أنه محكوم علينا بالفناء، وأننا نحن الذين سندمـر الكرة الأرضيـة. إن استـقصـاء ١٩٨٤ الذى أجرته مـؤسسـة (باتكيلو فـيتش) أظهـر أن ٣٩ بالمئة من الشـعب الأميـركى يقولون : إنه عنـدما يتحـدث الكتاب المقدس عن تدمـير الأرض بالنار فإن ذلك يعنى أنـنا نحن أنفسنا سوف ندمر الأرض (هَرْمَجَدُّون) نووية.

إذا كان هذا الاستقصاء صحيحًـا فإن ذلك يعنى أن ٨٥ مليون أميركى يعتقدون أن الحرب النووية لا مفر منها.

إن استقصـاءً للرأى أجرته صحيفة نيـويورك تايمز ومحطة تلفزيون (سى. بى. أس) قبل وقت قـصير من لقاء ريغـان - غورباتشوف بنهاية عـام ١٩٨٥ أظهر أن نصف الرأى العـام الأميـركى فقط يـشعـر أن القمـة سوف تحسّن في العلاقـات السوفياتية الأميركيـة. وأظهرت دراسة لمؤسسة «نلسن» نشرت في أكتوب ١٩٨٥ ، أن ٦١ مليون أمـيركى (٤٠ بالمئـة من المشاهدين يسـتمعـون بانتظام إلى مبـشرين يقولون لهم إننا لا نستطيع أن نفعل شيئًـا لمنع حرب نووية تتفجر في حياتنا. ومن أكثر الإنجيليين شهرة الذين يبشرون على التلفزيون بنظرية (هَرْمَجَدُّون):-

- (بات روبرتسون) الذى يستضيف برنامجًا لمدة تسعين دقيقة يوميًا يدعى نادى الـ ٧٠٠ السبعمائة (سمى كذلك نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه). هذا البرنامج يصل إلى أكثـر من ١٦ مليون عـائلة أى إلى أكثـر من ١٩ بالمئـة من الأميركـيين الذين يملكون أجهزة تلفزيون.

إن روبرتســون ابن السيناتـور السابق عن ولاية فـرجيـنيا (ويليس روبرتسـون) متخرج من مدرسة الحقـوق في جامعة (يال)، وهو يوظف حوالى ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكته التلفزيونية المسيـحية (سى. بى. إن). وتقوم الإدارة المركزية للشبكة على مساحة ٦٧٩ آكـر في ضاحية شاطئ فرجينيا بقـيمة ٢٢ مليون دولار. وتضم (سى - بى - إن)، نادى السـبعمـائة، ثلاث محطات تلـفزيونية، مـحطة راديو ، مـحطة تلفزيون سى. بى - إن بالاشـتراك، مـحطة تلفـزيون في جنوب لبنان ،

مراسلون فى أكثر من ٦٠ دولة، جامعة، نظام للمساعدة الدولية ومجموعة ضغط (لوبى).

فى مطلع عام ١٩٨٦، بدأت سى - بى - إن برنامجًا إخباريًا لمدة نصف ساعة يوميًا (سى - بى - إن -أخبار الليل). وهى تقدم أخبارًا من وجهة نظر مسيحية إلى ٢٧,٣ مليون مشاهد تلفزيونى يشتركون بمحطة البث. ويتألف جهاز المحطة من مائة فنى يعملون خارج الاستديوهات فى واشنطن وفى الإدارة المركزية فى فرجينيا بيتش، التى تدير مكاتب فى القدس وبيروت، وفى عام ١٩٨٦ خططت لافتتاح مكاتب فى لندن ونيويورك ولوس انجيلوس.

إن عمليات روبرتسون تحقق عائدات سنوية تزيد على ٢٠٠ مليون دولار. وفى مطلع عام ١٩٨٦ وصل نفوذ روبرتسون وقوته إلى حد أنه بدأ يفكر فى الوصول إلى المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض. بات روبرتسون، رئيسا للولايات المتحدة؟ قالت صحيفة نيويورك تايمز فى تعليق للكاتب توم فيكر نشر فى أكتوبر ١٩٨٥ : «لا تسخر» إن ترشيح روبرتسون فى عام ١٩٨٨ هو أكثر الاحتمالات مخادعة». وكتب فيكر : إن هناك ٢٤ مليون مشاهد للمحطة التلفزيونية المسيحية، وأضاف : إن احتمال ترشيح روبرتسون يقوم على لوائح كبيرة من المساهمين، والتمويل ، وكذلك على إقبال من المشاهدين يفوق عددهم قراء صحف التايم ونيوزويك ، ونيويورك تايمز ، ولوس انجيلوس تايمز والواشنطن بوست مجتمعة.

● (جيمى سواغرت) الذى يدير عملياته من باتون روج فى لويزيانا، وهى ثانى أكثر محطات التلفزيون الإنجيلية شهرة : استنادًا إلى استقصاء مؤسسات (نلسون).

انه يصل إلى ٤,٥ مليون منزل يوميًا (أو ٥,٤ بالمئة من المشاهدين) وإلى ما مجموعة ٩ ملايين وربع المليون أسرة (أو ١٠٪ من المشاهدين) أيام الآحاد.

● (جيم بيكر) الذى يملك ثالث أشهر محطة تلفزيونية تبشيرية. بدأ عمله الدينى متتلمذًا على (بات روبرتسون). إنه يصل إلى حوالى ٦ ملايين منزل ٦,٨ بالمئة من المشاهدين).

● وبالاضافة إلى منزل فى مدينة شارلوت شمال كارولينا يملك (بيكر) وزوجته (تامى) منزلا جبليًا فى (بالم ديزيرت) (صحراء النخيل) بكاليفورنيا قيمته ٤٤٩ ألف دولار، بالإضافة إلى سيارتى رولس رويس ومارسيدس . وكجميع «التدبيريين» فهو يعتقد أنه علينا أن نخوض حربًا رهيبة من أجل فتح الطريق أمام المجئ الثانى للمسيح. إن محطته هى المحطة التاسعة عشرة من حيث الحجم فى أميركا وتحقق أرباحًا سنوية تقدر بما بين ٥٠ إلى مئة مليون دولار.

● (أورال روبرتس) الذي تصل برامجه التلفزيونية اليوم إلى ٥,٧٧ مليون منزل، أى ٦,٨ بالمئة من المشاهدين. وقد ولد فى بيت متواضع فى أوكلاهوما فى عام (١٩١٨) من أب فَلاح تحول إلى مبشر. يقول (أورال روبرتس) إن الله طلب منه أن ينشىء هذه الجامعة . ويقول إن الله أخبره فى عام ١٩٦٨ أن يترك الكنيسة المقدسة فى (بنتيكوستال) وأن يصبح قسيسًا فى كنيسة «ميثوديست». وفى عام ١٩٧٧ عندما فقد ابنته وزوجها فى حادث تحطم طائرة، قال روبرتس إن الله أوصى إليه ببناء مستشفى مدينة الإيمان . إنه واحد من اثنين من الأميركيين الذين بنوا منفردين جامعة ومدرسة طبية ومستشفى (الشخص الآخر كان (جونز هوبكنز).

●(جيرى فولويل) الذى تصل دروسه التبشيرية الأسبوعية إلى ٥,٦ مليون منزل (٦,٦ بالمئة من جميع المشاهدين). كان (فولويل) مثل روبرتسون فى عام ١٩٨٥ منغمسًا بعمق فى الشؤون السياسية. وفى شهر أغسطس ، وبعد أن أمضى خمسة أيام فى جنوب أفريقيا ، أيّد الحكومة العنصرية ووصف الأسقف (ديز موند توتو) الحائز على جائزة نوبل للسلام بأنه ألعوبة.

إن ملاحظة فولويل حول توتو سببت له تراجعًا قدره مليون دولار أقل فى حجم العطاءات التى كانت متوقعة فى عام (١٩٨٥). وفى نوفمبر، من نفس العام، سافر فولويل إلى مانيلا حيث أيّدَ ديكتاتورية (ماركوس) ووصف الفيليبين المزقة بالجنة. وفى الثالث من يناير (١٩٨٦) أعلن (فولويل) عن تشكيل منظمة جديدة تدعى «فيديرالية الحرية» ولكى تكون بمثابة الأم «للمجموعة المعنوية» التى يقودها فقد غيّر الاسم (استنادًا إلى فولويل) ليتمكن أتباعه من توسيع مجالات العمل وتسريع النمو.

كذلك فى ٢٥ يناير ١٩٨٦ أقام فولويل حفل غداء فى مدينة واشنطن على شرف نائب الرئيس جورج بوش. وقد أخبر فولويل ضيوفه الخمسين، الذين حضروا مجانًا حفل الغداء السخى : بوش سيكون أفضل رئيس فى عام ١٩٨٨ .

وقبل أسبوع، من هذا الغداء ، أعلن فولويل عن شراء شبكة تلفزيون بالكابلات. وهى الشركة المسيحية الوطنية التى كانت تواجه متاعب مالية: وغيّر فولويل اسمها إلى محطة الحرية للبث. إن شبكة المحطة الجديدة التى تعمل من (ليتشبورغ) فى فرجينيا سوف تعرض برامج دينية مدة ٢٤ ساعة فى اليوم بما فيها برنامج يدور حول فولويل نفسه.

● (كـينـين كـوبلاند) الذى يصل إلـى ٤,٩ مليـون منزل (٥,٨) بالمـئـة من المشاهدين فى الأسبوع.

إنه متـخرج من جامعـة اورال روبرتس ومؤمن بالتدبيـرية ، ويرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجيلية هما شىء واحد . ويقول : (إن الله أقام إسرائيل . إننا نشاهد الله يتحرك من أجل إسـرائيل. . إنه لوقت رائع أن نبدأ دعم حكومتنا طالما أنهـا تدعم إسرائيل. . . إنـه لوقت رائع أن نشعـر الله مـدى تقديرنا إلى جـذور إبراهيم).

وبالرغم من ذلك فإن كوبلاند لا يحب بالضرورة إسـرائيل كما هى ، إنما يعبر عن حبه لإسرائيل لأنه واتباعـه يرون أنها المسرح الذى سيقدم عليها مشـهد معركة مجدليون وعودة المسيح.

(إنهم يعبـرون عن حبهـم لليهود ليس لأنهم يهـود ولكن يرون فيـهم الممثلين الذين لابد منهم على مسرح النظـام الدينى الذى يقوم على أساس تحقيق المسيـحية الكاملة.

● (ريتشـارد دى هان) الذى يصل فى برنامجه (يـوم كشف النظام) إلى ٤,٧٥ مليون منزل (٤,٨ بالمئة من المشاهدين).

إنه ابن (م - ر. دى هان) من ميشيغن الذى طور فى حـياته التدبيرية ربما أكثر من أى قسيس أميركى آخر.

● (ريكس همـبرد) الذى يـصل إلى ٣,٧ مليون منزل (٤,٤ مـن مجـموعـة المشاهدين) إنه يبـشر بتعاليم سكوفـيلد حول التدبيرية ، وهى تقـول «إن الله كان يعـرف منذ البـداية الأولى أننا، نحن الذين نـعيش اليـوم ، سـوف ندمـر الكرة الأرضية».

لقد ذكرت سبعة من الذين يقدمـون البرامج الدينية ويبشرون بنظرية هَرْمَجَدُّون فى الإذاعة والتلفزيون. ومن بين ٤ آلاف أصولى إنجـيلى، يشتركون سنويًا ، وفى مؤتمرات الإذاعات الدينية الوطنية ، هناك ثلاثة آلاف من التـدبيريين فهم يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض.

إن هذه الرسالة تبث عـبر ١٤٠٠ محطة دينية فى أمـيركا . ومن بين ٨٠ ألف قسيس إنجـيلى يذيعون يوميًا من خـلال ٤٠٠ محطة راديو فإن الأكثرية السـاحقة منهم من التدبيريين.

إن بعض هؤلاء القساوسة، ورؤساء الكنائس، هم من القوة بحيث يبدون كالملوك فى مناطقهم . إن القس (غريسويل) راعى الكنيسة المعمدانية الأولى فى دالاس ، هو مثال على ذلك : إن العضوية عند غريسويل ليس فقط واحدة من الأكبر فى العالم (٢٥ ألفا) ولكنها واحدة من الأسخى. ففى أحد أيام الآحاد من شهر أكتوبر ١٩٨٥ وبعد أن قال غريسويل فى عظته إن علينا أن ندفع فاتورة الضوء وإعادة تنظيم الأثاث، تجاوب الأعضاء بوضع مبلغ ١,٨٥ مليون دولار فى الأوانى التى تجمع فيها التبرعات. وهذا المبلغ هو أكبر مبلغ نقدى يتم التبرع به فى يوم واحد بالنسبة لأية كنيسة.

إن كريسويل هو مثل روبرتسون وسواغرت، وبيكر وغيرهم من الإنجيليين التلفزيونيين الذين ذكرت ، يجعلون من تأييد إسرائيل نوعًا من العبادة . إنه يؤمن بأن علينا أن نخوض معركة هَرْمَجَدُّون وأن المسيح يعود بذلك فقط إلى القدس وأن إسرائيل اليوم تتبارك من الله بأنها هى نفسها صهيون التوراتية.

حالياً يعتبر صوت كريسويل واحداً من أقوى الأصوات فى المؤتمر المعمدانى الجنوبى الذى يضم ١٤ مليون عضو . إنه يوظف قادة هذا المؤتمر من التدبيريين، وهو محام قوى عن تعاليم سكوفيلد بما فيها نظرية هَرْمَجَدُّون التى تدرس فى المؤتمر.

معظم المدارس الإنجيلية فى الولايات المتحدة تدرِّس النظام الدينى ونظرية هَرْمَجَدُّون استناداً إلى «دال كراولى» وهو قسيس فى واشنطن وكان أبوه عضواً موسسًا للمؤتمر الدائم للمذيعين الدينيين الوطنيين.

(إن مدارس مثل معهد (مودى) فى شيكاغو وكلية فيلادلفيا الإنجيلية ، والمعهد الإنجيلى فى لوس أنجلوس ، وحوالى ٢٠٠ معهد آخر تخرِّج طلابًا مؤمنين بمبادئ سكوفيلد) كما يقول كراوى (ويضيف أنه ما بين ٨٠ إلى ٩٠ بالمئة من الأساتذة والطلاب يدرسون سكوفيلد ويؤمنون بالخلاص وبنار هَرْمَجَدُّون النووية.

لقد ترأس سكوفيلد مرَّة المدرسة الإنجيلية فى دالاس والتى أصبحت الآن تعرف باسم مدرسة دالاس اللاهوتية ، وهى المركز الرئيس لتدريس نظريات سكوفيلد . لقد زرت هذه المدرسة فى السابع من جون ١٩٨٤، لإجراء مقابلة شخصية مع الدكتور (جون وال فورد) الذى درس هول لندسى التدبيرية والذى كتب، فيما بعد، آخر أعظم كرة أرضية.

أخـبرنى الدكـتـور (وال فورد) - عـمـره ٧٠ سنة - مـا يعتـقـد به المؤمنون بالتدبيـرية؛ وهو أن الله لا ينظر إلى جمـيع أبنائه بطريقة واحـدة . وأن الله ينظر إلينا على أننا منقسمون إلى فئتين : اليهود والعامة (جنتيل) إن لله خطة واحدة هى خطة أرضيـة ، من أجل اليهود ،وإن لله خطة ثانية ، خطة سـماوية للمسـيحيين المخلصين.

أما بقية شعوب الأرض من المسلمين والبوذيين وغيرهم من أصحاب الاعتقادات وكذلك المسيحيون غير المخلّصين ، فإنها لا تهمهم.

أما فيـما يتعلق بتدمـير الكرة الأرضية ، فـإننا لا نستطيع أن نعمل شـيئًا . إن السلام من أجلنا ليس فى كتاب اللّه ، لقد كانت تلك رسالة سكوفيلد وهى رسالة فال، وود، ولندسى وهى الرسالة التى تصل إلينا دائمًا.

(لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ، إن أى تبشير بالسلام قبل هذه العودة هو هرطقة. إنه ضد كلمة اللّه ، إنه ضد المسيح).

هكذا يقول التلفزيونى الإنجيلى «جيم روبيسون» الذى دعاه الرئيس ريغان لإلقاء صلاة افتتاح مؤتمر الحزب الجمهورى فى عام ١٩٨٤ .

فى التاسع من جوان ١٩٨٢ ، أى بعد ثلاثة أيام من بداية الاجتياح الإسرائيلى للبنان، شرح التلفزيونى الإنجيلى بات روبرتسون الرعب الآتى المترتب على معركة هَرَمَجَدُّون القادمـة . فقد بدأ برنامجه بإعادة تقـديم التنبؤات التى أعلنها فى يناير ١٩٨٢ .

(إنى أؤكد لكم أنه مع نهـاية عام ١٩٨٢ ستكون هناك قيـامة على الأرض وأن هذه القيامة سـتكون فى الاتحاد السوفياتى أساسًا . إنهم أولئك الذين سـيخوضون المغامرات العسكرية وسوف يضربون).

وفيمـا كانت عدسات التلفزيون تـواكبه توجه روبرتسون إلى لوح أسـود أمامه مستعملا مؤشراً إلى الشرق الأوسط ليتلو نص نبوءة (حزقيال).

(وفى الأيام الأخيرة عندمـا تتجمع إسرائيل من الأمم ، سوف تسـبب فى قيام أمر ما. هذا ما سوف يحدث. إنى سوف أضع صنّارة هنا فى أفواه القوى المؤتلفة التى سيقودها شخص يدعى (هاجوج) فى أرض (ماجوج) (الاتحاد السوفياتى).

إن الشعب الذى سيكون معها هوبث توكارما (أرمينيا) ، (بوت) ليبيا، (روش) أثيوبيا ، (غومر) جنوب اليمن وإيران.

(إن هذا الأمر كله يأخذ الآن مكانه ، كما قال روبرتسون ، وأضاف :

(إنه يمكن أن يحدث فى أى وقت ، ولكن مع نهاية ١٩٨٢ لا شك أن أمراً كهذا سوف يحدث مما يحقق نبوءة حزقيال . إنه على استعداد للحدوث . . . إن الولايات المتحدة فى هذا المقطع من حزقيال ونحن نقف على استعداد.

(بانتظار المعركة النهائية التى لا بد منها).

(يجب أن لا نقيم أى اتفاق مع الاتحاد السوفياتى كما يقول جيمى سواغرت فى موعظة ألقاها من محطة تلفزيون باتون روج فى ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥).

(إذا صنعنا أسلحة سيصنعون أسلحة ، وإذا لم نصنع أسلحة سيصنعون أسلحة) هكذا يؤكد سواغرت فى حثه على تكديس أكبر للسلاح الأميركى وللانسحاب من الأمم المتحدة قائلا إن الأمم المتحدة هى أداة بيد الشيوعية.

ويضيف : كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام، ولكنى أؤمن بأن هَرْمَجَدُّون مقبلة، إن هَرْمَجَدُّون قادمة وسيخاض غمارها فى وادى مجيدو، إنها قادمة. إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات السلام التى يريدون. إن ذلك لن يحقق شيئًا ، هناك أيام سوداء قادمة. إن مشاكل أفريقيا لن تحل ، وكذلك مشاكل أميركا الوسطى ، ومشاكل أوروبا، إن الأمور ستتوجه نحو الأسوأ.

إننى لا أخطط لولوج جهنم القادمة . إن اللّه سوف يهبط من عليائه. يا إلهى إننى سعيد من أجل ذلك! إنه قادم ثانية!.

إننى لا أكترث لمن تسبب هَرْمَجَدُّون القلق والمتاعب. إنها تنعش روحى!.

إن نظامًا إيمانيًا من هذا النوع يستحق الاكتشاف. ذلك أن المراحل الدينية التى يبشر بها «فال» وورد، وليندسى ، وسواغرت، وفولويل، وروبرتسون ، وغيرهم من أجل تصوّر المسيحية الكاملة تتضمن مأساة نووية يمكن أن تدمرنا جميعًا . هل يمكن أن يعتقد بات روبرتسون كرئيس لأميركا أن محادثات التسلح مع الروس سوف تكون عديمة الفائدة طالما أن الكرة الأرضية محكوم عليها بأنها آخر أعظم كرة أرضية؟ هل قراراتنا السياسية اليوم متأثرة بتصور أنه لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح ! هل نزع التسلح يناقض خطة اللّه، كما وردت فى كلماته ! إن هذا الكتاب يحاول أن يقدم بعض الإجابات.

غريس هالسل

مع جيري فولويل في أرض المسيح (معركة هرمجدون)

منذ بداية عام ١٩٨٠ تعوّدت الاستماع إلى جيرى فولويل فى البرنامج الذى يقدّمه كلّ يوم أحد لمدة ساعة على شاشة التلفزيون. ومن أجل أن أتعلّم أكثر عن نظريّة هَرْمَجَدّون لـ «فولويل» ولأعرف إلى أىّ مدى يفكّر أتباعه مثله اشتركت فى رحلةٍ إلى الأراضى المقدّسة نظّمها جيرى فولويل فى عام ١٩٨٣.

لقد كنت واحدةً من بين ٦٣٠ مسيحيًا سافروا من نيويورك إلى تل أبيب حيث جرى تقسيمنا إلى مجموعات من ٥٠ شخصًا، خصص لكل مجموعة سيّارة أوتوبيس ودليل إسرائيلى. بعد ليلة راحة فى تل ابيب، توجّهنا إلى السيّارات والآن أودّ أن أصطحبك فى رحلة قصيرة للوصول إلى مجيدو. سافرنا شمالا من تل أبيب مسافة ٥٥ ميلا وصلنا إلى منطقة تقع ٢٠ ميلا إلى الجنوب الشرقى من حيفا و١٥ ميلا بعيدًا عن شاطئ البحر المتوسط . ترجّلت من السيارة مع «كلايد» وهو رجل أعمال متقاعد فى الستينات من عمره ، خرّيج جامعة . قد سبق له أن خدم فى الجيش برتبة كابتن فى شمال إفريقية وأوربا خلال الحرب العالمية الثانية . كان موضع تكريم بسبب الذكاء الذى قاد به جنوده وبسبب شجاعته فى مواجهة النيران. سرنا معًا إلى مرتفع صغير عبارة عن تلّة تغطى طبقات من بقايا مجموعات تاريخيّة. وقد لاحظ «كلايد» أن مدينة «كنعانية» قديمة كانت موجودة هنا وقال : إننا على الطرف الجنوبى فى سهل « اسديرلون» الذى ورد ذكره فى النصوص باسم «وادى جيزريل».

ويقول كلايد : فى العصور الغابرة، كانت مجيدو مدينة مهمّة جدًا ، كانت تقع على مفترق استراتيجى يتمتّع بأهميّة عسكرية بالإضافة إلى أهمية كملتقى للقوافل . والطّريق الساحلى التى تصل مصر بدمشق والشرق تتقاطع مع هذا الوادى فى مجيدو.

قلت : إذًا هذا المكان كان دائمًا مسرحًا للقتال! فوافق كلايد وقال : «إنّ بعض

المؤرّخين يعتقـدون أنّ المعارك التى جرت هنا هى أكثـر من المعارك التى جرت فى أى مكان آخر فى العالم. وكان الغزاة القدمـاء يقولون : إن أى قائد يستولى على مجـيدو يستطيع أن يتـصدّى لكلّ الغزاة. وأضـاف يقول : إنّنا نقرأ فى إصـحاح يوشع رقم ٢١/١٢ كيف أنّ «يوشع» والإسرائيليين هزموا الكنعانيين هنا فى معركة واحدة . وبعـد قرنين ربحت القوات الإسرائيليـة بقيادة «ديبورا» و«باراك» المـعركةَ ضدّ الكابتن الكنعانى «سيسيرا».

«وبعد ذلك ، وكما نعـرف فإنّ الملك سليمان حصّن المدينة وجـعل منها مركزًا عسكريًا لأحصنته وعرباته».

«حتى فى حيـاتنا شهدنا معـارك مهمّة هنا. فـمع اقتراب نهاية الحـرب العالمية الأولى، فى عام ١٩١٨، حـقّق الجنرال البريطانى «الـلمبى» انتصـارًا مهـمًا على الأتراك هنا فى مجيدو».

«وأخيراً يلاحظ كلايد بصوتٍ عاطفىّ متهدّج، «إننى أشاهد الآن ساحة المعركة الأخيرة الكبرى».

فسألته : كيف يعرف أنّها ستكون المعركة الأخيرة؟

قال : «لنأخـذ الاسم مجـيدو ولنضف إليـه الكلمة العـبرانية «هار» ومـعناها الجبل، وهذا يعطى معنى كلمة جبل مجيدو أو «هار مجيدو» والتى يمكن ترجمتها إلى كلمة هَرْمَجَدُّون».

وفيمـا كان يتكلّم كنت أحاول تتبّع منطقه بـالبحث على الجبل أو عن «هار» ، ولكنّنى لم أعثر على شىء . وبما أننى كنت أنظر إلى الوادى أمـامى، فقد توقّعت أن يكون المرتفع الصـغيـر الذى نقف عليه هو المقـصود بالجبل، ومع ذلك فـقد تسـاءلت : ألا يمكن أن يكون هار مـجيـدو أو جـبل مجـيدو يـعنى مكانًا وليس حادثًا؟ .

فيـجب كلايد : لا ، إنّه مكان المعركة الـتى تتورطّ فيهـا كل الأمم. وستكون المعركة الأخيرة بين قوّات الخير بقيادة المسيح وقوّات الشرّ بقيادة أعداء المسيح.

مثل الملايين الآخـرين ، اعترفت لكـلايد بأننى سمعت كـثيرًا عن هَرْمَـجَدُّون ولكن لا أعرف مصدر الكلمة ، فسألته هل قرأ كثيرًا عن هَرْمَجَدُّون؟.

أجاب : إنـك تعرفين أنّنا نجـد كلمة هَرْمَـجَدُّون مـرة واحدة فى الإنجـيل ،

وبالتحديد فى سفـر الرؤية فى الفصل١٦ المقطع ١٦ الذى يقول «وجمعهم جـميعًا فى مكان يدعى بالعبريّة هَرْمَجَدُّون».

بما أنَّ هذه الكلمة هَـرْمَجَدُّون تتـمتع بأهميّـة فى حياتنا ، فـإنى آمل أن أحدد مصدرها مردّدًة ما قاله كلايد: إنَّ العهد القديم لا يشير إلى هذه الكلمة . والعهد الجديد يذكرها فى موقع واحد فى سفر الرّؤية «للقديس يوحنا» . ومع ذلك فإننى مُربكةٌ. فبينمـا يتحدّث سفر الرّوية عن «مكان» يدعى هَرْمَجَـدُّون فإنّ كلايد يصرّ على أنّ هَرْمَجَدُّون تعنى معركة.

يقول كلايد إن القـديس جون كتب سفر الرؤية ، ومن الـقديس يوحنا نحصل على معظم المـعلومات حول هذه الأيّام الأخـيرة التى نمر بها . إنه يـعطينا صورةً دقيقة عن المعـركة التى ستُخاض فى هذا المكان . وفى رؤياه لهـذه المعركة الكبرى كتب يقـول : «إنّ مدن الأمم تنهـار وكل جزيرة تتـلاشى والجبال تـدك» ثم يقول كلايد: إن اللّه يعرف كل شىء عن المستقبل ، لا يفوته شىء . لقد عرف اللّه منذ البداية من سـيذهب إلى جهنم ومن سينجـو منها بالتحديد . وعندمـا أصدر الله القوانين ، كان يعرف أنّ الإنسان غير قادر على التقيّد بها.

وسألت : «كيف يعرف الله مسبقًا ويحكم مسبقًا».

فأجاب كلايد: «يجب أن تتـذكّرى أن المعرفة المُسبَّقة لا تقضى مـسبقًا على كل شىء. ولكن ما يعرفه الله يعرفه فوق كل احتمال وتخمين. إنَّ ما يعرفه الله يعرفه مئة بالمئة ، إنه يعرف كل شىء.

وفى كتاب «سفر الرؤية» يعطينا القدّيس جون وصفًا جيدًا حول ما ستكون عليه هذه المعركة النهائية. إن ٢٠٠ مليون رجل من جـيش الشرق سوف يتقدّمون نحو الغرب لمدّة عام. إنَّ هذا الجيش سوف يمر عبر، مجيدو (هَرْمَجَدُّون) وسوف يدمّر معظم المناطق الآهله فى العالم قبل أن يصل إلى نهر «الفرات».

إنَّ الآية ١٦ تخبرنا أن نهر الفرات سـوف يكون جافا مما يمكّن ملوك الشرق من اجتيازه إلى إسرائيل.

وأتساءل أىّ ملوك الشرق؟ ويقفز ذهنى إلى المـنطقة من العالم شرقى الفرات ، فلا أذكر أنَّ هناك ملوكًا فى هذه المنطقة من العالم اليوم. ففى أيامنا كان شاه إيران آخر ملك إلى الشرق من الفرات. لم يعـد هناك ملوك اليوم، كان هناك ملوك أيام القديس يوحنا، ألا يعنى ذلك أن يوحنا كان يكتب لعصره وليس لعصرنا؟.

أجاب كلايد: «لا ، يمكن أن تعنى كلمة الملوك هنا «القادة»، رؤساء الدّول» .

مع أنّ كلايد يعتـمد التّفسير الحـرفى إلا أنه هنا لا يأخذ بالتفسيـر الحرفى للكتاب المقدس.

يواصل كلايد تفسيره فيقـول : «إنّ الملوك أو القادة سيحرّكون أعظم جيشٍ فى تاريخ العالم إلى هنـا ، فى مجيدو» وسـألت : عندما يكون من الصـعوبة تنظيم جيش جيّد ، فكيف يمكن تنظيم كّل جـيوش الشرق ، وهل يمكن لرجلٍ واحد أن يفعل ذلك ، أو حتى لمجموعة من القادة؟

أجـاب كلايد : إنّ ذلك واضح ، فـالقادة لهـم أهداف - سيـاسيـة، ولكنّهم يتحرّكون بدوافع الرّوح الشّيطانيّة.

وأسأل : ما هى الرّوح الشيطانيّة؟ فيقول : فى هذه الحالة إنَّها الروح الشيطانّية للملائكة الذين أهبطوا إلى الأرض واتبعوا الشّيطان فى تمرّده ، فإنّ هؤلاء القادة - مع جيوشهم - يصبحون مع حيث لا يدرون مخالب لها.

بالإضافـة إلى الأرواح الشرّيرة تحدّث كـلايد عن «الوحش» الذى ورد ذكره فى سفر الرّؤية «لسـان يوحنا» فقال إن الوحش يعنى أنّه سيكـون هناك اتّحادٌ قوىّ من عشر دول أوروبيّـة أو مجموعات فى الأمم سـوف تنهض فى الأيّام الأخيرة. الآن نحن نعـرِّف أننا نعـيش فى الأيام الأخيـرة لأننا رأينا قـيام هذا الاتّحـاد من دول أوروبيّة قـويّة - وهو ما ندعوه السّـوق الأوروبية المشتـركة أو المجموعـة الأوروبية الاقتصـاديّة . من خلال دراسة النّبوءات يستطيع الـواحد منّا أن يرى كيف أنّ الله أخبرنا مسبقًا عن جميع هذه التطورات .

«إنّ كلّ ما نقرؤه عمّا يحدث فى العالم اليوم يشير بوضوح إلى أنّ هذه المعركة سوف تحدث قريبًا جداً.

«وفى هذه المعركـة الأخيرة - تسـتطيع أن تعرف ذلك من خلال دراسـة زكريّا وسفر الرّؤية - فـإنّ قوى الأمم المعادية للمسيح من مخـتلف أنحاء الأرض سوف تقاتل ضدّ الملك يسوع ومـلائكته الرّائعة. وكما نعلم الآن فإنّ المسيح فى مـعركته التّاريخية الأكثر دمويّة سوف يجتاح الملايين ويدمّر أعداءه».

ولإثبات هذه النقطة ينقل كلايد عن الكتاب المقدس ٨/ ٢ :

«وبعد ذلك فإنّ الخبثاء - يعنى أعداء المسيح - سوف يظهرون، وإن الربّ سوف يبتلعهم من خلال روح فمه وسوف يدمّرهم من خلال ضوء حضوره».

قلت لكلايد إنه ليس معقولا أن يخصّص المسيحيّون أفكارًا وكلمات حول فكرة هَرْمَجَدُّون أكثر ممّا يخصّصون لأىّ مكان آخر غير الجنّة وجهنّم.

وقلت له : إنّ هذا السهل الممتدّ امامنا يبدو صغيراً جداً لاستيعاب آخر وأعظم معركة حاسمة . إنّه صغيرٌ بحيث يبدو كإحدى مزارع «نيبراسكا» . وهو صغيرٌ بحيث يضيع لو وضع فى وسط واحدةٍ من مزارع تكساس.

يعارض كلايد قائلا : «يمكن وضع مجموعة من الدبّابات هنا».

فأعود إلى القول : ولكن ماذا عن جيوش الأرض؟

وكيف يمكن أن تكون المعركة هنا أعظم معركة تُخاض وكيف يمكن أن يقتل عدّة ملايين هنا وكيف يمكن أن تبدأ حرب نوويّة هنا فى مجيدو، وتدمّر العالم؟

يجيب كلايد : إنّنا نقرأ ذلك فى الفصلين ٣٨ و٣٩ من «حزقيال» . إنّه يصف حربًا نوويّة قائلا إنه «ستنهمر الأمطار وتذوب الصّخور وتتساقط النيران وتهتزّ الأرض وتتساقط الجبال وتنهار الصّخور وتتساقط الجدران على الأرض فى وجه كلّ أنواع الإرهاب » «إن حزقيال ربّما كان يشير بذلك إلى تبادل الأسلحة النّوويّة التكتيكيّة».

إنّ تأكيدات كلايد تهزّ شعورى بالواقعيّة ومع ذلك فإنّى أعرف أنّ ما يقوله يؤمن به ملايين من الأميركيّين حرفيًا.

سألت كلايد هل يتصوّر المسيح كجنرال من خمسة نجوم يقود جيشًا؟ وهل يفسر النّصوص التّوراتّية ليقول إن المسيح كقائد أعلى سوف يدمّر القوى المتحالفة ضدّه باستعماله الأسلحة النوويّة؟

«يجيب كلايد بالإيجاب ويقول : فى الواقع يمكن لنا أن نتوقّع أن يوجه المسيح الضّربة الأولى . سوف يكشف عن سلاح جديد . وهذا السّلاح سيكون له نفس الآثار التى تسبّبها القنبلة النّيوترونيّة. نقرأ فى زكريّا ١٢/ ١٤ إنّ جلودهم سوف تتآكل وهم واقفون على أقدامهم وإن عيونهم سوف تتآكل فى مآقيها وإن ألسنتهم سوف تتآكل داخل أفواههم».

وأعود للسؤال «هل المسيح سيوجّه الضّربة الأولى».

يجيب كلايد «نعم ، إنّ المسيح سيعود إلى هذه الأرض لإعادة إقامة حكم الله ولتحقيق السّلام العالمى . وسوف يتولّى زمام قيادة العالم. وسوف يقوم بذلك كلّه من مركز قيادته فى القدس».

وأسأله وماذا عن الشّعب اليهودى الذى يعيش فى إسرائيل؟

يجيب كلايد : «إنّ ثلثى اليهود الذين يعيشون هنا سوف يُقتَلون وقد ورد ذلك

فى زكـريّا ١٣/٨٩, هناك حوالى ١٣ مليـونا ونصف المليـون يهودى فى العـالم اليوم.

وبذلك فإنّ الله يخـبرنا أنّ ٩ ملايين يهـودى سوف يُقتلون فى هذه المعـركة - أكثـر من كّل اليهود الذين قُـتلوا على أيدى النّازية - سوف يسـيل الدّم بحيث إن الله يشـبهه بالخـمر المعـصور. وعلى مـدى ٢٠٠ ميل فإنّ الدم سـوف يصل إلى ألْجمَةَ الْخيَل».

وأعود للسّـؤال لماذا يتصّـور كلايد أنّ الله يريد أن يُصـدر سلسلةً من الأحكام التى من شأنها أن تقتل معظم شعوب الأرض وأن تدمّر معظم مدنيّتنا؟

يجيب كـلايد : «إنّ الله يفعـل ذلك بصورةٍ أساسّـية من أجل شـعبـه القديم اليهود».

«لقد صـمّم فترة السبع سنوات هذه ليطهّـر اليهود وليـحملهم على رؤية النّور والاعتراف بالمسيح كمخلّصهم».

إنّنى أعترف أنّ تفسيره هذا يربكنى. هل اخـتار الله اليهود من بين كّل شعوب العالم ليكونوا أصفياءه، فقط من أجل أن يبيد معظمهم؟.

يجيب كـلايد: «إنّ الله يريد من اليهـود أن ينحنوا أمام ابنه الوحـيد الذى هو الربّ المسيح».

ويشرح كـلايد أنّ الله بعد أن يبيد ثلثى الشَـعِب اليهودى فإنّه سـيخلّص أرض إسرائيل وأنّ الله نفسه سينضم إلى معركة هَرَمَجَدُون.

وعنده كّل ما يحتاج إليه من أجل تدمير أولئك الذين صمّموا على إلحاق الأذى بإسرائيل».

بدا لى وكأنّ كلايد يحبّ إسـرائيل ولكنّه بصورةٍ خاصّة لا يحب اليـهود ويبدو أنّ عنده قليلا أو حـتّى لا شىء من النّدم نحو اليهـود أو غيرهم مّـمن يقول إنهم سوف يُقتلون.

«سوف يحتاج اليهـود الذين يعيشون فى إسرائيل إلى سبعة أشـهر لدفن جميع الجنود الموتى» وللدّلالة على ذلك يعود كلايد إلى حزقيال ٣٩/١٢: «وستمر سبعة أشهر حتى يتمكن بيت إسرائيل من دفنهم قبل أن ينظفوا الأرض».

وسألت مرة أخرى لماذا يريدنا إله الرحمة أن نستعمل الأسلحة النووية؟

أجاب كلايد : (يجب أن نتذكر أن الإنسان حصل من الله على معرفته بصناعة وإنتاج القوة المدمـرة. إن القوة النووية ليست جديدة على الله. والتـهديد بالمأساة النووية لا يأخذ الله على حين غرة. إن الله يعرف فـى كل الأوقات عدد الأسماك فى البـحار ويعـرف عدد الـنجوم فى السـماء ويعـرف عـدد حبـات الرمل على الشواطئ. إنه السـيد المطلق القـوة، إن ما يقرره يجب أن يحـدث . لا يوجد أى رجل أو أية أمة تستطيع أن تمنع تحقيق إرادة الله.

عندما يعود المسيح إلى الأرض مرة ثانية سينزل من السماء فوق القدس.

وهكذا فإن كل التاريخ قد قدر مسبقًا من الله وكل التاريخ يتمركز ويرتبط بهذه الأمة إسرائيل التى هى البؤبؤ فى عين الله.

وهكذا فى المعـركة الكبـيرة الأخـيرة فـإن الله سوف يمسك مـرة أُخرى بـزمام التاريخ الإنسانى).

النّهــاية قريبــة

خلال جولتى فى الأرض المقدسة سجلت كلمات كلايد. وعندما استمعت إليها فيما بعد بدت لى مماثلة تمامًا لما يقوله جـيرى فولويل ومعظم الإنجيليين التلفزيونيين الرئيسيين من أننا نتـحرك بسرعة نحو مـأساة نووية. لقد كتب السيناريو كـما قال كلايد. فالله يأخذ زمام التاريخ الإنسانى.

لدى عـودتى من رحلة ١٩٨٠ أجـريت تحقـيـقًا حـول مـا يقولـه الإنجيليـون الأصوليون فى موضوع هَرْمَجَـدُّون . ففي عام ١٩٧٠ حذّر (بيلى غراهام) من أن العالم (يتحرك الآن بسرعة كبيرة نحـو هَرْمَجَدُّون وأن الجيل الحالى من الشباب قد يكون آخر جيل فى التاريخ).

وفى مناسبة أخرى يقول غراهام إن أناسًا كثيرين يتساءلون أين تقع هَرْمَجَدُّون؟ وما هو مـدى قربنا منهـا؟ وفى الواقع إنها تقع إلى الغـرب من الأردن بين الجليل والسامرة فى سهل جزريل، وعندما شاهد نابليون هذا المكان العظيم مرة قال . إن هذا المكان سيكـون مسرحًـا لأعظم معركـة فى العالم. ذلك أن الكتـاب المقدس يعلمنا أن آخـر أكبر حـرب فى التاريخ سـوف تخاض فى هذا المكان من الـعالم: الشرق الأوسط).

إن الرئيس الســابق للقســاوســة الإنجيليين (س. س. كـريب) كتب فى عـام ١٩٧٧ يقول (فى هذه المعركـة النهائية فإن المسيح الملك سوف يسـحق كليًا ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادى للمسيح).

إن المؤلف (هال ليندسى يفسر كل التاريخ - تاريخ الشرق الأوسط والعالم كله - فى كتـابه آخر أعظم كـرة أرضية قـائلا : إن دولة إسرائيل هى الخط الـتاريخى لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل.

(ويقول الىندسى قبل أن يصبح اليـهود أمة لم يُكشف عن شىء، أما الآن وقد حدث ذلـك فقد بـدأ العد العكسى لحـدوث المؤشرات التى تتـعلق بجمـيع أنواع النبوءات . ولأنه يجب أن تظهر هناك دوائـر لقوى سياسية مـعينة ، واستنادًا إلى

النبـوءات فإن العـالم كله سوف يتمـركز على الشـرق الأوسط ، وخاصـة على إسرائيل فى الايام الأخيرة. إن كل الأمم سوف تضطرب وسوف تصبح متورطة بما يجرى هناك . إن باسـتطاعتنا الآن أن نرى أن ذلك يتطور فـى هذا الوقت ويأخذ مكانه الصحيح فى مجـرى النبوءات تمامًا كما تأخذ الأحداث اليوميـة مواقعها فى الصحف اليومية).

قابلت ليندسى فى عـام ١٩٨٥ خلال صلاة فطور الصباح علـى نية إسرائيل ، فهو يتمـتع بتفوق على كل أسلافه وحتى على منافسـيه فى هذا المضمار. إنه ليس مجرد مبشر بجهنم والمصير المحتـوم، إنه أستاذ متواضع (عمره ٥٠ سنة) خبير فى الشؤون الدولية والتـاريخ العالمى . ويفسر ليندسى الرؤى الدينـية بشكل حديث، مثـالا على ذلك يقول: رأى جـون فى الحلم جرادًا لهـا أذيال العقـارب ، ويقول ليندسى إن ذلك هو طائرات هليكوبتر كوبرا التى تطلق من أذيالها غاز الأعصاب. ويقـول ليندسى - الجيل الـذى ولد منذ عام ١٩٤٨سـوف يشـهد العـودة الثانيـة للمسيح . ولكن قبل هذا الحديث عـلينا أن نخوض حربين ، الأولى ضد يأجوج ومـأجوج، والثـانيـة فى هَرْمَجَـدُّون. والمأسـاة سوف تبـدأ هكذا : كل العـرب بالتحالف مع السوفيات سوف يهاجمون إسرائيل.

وفى كتـاب «العالم الجديد الـقادم» يكتب ليندسى قائلا: فـكروا فى ما لا يقل عن ٢٠٠ مليـون جندى من الشرق مع مـلايين أخرى من قـوات الغرب يقـودها أعداء المسيح من الإمبراطورية الرومانية المستحدثة (أوروبة الغربية)»!

«إن عيـسى المسيح سوف يضـرب أولا اؤلئك الذين دنسوا مدينتـه القدس. ثم يضرب الجيوش المحتشدة فى ماجيدو أو هَرْمَجَدُّون . فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى ألجـمة الخيل مسافة ٢٠٠ مـيل من القدس. . . . وهذا الوادى سوف يملأ بالأدوات الحربية والحيوانات وجثث الرجال والدماء.

ويكتب ليندسى أيضًا: «إن الأمـر يبدو وكأنه لا يصدق! إن العـقل البشرى لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللا إنسـانية من الإنسان للإنسان ومع ذلك فإن اللّه يمكن طبيعة الإنسان من تحقيق ذاتها فى ذلك اليوم».

من خلال قراءة ليندسى ، أفـتقد تمامًا حالة بكاء القـديس او غسطين فى وجه الحرب كمـا قدمت فى «مدينة اللّه» . إن ليندسى لا يبدو عليـه الحزن عندما يعلن أن كل مدينة فى العالم سـيتم تدميرها فى الحرب النووية الأخيـرة: «تصوروا مدنًا مثل لندن، باريس، طوكيو، نيويورك ، لوس انجيلوس، شيكاغو وقد أُبيدت».

إن القوة الشـرقية وحـدها سوف تزيل ثلث سكان العالـم . ويقول ليندسى : «عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا المستوى ، بحيث يكون كل شخص تقريبًا قد قتل ، يحين ساعة اللحظة العظيمة، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل.

وفى هذا الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى المسيحية».

ويقول ليندسى: «سـيبقى فقط ١٤٤ ألـف يهودى على قيد الحـياة بعد معـركة هَرْمَجَـدُّون» . . وسينحنى كل واحد منهم ، الرجل والمرأة والطفل أمـام المسيح . وكمتحولين إلى المسيحية فإن كل الناضـجين سوف يبدءون التبشير ببشارة المسيح ، ويضيف ليـندسى : تصوروا . . إنهم سيـصبـحون ١٤٤ ألف يهودى مـثل بيلى غراهام أُطلق العنان لهم فورًا».

إن جيرى فالويل ، يفضل موضوع هَرْمَجَدُّون على أى موضوع آخر.

فى الثـانى من ديسمـبر ١٩٨٤ ، بدأ قـداسه بتـلاوة الإصحـاح ١٦/١٦ من الإنجيل الذى يذكر للمرة الأولى والأخيرة كلمة هَرْمَجَدُّون ، ثم قال : .

إن الكلمة تثير الهلع فى نفوس الناس. سيكون هناك احتكاك أخير، وبعد ذلك فـإن الله سـوف يزيل الكوكب. إن النص يخـبرنـا فى المقطعين ٢١ و٢٢ أن الله سوف يدمر هذه الأرض - السماوات والأرض.

«ويقول بطرس فى كتاباته إن التدمير سيترافق مع حرارة عالية وانفجار ضخم». ويضيف فـالويل : خلال مأسـاة هَرْمَجَدُّون سـيتحـرك عدو المسيح نحـو الشرق الأوسط ويضع تمثـالا لنفسه فى المعـبد اليـهودى ، قدس الأقـداس ، ويطلب من العالم كله أن يعبدوه كإله . .

«وسيذبح الملايين من اليـهود المخلصين فى هذه الوقت (١٥,٨ ولكن قلة منهم سوف تنجـو (زكريا ٩/ ١٣). (وسيتـولى الرب بطريقة خارقة إخـفاءهم من أجل نفسه طوال ثلاث سنـوات ونصف من المحنة، بعضهم سيكون فى مـدينة البتراء - الحمراء - الوردية (فى الأردن) . أنا لا أعرف كيف ، ولكن اللّه سيحفظهم، لأن اليهود هم شعب اللّه المختار».

ينقل فالويل عن إصحاح زكريا ١١/ ١٢ و١٦/١٦ وعن إصحاح إسحاق ٣٥/ ٣٦ و ٣٥ : إنّ ساحة مـعركة هَرْمَجَدُّون سـوف تمتدّ من مجيـدو فى الشمال إلى إيدوم فى الجنوب ، مسافة حوالى ٢٠٠ ميل . وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط فى الغرب وإلى تلال مـوهاب فى الشرق ، مسافـة ١٠٠ ميل تقريبًا. إن سـهول

جزريل والنقطة المركـزية للمنطقة كلّها ستكون مدينة القدس - استناداً إلى زكريا ١٤«الآيتان» ١و٢.

ستتجمع فى هذه المنطقة الملايين المتعدّدة من الرجال (بحيث يصل عددهم إلى ٤٠٠ مليـون بدون أى شك) من أجـل المأساة النهائية للإنسانيـة. وجـاء فى الإصحاح ١٤/٣ أنّ الملوك فى جيوشهم سيأتون من الشمال والجنوب ومن الشرق والغـرب . وبشكل دراميّ مثير سيكون هذا الوادى وادى القـرار حول مصيـر الإنسانية . لماذا ستـدور المعارك هنا؟ ولماذا يقود أعداء المسيح جيـوشهم فى العالم ضد المسيح الإله؟.

«أولاً لأنّهم يكرهون سيادة اللّه ، فـالمعركة كانت دائمًا الشيطان ضدّ المسيح . تلك هى المسألة . ثانيًـا لأنّ هذه الأمم سوف تأتى بسبب تضليل الشـيطان . ثالثًا بسبب كراهية الأمم للإله عـيسى المسيح . شىء ما سيحـدث خلال هذه المعركة، سيجف نهر الفرات (إصحاح ١٢/١٦ وسيتم تدمير القدس) فى هذه الأثناء يتابع فالويل استنادًا إلى إصحـاح حنّا: (إنّ كلّ صقور السـماء سـوف تنهش من لحوم الملوك ومن لحوم القادة ومن لحـوم الرجال الأشداء ومن لحوم الأحصنة وفـرسانها ومن لحوم كل الرجال الأحرار منهم والعبيد الكبار والصغار.

ويستنتج فالويل «إنّ يوحـنا رأى وحشًا فى منامه ورأى ملوك العالم بجـيوشهم مجـتمـعين لشنّ حرب ضدّ الإله المسيح الذى يبدو فى رؤيا يوحنـا رجلا يمتطى حصـانًا أبيض . وفيمـا تقترب هَرمَجدّون من نهـايتها، ومـلايين الأموات على الأرض فإنّ الإله المسيح سيضرب الوحش والنبى الكذّاب (المعادى للمسيح) ويلقى بهما فى بحيـرة من نارٍ تغلى فيها الحجارة . وسيـذبح المسيح كل أعدائه الآخرين الذين ينجون من هَرمَجدّون».

رسم فالويل صورةً مرعبة عن نهاية العالم ولـكنّه لم يبد حزينًا أو حتى مهتمًا. وفى الواقع فقد أنهى عظته بابتسامة كبيرة قائلا : ما أعظم أن نكون مسيحيّين! إنّ أمامنا مستقبلا رائعًا!!

بعد استماعى إلى هذه العظة ، استمعت إلى تسـجيلات للدكتور جيرى فالويل يدرّس فيهـا النبوءات التوراتية - الإنجيليـة، وفى هذه التسجيـلات يقول فالويل: «وهكذا ترون أنّ هَرمَجَدّون هى حقيقة . أنّها حقيقةٌ مركبة. ولكن نشكر اللّه أنها ستكون نهاية أيام العامة (جنتيل) ، لأنها بعد ذلك سوف تعد المسرح لتقديم الملك الرب المسيح بقوّة وعظمة».

«إنَّ كل المبشرين بالكتاب المقدس يتوقّعون العودة المحتمية للإله».

وأنا أصدّق نفسى بأننا جزء من جيل النهاية ، الجيل الأخير الذى لن يغادر قبل أن يأتى المسيح».

«هناك تطوّراتٌ جرت أخيرا فى روسيا تنبأ بـها النبى حزقيال والتـى تشير إلى العودة السريعـة إلى المسيح ، الإله ، إنَّ هؤلاء الشيوعـيين هم كارهو اللَّه ، إنَّهم رافضو المسيح، وهدفهم الأبعد هو السيطرة على العالم».

ومنذ ٢٦٠٠ سنة تنبّـأ النبى العبرانى حـزقيال أنَّ مـثل هذه الأمة ستـقوم إلى الشمال من فلسطين قبل وقتٍ قصير من العودة الثانية للمسيح.

«وفى الفصلين ٣٨ و٣٩ من حزقيـال نقرأ أنَّ اسم هذه الأرض هوروش ويذكر اسم مدينتين من روش هما ميشش وتوبال.

إنَّ الأسماء هنا تبـدو مشابهة بشكلٍ مشـير إلى موسكو وتيبولسك، العـاصمتين الحاكمتين فى روسيا اليوم.

كذلك كتب حـزقيال أنَّ هذه الأرض ستكون مـعادية للَّه ، وأنه من أجل ذلك سيكون اللَّه ضدَّها. وقال أيضًا إن روسـيا أو روش سوف تغزو إسرائيل فى الأيام الأخيرة ثم قال إن هذا الغزو سيتم بمساعدة حلفاء مختلفين لروش.

ولقد سمّى هؤلاء الحلفاء : إيران (التى كنّا نسميـها فارس) ، جنوب إفريقيا أو إثيوبيـا ، شمال إفريقـيا أو ليـبيا ، أوروبا الشرقيـة (تدعى فى حزقيـال نحو ٣٨ كومر، والقوقاز فى جنوب روسيـا والذين يدعون توغارما فى هذا الفصل . وفى ٣٨/١٥ حزقيال يشرح النبى الدور الرئيسى للخيول فى هذه الغزوة.

«إن القوقازيين مشهورون بالتأكيد أنهم يملكون ويربّون أضخم وأروع الخيول فى التاريخ . إن الهدف من هذا الغزو يقـول حزقيال هو النهب Spoil. فإذا حـذفنا أول حرفين مـن هذه الكلمة يتـبين أن الروس سيكونون بالفـعل وراء النفط Oil. وهذا ما نجد عليه أنفسنا اليوم . إنها رؤيا حزقيال فيما يتعلق بروسيا».

«بالرّغم من الآمـال الوردية وغيـر الواقعيـة تمامًا التى أبدتـها حكومتـنا (حول اتفاقـيات كامب دايفيـد بين مصر وإسـرائيل) فإنّ هذه الاتفاقـيات لن تدوم. إننا نصلى بالفعل من أجل السلام فى القدس.

إننا نحترم احترامًـا كبيرًا رئيس حكومة إسرائيل ورئيس جمهـورية مصر، إنهما

من الرجال الكبار بلا شك وهما يريدان السلام بالتأكيد ولكن أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقى فى الشرق الأوسط إلى أن يأتى يوم يجلس فيه الإله المسيح على عرش داوود فى القدس.

إنَّ هذا اليوم مقبل وستكون أنت وأنا جزءًا منه. ولكن حتى ذلك الوقت لن يكون هناك سلامٌ على هذه الأرض حتى يعود أمير السلام ومخلّصنا».

لقد كانت هَرْمَجَدُّون فى عقل فالويل عندما سجّل مقابلة مع صحيفة «لوس أنجلس تايمز» فى الرابع من مارس ١٩٨١ ، فى تلك المقابلة التى أجراها معه الصحفى «روبرت شير» ، جرى الحوار بينهما على الشكل الآتى:-

شير : بالنسبة للمستقبل تتنبأ فى الكتيّب الذى أصدرته عن هَرْمَجَدُّون بحرب نووية مع روسيا.

فالويل : إنَّنا نعتقد أن روسيا وبسبب حاجتها إلى النفط وبسبب نفاد احتياطيها منه سوف تتحرك نحو الشرق الأوسط ، وخاصة نحو إسرائيل بسبب كراهيتها لليهود . وفى هذا الوقت ستنفتح أبواب جهنم .

وفى هذا الوقت أعتقد أنه ستكون هناك مأساة نووية على هذه الأرض لأنه يُقال إن الدم سوف يسيل فى الشوارع حتى يصل إلى ألجمة الخيل فى وادى اسدريلون ولمسافة ٢٠٠ ميل . وهى تحكى عن حوادث مرعبة يمكن نسبتها إلى بطرس الثالث، مثل ذوبان العناصر والحرب النووية.

شير: وروسيا ستكون...

فالويل : روسيا ستكون المهاجم وسوف تُدمَّر تدميرًا كاملا.

شير : إنَّ العالم كله سوف يدمر أليس كذلك؟

فالويل : لا ، ليس كل العالم لأن الإله سيعود إلى الأرض . أوَّلا سيأتى لإنقاذ الكنيسة . وبعد سبع سنوات فى هَرْمَجدون سيعود إلى الأرض ولذلك لن تكون مدمرة، وستعود الكنيسة معه لتحكم ولتُتوَّج مع المسيح على الأرض لمدة ألف سنة . ثم تأتى الجنة الجديدة والأرض الجديدة والخلود . إنَّ ذلك كله موجودٌ فى الكتاب حول هَرْمَجَدُّون وهو مجرد رؤوس أقلام.

شير : ولكن هل يمكن أن تدمر روسيا بالأسلحة النووية من دون أن تدمر العالم؟

فالويل : نعم ، أنا لا أعنى كل انسان - ففى روسيا مسيحيون رائعون أيضًا-. إن الكنيسـية التى تعمل تحت الأرض تحقق نتـائج سرّية مهمة فـى روسيا والصين الحمـراء. هؤلاء سوف يتم خلاصـهم. إن الحرب سـتبدأ من الشـمال - أى من الاتحاد السوفياتى نحـو منتصف الأرض - إسرائيل والشرق الأوسط - وهكذا فإننا نعتقد أن الاتحـاد السوفياتى سيكون هو البادئ بالأعـمال العدائية . من أجل ذلك فإن معظمنا يؤمن بالعودة الحتمية للإله المسيح.

إنّنا نعتقد أننا نعيش فى الأيام الأخيرة التى تسبق مجئ الرب.

شير: هل تعنى بكلمة حتمية ، سنة أو أكثر؟

فالويل : لقد حذرنا الرب من تحديد تواريخ وقال الإله : «لا أحد يعرف اليوم ولا الساعة » إننى أعتقد أن كل مجـموعة دينية أو كل زعيم دينى حدد تواريخ قد أساء إلى الرب وأحـرج نفسه. يمكن أن يكون فـى ٥٠ سنة أنا لا أعرف ولكن لا أعتـقد أن الوقت طويل هكذا . أعـتقد أننا واصلون إلـى المأزق . إن كل التاريخ يصل إلى الذروة وأنا لا أعتـقد أنه بقى أمامنا ٥٠ سنة أخرى. إننى لا أعـتقد أنّ أطفالى سيعيشون حياتهم الكاملة».

فى كتابه بعنوان الحرب النووية والمجىء الثانى لعيسى المسيح الذى نشر فى عام ١٩٨٣ وفى فصل عنوانه «الحرب القـادمة مع روسيا » يتنبأ فالويل بغـزو سوفياتى لإسرائيل يعقبه القضاء على القوات السوفياتية فى جبال إسرائيل .

وبنهاية هذا المعركة فإنّ النصوص تخبرنا أن خمسة أسداس (٨٣٪) من الجنود السوفيـات سوف يُدَمّرون (حزقـيال ٣٩/٢) . وبذلك يبدأ أول احتـفال للرب . ويجرى احـتفالٌ آخر بعـد معركة هَرْمَـجَدُّون. وسيـتوقف التهديد الشـيوعى إلى الأبد. وسيستغرق دفن الموتى مدة سبعة أشهر.

ريغان:
التسلح من أجل هَرْمَجَدُّون حقيقية

هل ترعرع رونالد ريغان فى نفس المعتقدات مثل كلايد وجيرى فولويل ، وجيمى سواغارت وغيرهم من المؤمنين «بالتدبيرية» ؟ إن أندرو لنغ من مدينة واشنطن ومدير الأبحاث فى المعهد المسيحى (وهو مركز أبحاث عن المسيحية واليهودية والإسلام) والذى أجرى دراسة معمقة عن ريغان وعن نظرية هَرْمَجَدُّون يعتقد ذلك . ويقول:

«لو لم يكن ريغان مؤمنًا بهذا النظام خلال سنوات رئاسته ، فقد كان مؤمنًا به قبل ذلك . إن الملاحظات التى حررت عن ريغان فى السبعينات، وكشف عنها للمرة الأولى فى عام ١٩٨٥ ، تثبت أن ريغان كان مؤمنًا بهذا النظام . وبأيديولوجية هَرْمَجَدُّون». وفى عام ١٩٨٤ عقد معهد الأبحاث المسيحى مؤتمرًا صحفيًا حول موضوع ريغان هَرْمَجَدُّون ، احتلّت وقائعة العناوين الرئيسة فى الصحف الكبرى فى الولايات المتحدة.

فى هذا المؤتمر الصحفى قال لانغ وآخرون فى المعهد المسيحى أرادوا إجراء تحقيق حول ريغان ونظرية هَرْمَجَدُّون. لأن إمكانينة إيمان رئيس الولايات المتحدة بأن الله قضى بنشوب حرب نووية من شأنه أن يرسم علامات استفهام مثيرة : هل يؤمن بجدوى مباحثات التسلح رئيس يعتنق هذا النظام الدينى؟ التسلح؟ وخلال أية أزمة نووية هل سيكون مترويًا وعاقلا؟ أو إنه سيكون متهافتًا للضغط على الزر، وهو يشعر فى قرارة نفسه أنه يساعد الله فى مخططاته التوراتية - الإنجيلية المقررة مسبقًا لنهاية الزمن؟

لقد ساعد لانغ فى إعداد هذه الدراسة عن ريغان وهَرْمَجَدُّون لارى جونز وهو كاتب من نيويورك ومتخرج من جامعة كولومبيا . ويقول لانغ إن المؤمن بنظرية هَرْمَجَدُّون هو أصولى يقرأ الكتاب المقدس كما يقرأ قاموسًا ليتنبأ بالمستبقل.

إن هؤلاء ، أمثال فالويل وهول ليندسى وبات روبرتسون وغيرهم من قادة اليمين المسيحى الجديد ، يعتقدون أن الكتاب المقدس يتنبأ بالعودة الحتمية الثانية للمسيح بعد مرحلة من الحرب النووية العالمية أو الكوارث الطبيعية والانهيار الاقتصادى والفوضى الاجتماعية.

«إنهم يعتقدون أن هذه الأحداث يجب أن تقع قبل العودة الثانية كما يعتقدون أنها مسجلة بوضوح فى الكتاب المقدس . وقبل السنوات الأخيرة من التاريخ ، فإن المسيحيين المخلصين سوف يرفعون ماديًا من كل وجه الأرض ويجتمعون بالمسيح فى الهواء . ومن هذه النقطة سوف يراقبوان بسلام الحروب النووية والمشاكل الاقتصادية . وفى نهاية المحنة سيعود هؤلاء المسيحيون المولودون ثانية مع المسيح كقائد عسكرى لخوض معركة هَرْمَجَدُّون ، ولتدمير أعداء الله، ومن ثم ليحكموا الأرض لمدة ألف سنة».

هل يؤمن ريغان بذلك؟.

هنا ثلاثة مصادر تلقى الضوء على هذا الموضوع:

أولا: طفولته ، وتأثير أمه نال ريغان الشديد على معتقداته الإنجيلية . فقد كانت تؤمن بالغيب إلى ما لا حدود له. (كما قال بواب سلوس المدير التنفيذى بالمحطة الإذاعية المسيحية فى كتابه عن حياة ريغان واسمه (ريغان من الداخل والخارج ١٩٨٤) لقد كانت والدة رونالد ريغان شديدة التأثير عليه فى كل شأن من شؤون الحياة، وخاصة فى نشأته الروحية. لقد كانت قارئة للكتاب المقدس . متعبدة جدًا ، مؤمنة بالمسيح وبالخلاص ، وهكذا فإن ريغان نشأ على قراءة الكتاب المقدس وزيارة الكنائس».

ويقول ريغان : لقد تربيت على الكتاب المقدس، وعلمته لمدة طويلة فى مدارس الأحد . (وكان يومذاك فى المدرسة الثانوية)

وبالاضافة إلى والدته تأثر ريغان بأصدقائه المقربين . والعديد منهم يعتنق «التدبيرية» ويؤمن بأن الله سوف يقدم امتيازات خاصة لشعبه المختار وأنه سوف يعاقبهم.

فى عام ١٩٦٨ نشر الكاتب وليم روس مقالا بعنوان «الحياة المسيحية» نقل فيها عن ريغان قوله ، إنه خلال إقامة قصيرة فى المستشفى فى ذلك العام ، زارة صديقه لاعب الكرة الأميركية السابق (دون مومو) يرافقه المبشر الإنجيلى بيلى غراهام . ثم روى ريغان للكاتب القصة الآتية:

دخلنا فى الحديث حول النبوءات المتعلقة بالمجىء الثانى للمسيح وإمكانية تحقيقها خاصة فى هذا الوقت . أخبرنى غراهام كيف أن قادة العالم الذين هم طلاب الكتاب المقدس وغيرهم من الذين درسوا الكتاب المقدس وصلوا أيضًا إلى الاستنتاج بأنه لم يسبق فى التاريخ أن تحقق هذا العدد من النبوءات فى مثل هذا الوقت القصير نسبيًا.

بعد الحديث سألت دون أن يرسل إلى مواد إضافية عن هذه النبوءات حتى أتحقق منها بنفسى فى الكتاب المقدس.

كحاكم لواحدة من أكبر الولايات الأميركية من حيث المساحة وعدد السكان كان ريغان مسئولا تنفيذيا مشغولا؛ ومع ذلك فقد وجد الوقت من عمله كحاكم لدراسة النبوءات ونهاية الزمن . ظاهريًا يبدو أن بحثه فى الكتاب المقدس قاده إلى تقبل المبدأ الذى يقول إن الله حكم على ملايين البشر الذين يعيشون اليوم بأن يقتلوا فى معركة نهائية تدعى هَرْمَجِدُّون.

فى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠ وخلال حملة ريغان لولاية ثانية كحاكم ، زار ريغان في منزله فى سكرامنتو عدد من الأصدقاء بينهم المغنى فى هوليود مات بون وزوجته شيرلى واثنان من ذوى النفوذ فى الكنيسة الإنجيلية هما (جورج اوتيس) (وهير الد بريدسون) وخلال الزيارة جرى حديث طويل عن النبوءات ومؤشرات نهاية الزمن بما فى ذلك ما وصفه أوتيس وبريدسون بأنه (تدفق روح القدس). وفى نهاية الحديث كما قال اوتيس وقف الجميع مع الحاكم ريغان يؤدون الصلاة وأيديهم متشابكة . وتنبأ أوتيس لريغان بأن يصبح رئيسا للولايات المتحدة.

وفي ٢٩ يونيو ١٩٧١ طلب الحاكم ريغان من بيلى غراهام أن يلقى خطابًا فى مجلس التشريع فى كاليفورنيا . فى هذا الخطاب أعلن غراهام أن البديل الوحيد للشيوعية هو الخطة الواردة فى الكتاب المقدس . إن الكتاب المقدس يقول إن الإنسان سوف ينتقل من مشكلة إلى مشكلة، ومن محاكمة إلى محاكمة ولكنه سيأتى يوم يتدخل فيه الله فى تاريخ الإنسان ويأتى المسيح.

بعد هذا الخطاب أقام ريغان حفل غداء على شرف غراهام حضره وزراء ريغان وكبار موظفيه كما حضره مدير مكتب غراهام فى سكرامنتو (والت هانسون).

ذكر هانسون لإذاعة نيويورك أنه خلال الغداء بدأ غراهام وريغان يتحدثان عن المجىء الثانى للرب المسيح.

سأل ريغان غراهام (هل تعتقد أن يسوع المسيح سيأتى فى سرعة وما هى مؤشرات قدومه إذا كان الأمر كذلك!) رد غراهام (إن المؤشر هو أن المسيح يقف خلف الباب وسيأتى فى أى وقت).

وفى العام نفسه قرأ ريغان عدة كتب مشهورة عن موضوع (هَرْمَجَدُّون) من بينها كتاب ليندسى (آخر أعظم كرة أرضية) الذى كان موضع نقاش متعدد فى تلك السنة كما قال السكرتير القانونى للحاكم جيرلد الينغود فى حديث إلى إذاعة نيويورك. إن الينغود هو واحد من المؤمنين بشدة ومن المعجبين إلى أقصى حد بإسرائيل بما فى ذلك الإيمان بضرورة المعركة النهائية وكان يناقش ريغان النبوءات الإنجيلية.

هناك مؤشرات ظهرت فى عام ١٩٧١ تشير إلى أن ريغان، على الأقل فى ذلك العام كان مؤمنًا بالتدبيريةأو مؤمنًا أو معجبًا بإسرائيل ومصدقًا لأيدلوجية هَرْمَجَدُّون.

ويروى (جيمس ميلز) الرئيس السابق لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا فى عدد شهر أغسطس ١٩٨٥ .من مجلة سان دياغو ، الحادثة التالية:

كانت تلك السنة الأولى فى الولاية الثانية من حاكمية ريغان وكانت السنة الأولى التى ينتخب فيها ميلز رئيسًا لمجلس شيوخ الولاية. كان الاثنان يجلسان جنبًا إلى جنب فى مأدبة أقيمت فى سكرامنتو على شرف ميلز. أثناء الاحتفال سأل ريغان ميلز بصورة غير متوقعة تمامًا إذا كان قد قرأ الفصلين ٣٨ و ٣٩ من حزقيال . أكد ميلز للحاكم أنه ترعرع فى بيت مؤمن بالكتاب المقدس، وأنه قرأ وناقش المقاطع من حزقيال التى تتحدث عن يأجوج ومأجوج (الذى يقول المؤمنون بالتدبيرية إن ذلك يعنى روسيا) عدة مرات، كما قرأ مراجع أخرى عن نهاية الزمن فى الفصلين ٦ـ١و١٩ من سفر الرؤيا.

قال ريغان إن حزقيال رأى فى العهد القديم المذبحة التى ستدمر عصرنا. ثم تحدث ريغان بتركيز لاهب عن ليبيا لتحولها إلى شيوعية ، وأصر أن فى ذلك إشارة إلى أن يوم هَرْمَجَدُّون لم يعد بعيدًا.

عند ذلك بادر ميلز إلى تذكير ريغان بأن حزقيال يقول أيضًا إن ثيوبيا ستكون من بين قوى الشيطان . وأضاف ميلز أننى لا أستطيع أن أرى (هيلا سيلاسى أسد يهوذا) يخوض مع زمرة من الدمى حربًا ضد شعب الله المختار.

قال ميلز إنه لا يعتقد أن ذلك ممكن ، غير أن ريغان أصر بقوله : أنا أعتقد

ذلك، وأظن أنه لا مفر منه ، إنه ضرورى لتحقيق النبوءة بأن اثيوبيا ستكون واحدة من الأمم المعادية للَّه التى تحارب إسرائيل . (بعد ثلاث سنوات من هذا الحديث أشار ميلز فى مقالته إلى أن الشيوعيين أسقطوا هيلا سيلاسى وأن ريغان كان سعيداً بأن يرى ما يبدو أنه تحقيق لنبوءة تتعلق بالمسيح).

فى العشاء الذى أقيم فى عام ١٩٧١ تحدث ريغان عن هَرْمَجَدُّون نووية قادمة وقال ميلز إن حديث ريغان بدا كحديث مثير إلى طالب كلية. قال ريغان لميلز إن جميع النبوءات التى يجب أن تتحقق قبل هَرْمَجَدُّون قد مرت ، ففى الفصل ٣٨ من حزقيال أن اللَّه سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة . لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفى سنة ، ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار معركة هَرْمَجَدُّون والعودة الثانية للمسيح . وعندما ذكّر ميلز ريغان أن الشىء الوحيد الذى ينص عليه الكتاب المقدس بوضوح هو أن العودة الثانية للمسيح لا يعرف أحد متى ستحدث ، رد ريغان بصوت عال: .

إن كل شىء يأخذ مكانه . لن يطول الوقت الآن ، إن حزقيال يقول : إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب اللَّه.

إن ذلك يجب أن يعنى أنهم سوف يدمرون بواسطة السلاح النووى . إنهم موجودون الآن ولكنهم لم يكونوا موجودين فى الماضى.

وتابع ريغان يقول : إن حزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج الأمة التى ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتى من الشمال.

إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال : إن يأجوج يجب أن تكون روسية.

ما هى الأمم القديمة الأخرى الموجودة إلى الشمال من إسرائيل؟ لا شىء . لقد كان ذلك غير منطقى قبل الثورة الروسية عندما كانت روسيا دولة مسيحية . إلا أن لذلك معنى الآن وقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة، الآن وقد وضعت روسيا نفسها ضد اللَّه ، الآن تنطبق مواصفات يأجوج عليها تمامًا.

فى عام ١٩٧٦ ناقش ريغان معركة هَرْمَجَدُّون فى مقابلة مسجلة مع جورج اوتيس الذى سبق له أن تنبأ بوصول ريغان إلى الرئاسة الأميركية.

يقول (أوتيس) فى كتاب له : إنه ينتظر تحقيق نبوءة حرب يأجوج ومأجوج

(التى تفسر بأنها غزو سوفياتى لإسرائيل فى المستقبل القريب)، وقد سأل ريغان إذا كان يعتقد أنه سوف ينقذ من هذه المجزرة الرهيبة خلال الحرب النهائية، علمًا بأن الخلاص من هذه المرحلة استنادًا إلى المؤمنين بالتدبيرية لا يكون إلا إذا كان المسيحى (مولودًا مرة ثانية) . وقد أجاب ريغان أنه مولود مرة ثانية ويشعر بذلك ويؤمن به.

تحدث الحاكم ريغان أيضًا عن هَرْمَجَدُّون إلى الإنجيلى (هارولد بريتسن من كاليفورنيا) ؛ وفى إحدى المناسبات زار ريغان كل من برتسون والمغنى بات بون وجورج اوتيس فى منزله ولقد سر برتسون ودهش فى الوقت نفسه بمبادرة ريغان إلى إثارة موضوع النبوءات الإنجيلية أمام زواره. ونقل برتسون عنه قوله : (إذا كان اليهودى غير مخلص لله فهل اللّٰه سيشتته فى أطراف الأرض)؟ ولكن بعد أن يحدث فهل اللّٰه سيغسل يديه منهم ؟ قبل عودة ابنه فإن اللّٰه سوف يعيد جمعهم فى إسرائيل وحتى طريقة نقلهم التى سيستعملونها سوف يفسرها النبى . لقد قال النبى : إن بعضهم سوف يأتى بالباخرة وإن بعضهم سوف يعود كالحمام إلى أعشاشه . وبكلمات أخرى سيأتون بالباخرة أو بالطائرة . وستولد الأمة فى يوم.

وأشار ريغان بالتأكيد إلى حقيقة الوعد بأن القدس سوف تدنس تحت أقدام العامة (جنيتل) إلى أن ينتهى وقت هذه العامة . وهذه النبوءة تحققت فى عام ١٩٦٧ عندما أعيد توحيد القدس تحت العلم الإسرائيلى).

ويقول برتسون : إن ما أثارنى بصورة خاصة هو أن ريغان قد نما روحيًا بشكل كبير. والمثال على إدراكه الشامل لما يجرى فى ضوء مسلسل النبوءات ، قدرته على تحديد اليوم منذ عام ١٩٤٨ الذى أعيد فيه بناء إسرائيل كأمة.

لقد تملكنى الشعور بأن ريغان يدرك تمامًا أهداف اللّٰه فى الشرق الأوسط. ومن أجل ذلك السبب فإنه يشعر بأن المرحلة التى نمر بها الآن هى مرحلة بارزة طالما أن الأحداث الواردة فى الكتاب المقدس تتحقق فى هذا الوقت.

وعندما كان ريغان مرشحًا للرئاسة فى عام ١٩٨٠ كان يواصل الحديث عن هَرْمَجَدُّون ، وقد قال ريغان (وهو مرشح للرئاسة) للإنجيلى جيم بيكر فى مقابلة تلفزيونية أجراها معه (إننا قد نكون الجيل الذى سيشهد هَرْمَجَدُّون).

ويقول المؤلف الإنجيلى دوغ ويل الذى كان حاضرًا المقابلة : إنه سمع ريغان يردد مرارًا «إن نهاية العالم قد تكون فى متناول يدنا». وفى حفل عشاء فى منزل

ريغان فى كاليفورنيا حضره ويل تحول الحديث إلى الاتحاد السوفياتى وإلى النبوءة الإنجيلية . وفى وسط النقاش أعلن ريغان (استناداً إلى ما يقوله ويل) أمام ضيوفه أننا ربما نكون الجيل الذى يرى هَرْمَجَدُّون.

إن هذه الملاحظة لم تأت صدفة . ويقول ويل إن ريغان كان يناقش النبوءات الإنجيلية على أنها مواضيع خاصة وأنه أثناء مقابلات مع ريغان حضرها ويل سمعه يقول : «إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذى سيرى هَرْمَجَدُّون».

وفى نفس السنة ١٩٨٠ أعطى ريغان مرشح الرئاسة مثلا آخر نقله معلق صحيفة نيويورك تايمز (وليم سافير) : كان ريغان يخطب فى مجموعة من القادة اليهود عندما قال : (إسرائيل هى الديمقراطية الثابتة الوحيدة التى يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هَرْمَجَدُّون).

وفى مقابلة صحيفة أجراها الصحفى روبرت شير فى مارس ١٩٨١ مع جيرى فولويل ، كشف عن أن الرئيس ريغان قال له : إن تدمير العالم قد يحدث «سريعًا جدًا». وإن التاريخ سيصل إلى ذروته» . «وبلغ فولويل الصحفى أيضًا أنه لا يعتقد أنه بقى أمامنا خمسون سنة أخرى. وسأل الصحفى إذا كان ريغان يوافق على ذلك أيضًا فأجاب : بالتأكيد ، لقد أخبرنى بذلك ريغان ونقل فولويل عن ريغان قوله له : «جيرى، إننى أحيانًا أؤمن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هَرْمَجَدُّون».

وبعد ذلك بعامين ، رتب ريغان لفولويل حضور اجتماع مجلس الأمن القومى ليستمع إلى الملخصات التى تقدم، وليناقش كبار المسئولين الأميركيين فى احتمال نشوب حرب نووية مع روسيا . كذلك ، واستناداً إلى هول ليندسى ، وافق ريغان أيضًا على أن يلقى مؤلف كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» كلمة حول الحرب النووية مع روسيا أمام إستراتيجيى البنتاغون.

فى أحد أيام أكتوبر من عام ١٩٨٣ ، كشف ريغان أن هَرْمَجَدُّون لا تزال تشغل باله . فقد اتصل هاتفيًا بتوم داين من لجنة العلاقات العامة الأميركية - الإسرائيلية، وهى أكثر اللوبى المؤيد لإسرائيل قوة واستناداً إلى داين، قال الرئيس ريغان:

«كما تعرف ، فإننى أستند إلى أنبيائك القدامى فى العهد القديم وإلى المؤشرات التى تخبر مسبقًا بهَرْمَجَدُّون، وإنى أتساءل إذا كنا الجيل الذى سيشهد ذلك . لا

أعرف إذا كنت قد لاحظت أخيرا أيًا من هذه النبوءات، ولكن صدقني إنها تصف الوقت الذى نمر به».

خاطب ريغان الاتحاد الوطنى للمذيعين الدّينيّين ثلاث مرّات فى أعوام ١٩٨٢ ، و٨٣ ، و٨٤ . ويتـألّف هذا الاتحـاد فى معظمـه من المؤمنين «بالتـدبيـرية» وبأنّ الحرب النوويّـة مقبلةٌ علـينا. ولقد قال ريـغان للمذيعـين فى عام ١٩٨٢ إنّ ذلك سيحدث أسرع ممّا نتصوّر.

وفى عـام ١٩٨٣ كشف ريغـان عن أهميّـة الكتـاب المقدس فى حـياته قـائلا للمذيعين الدّينيين : «بـين دفّتىّ هذا الكتاب الوحيـد توجد جمـيع الإجابات على جميع المشاكل التى تواجهنا اليوم».

وفى عـام ١٩٨٢ أشار ريغان إلـى أنه يتفق مع أولئك الذين يقـولون : «الموت أفضل من أن أكون أحمر» . وليكشف عن مشاعره حول هذا الموضوع روى ريغان قصـة قال فيهـا : إنه جلس مرّةً على منصّة فى تجـمّع دينىّ أقيم فى لوس أنجلس كان المغنّى بات بون المتحدّث البارز . قال بون إنّه يحبّ ابنتـيه الصّغيرتين أكثر من أى شىء آخر فى الدّنيـا وقال ومع ذلك إنّنى أفـضّل أن تموتا الآن وهما مـؤمنتان بالرّب من أن تصبـحا شـيوعيـتين». ولقد امتـدح ريغان فى حديـثه إلى المذيعين الدّينيّين المغنى بون بسبب موقفه القـوىّ ضدّ الشّيطان الشّيوعى. إنّ معظم المؤمنين «بالتدبيرية» ينظرون إلى روسيا على أنّها شـيطانّية وأنها تمثّل إمبراطوريّة الشيطان . ولقد جاهر ريغـان بذلك فى ٨ مارس ١٩٨٣ عندما قال : إن الاتّحاد السّـوفياتى هو حجـر الزّاوية فى العالم المعاصـر . وفى حديثه إلى الاتّحـاد الوطنى الإنجيلى أضـاف يقول : «إننى أؤمن أنّ الشـيـوعيّـة هى فصـلٌ حزين وسىّء فى التّـاريخ الإنسانى الذى يكتب الآن صفحاته الأخيرة».

يقول جيمـس ميلز فى المقال الذى نشره فى مجلة سان دييـغو ، والذى أشرنا إليه سـابقًا ، إنّ اسـتعمـال ريغان فى عـام ١٩٨٣ عبـارة «إمبراطورية الـشّيطان» لوصف الاتحاد السـوفييـتى لم يكن نداء محـسوبًا وبليغًـا موجهًـا إلى الأصوليين الدّينيّين والسّياسيين ، ولكنّه كـان إعلانا انطلق من الإيمان الذى أعرب عنه لى فى تلك الليلة من عام ١٩٧١ .

وكتب ميلز فى تلك المقـالة إن ريغان كرئيس أظهر بصورة دائمة التـزامه القيام بواجباته تمشيًا مع إرادة الله، وذلك كأىّ مؤمن آخر يحتل منصبًا عاليًا . وقال ميلز

أيضًا فى المقال : إن ريغان كان يشعر بذلك الالـتزام خصّيصًا وهو يعمل على بناء القدرة العسكريّة للولايات المتّحدة وحلفائها . وقال :

«صحيح أنّ حزقيـال تنبأ بانتصار جيوش إسرائيل وحلفائهـا فى المعركة الرهيبة ضدّ قوى الظلام ، ومع ذلك فـإن المسيحيّين المحافظين مـثل رئيسنا لا يسمح لهم التطرّف الرّوحى بأن يأخذوا هذا الانتصار كمـسلّمات . إنّ تقوية قوى الحقّ لتربح هذا الصّراع المهّم هى فى عيون مثل هؤلاء الرّجال عـملٌ يحقّق نبوءة الله انسجامًا مع إرادته السّامية وذلك حتى يعود المسيح مرّة ثانية ليحكم الأرض ألف سنة».

«إذا كان ريغان يؤمن الآن بما قاله لـى فى عام ١٩٧١ - وسواء كان أو لم يكن موضع تخمينات معلّقى الصـحف فى السّنوات القليلة الأخيرة - لا يخامرنى شكّ فى أنه ينظر إلى مـسئوليـاته كقـائد للعالم الغـربى . ويبدو لى أنّ معـظم قراراته السّياسيّة متأثّرة بهذا المفهوم».

«وبالتّأكيد فـإنّ توجّهه بالنّسبة للإنفاق العسكرى ، وبرودته تجاه مـقترحات نزع التسّلح النووى ملـتزمتان مع وجـهة نظره هذه التى يستمدّها من سـفر الرّؤيا» . وأضاف ميـلز يقول : إنّ هرمَجَدّون التى تنبّـأ بها حزقيـال لا يمكن أن تحدث فى عالم منزوع السّلاح . إنّ كل من يؤمن بأنّها لا بد أن تقع لا يمكن أن يتوقّع تحقيق نزع التسّلح . إنّ ذلك يناقض مشيئة الله كما وردت على لسانه.

وقال ميلز أيضًا إنّ سياسات الرّئيس ريغان الدّاخلية والماليّة منسجمة مع التّفسير اللفظى للنّبوءات التوراتيـة - الإنجيليّة . فلا يوجد أىّ سبب للغـضب حول مسألة الدّين الوطنى إذا كان الله سيطوى العالم كلّه قريبًا . فلماذا الاهتمام وإضاعة المال والوقت من أجل المحافظة علـى أشياء لمصلحة أجـيال المستـقبل طالما أنّ كلّ شىء سيذهب فى النّهاية طعمًا للّنار؟.

وكهـدف سياسى فإنّ تطبـيق عودة المسيح إلى الأرض تسـمح بصعوبة منافـسة (أمتراك) على جمع التبّرعات.

ويتبع ذلك أنّ جميع الـبرامج المحلية وخاصّة تلك التى تتطّلب إنفاقـا رئيسيا، يمكن ويجب أن تعلّق من أجل توفير المال لتمويل تطوير الأسلحة النّوويّة من أجل إطلاق الحمم المدّمرة على الشّياطين أعداء الله وأعداء شعبه. وأضاف ميلز : «لقد كان ريغـان على حق عندما اعتقـد أنّ أمامه فرصـة لينفق المليارات من الدّولارات استـعدادًا لحرب نوويّة مع يأجـوج وماجوج ، لو كـان معظم الشّـعب الذى أعاد

انتخـابه يؤمن كمـا أخبرنى هـو بما يؤمن به بالنّسبـة لهَرْمَجَـدُّون والعودة الثّـانية للمسيح».

إنّ أكثر الأمـور المثيرة للاهتمـام والتى أوردها جيمس ميلز فى مـقاله تبدو لى إعلانه بأنّ هَرْمَجَدُّون لا يمكن أن تحـدث فى عالم منزوع السّلاح . ومع ذلك فإنّ كل الدّول تكدّس المزيد من الأسلـحة ولكن لا أحـد يسـبق الولايات المتحـدة فى ذلك . واليوم واستنادًا إلى كتاب «ساحـات المعارك النّوويّة» لوليام آركن وريتشارد فليـد هوس، فإنّ الولايات المتـحدة تملك ٨٧٠ أداة من الأسلحـة النوويّة فى ٤٠ ولاية بحيث يبلغ مجموع الرّؤوس الحربية الجاهزة ١٤٥٠٠ رأس وفى ألمانيا الغربيّة يوجد ٣٣٩٦ سـلاحًا نوويًا أميركـيًا . وفى بريطانيا يوجـد ١٢٦٨ . وفى إيطاليا بوجد ٥٤٩ . وفى تركـيا ٤٨٩ . وفى اليونـان ١٦٤ . وفى جنوب كوريا ١٥١ . وفى هولندا ٨١ وفى بلجيكا ٢٥ .

وفى الثـالث من فبـراير ١٩٨٦ قالـت صحـيفـة واشنطن بوست : إن الإدارة الأميركيّـة اقترحت مواصلة البناء العسكرى فى السّنوات الخمـسين المقبلة. واستنادًا إلى وثائق الخزينة قالت الصّحيفة : إن الإنفاق على مشاريع وزارة الدّفاع يشير إلى ارتفاع من ٢٥٨,٤ مليار دولار فى السّنة الماليّة ١٩٨٦ إلى ٣٥٦,٦مليار دولار فى عام ١٩٩١ .

إنّ القدرة التـدميريّة الإجمـاليّة للقوة النووية فى الـعالم اليوم (كمـا قال وزير الدّفاع السّابق كلارك كليفورد فى ١٤ اغـسطس ١٩٨٥ أمام نادى الصّحافة الوطنى فى واشنطن) هى مليون مرّة أكبر من القنبلة التى أسقطت على «هيروشيما» . ومع ذلك تسـاءل كليفـورد ماذا علينا أن نفـعل ؟ وأجاب : «نمضى قـدمًا فى صنـاعة المزيد».

استراحة في النّاصرة

خلال رحلة منّظمة مع فولويل فى عام ١٩٨٣ إلى إسرائيل توجهنا بالسّيارات إلى القدس منّ تل أبيب، ولقد أبلغنا الدّليل الإسرائيلى أنّ الرّحلة سوف تستغرق حوالى ساعتين ونصف وأنّنا خلال ذلك لن نشاهد شيئًا ، ولذلك فإنّه من الأفضل أن نغمض أعيننا ونخلد للرّاحة . لقد تجاوب الحجّاج مع هذه الدّعوة وأغمضوا أعينهم ، فى هذه الأثناء كنّا ندخل إلى الضفة الغربية ، أرض الفلسطينيّين ، ولكن دليلنا لم يذكر الضّفة الغربيّة ولا الفلسطينيين.

كانت تجلس أمامى فى السّيارة رفيقتى فى غرفة الفندق واسمها منى وقد همست فى أذنها أنّنا نمرّ عبر أرض الفلسطينيّين . وأنّ حولنا الآن بيوت الفلسطينيين وأنّهم قد عاشوا هنا دائمًا . وأشرت إلى جدول مائىّ صغير هو نهر الأردن . إنّه مشهور فى المسيحيّة . وقلت لزميلتى منى : إن هذه الأرض يسكنها الفلسطينيّون ولكنّ دليلنا لا يذكر ذلك . بل إنه يسمى هذه الأرض باسمها الإنجيلى القديم يهودا والسّامرة . ولكنها بالنّسبة لأكثر من ٣ ملايين فلسطينى هى فلسطين.

إنّ الضفّة الغربّية مع قسم آخر هو قطاع غزة يشكّلان تقريبًا ربع فلسطين السّابقة . إنّ هذه المناطق يسكنها ١,٢ مليون فلسطينى تقريبًا . أكثر من ٤٠٠ ألف يعيشون فى قطاع غزّة ، ٨٠٠ ألف فى الضفّة الغربّية ، بمن فى ذلك ١٠٥ آلاف من العرب يقيمون فى شرقىّ القدس. إنّ هؤلاء الفلسطينيّين يشكّلون ثلث الشّعب الفلسطينى. فهناك نصف مليون فلسطينى يعيشون داخل إسرائيل وهناك أكثر ١,٥ مليون يعيشون فى المنفى فى الأردن ولبنان وسوريا والولايات المتحدة ودول أخرى.

كان جلّ سكان هذه المنطقة من الضفة الغربية التى كنا نمر بها من الفلسطينيين حتى قيام حرب ١٩٦٧ . ومع نهاية الحرب التى انتهت بنصر إسرائيل ، بدأ الإسرائيليون بناء مستوطنات يهودية على الأرض الفلسطينية.

لقد أُدينت مستعمراتهم من قبل قادة العالم، وحكم عليها باللاشرعية فى سائر المحافل الدولية. ومع ذلك فلقد تزايدت وتيرة بناء المستوطنات ويعتقد الكثيرون أن الضفة الغربية هى الآن فى طريقها لأن تصبح جزءًا من الإمبراطورية الصهيونية.

فى عام ١٩٨٣ كان اليهود يديرون ٤٠ بالمئة من الأرض ، التى شقوا فيها شبكة من الطرق. والممرات المائية ، وأعمدة الإنارة الكهربائية. ذلك العام كان أكثر من ٢٥ ألف مستوطن يهودى - ثلثهم من الولايات المتحدة - يعيشون فى مستعمرات غير شرعية فى الضفة الغربية.

كانت رفيقتى ، منى، تستمع إلى وكأننى أتهجم عليها. كانت تحاول أن تتجنب الاستماع إلى ما تعتقد أن عليها أن لا تعرفه . ثم سألت : «أى فلسطينين، أليس كل الذين يعيشون هنا هم من اليهود؟».

إن هذا هو بالتأكيد ما قرأته فى الكتاب المقدس الذى تعرفه . إنها تقرأ الكتاب المقدس يوميًا . ولكنها تعرف القليل أو أنها لا تعرف شيئًا عن التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، أو عن أى من الأحداث التى جرت منذ أن سيطر العبرانيون على القدس. وقد ثبتت عينيها على مرحلة واحدة من التاريخ وعلى قبيلة واحدة.

فى خلفيتنا الدينية الأصولية ، فإننى ومنى متشابهان . لقد نشأنا فى بيوت مسيحية، نستمع إلى الكتاب المقدس ونقرؤه . لم نتعلم شيئًا عن الشرق الأوسط فى دراستنا ، ولكننا تعلمنا فقط ما قرأناه فى النصوص العبرانية . لقد درسنا قصص العهد القديم عن تجمع الشعب العبرانى فى فلسطين وعن حروب ملوك إسرائيل وعن معاملات الله الخاصة بالشعب المختار . فمع الملايين من الأطفال المسيحيين نقرأ القصص عن إبراهيم وموسى ويهوذا وداوود وسليمان الذين يعتقد انهم الأبطال الرئيسيون فى تاريخ الشرق الأوسط . ومن أجل ذلك فهم أبطال كل الشعوب فى كل مكان ربما كذلك عند الصينيين والهنود والمصريين والفرس واليابانيين.

لقد ترعرعنا دون أن يعرف أحد منا أن العبرانيين كانوا مجموعة قبلية كغيرها من المجموعات القبلية التى سيطرت فى وقت من الأوقات على القدس لحقبة قصيرة من الزمن.

من أجل ذلك لم نعد نركز علي العبرانيين لكونهم اكتشفوا فلسطين ، ولكننا أصبحنا نعتقد أن فلسطين كانت أرضًا بلا شعب حتى وصل العبرانيون إليها. ففى عقولنا أن العبرانيين هم أول الشعوب التى جاءت بعد وقت قصير من آدم وحواء.

وعندمـا بدأنا نقرأ ونسـمع عن شعـوب أخرى فى الشـرق الأوسط، لم نتقـبلهم كشعوب حقيقية إنما كأعداء للعبرانيين وبالتالى كأعداء لله.

كنتُ ومنى، نستمع كـأطفال إلى القصص الدينية التى تعـرفنا منها مثل الملايين من الأطفال الأصوليين الآخرين إلـى العلاقة الخاصة بين الله وشعبـه المختار. لقد تعلمنا تصديق مؤلفى العهد القديم الذين أعلنوا أنفـسهم وقبيلتهم على أنهم شعب الله المفضل. وخـلال طفولتى لم أكن أتصور أن هذا الاعتـقاد يمكنه أن يؤدى إلى اقتلاع غير اليهود وإلى إثارة الحروب.

بعد فترة من الصمت سألت منى، وكأنهـا تتوسل أن لا يوجد غير اليهود على هذه الأرض ، «هل الفلسطينيون هم أيـضًا من اليهود؟». ذكـرتها بأن الفلسطينيين مسيـحيون ومسلمـون . فردت منى : «إن الأمر معـقد جدًا بالنسبـة إلى» . لقد عجـزت عن اقتـحام عقلهـا، فقد تـبنت بقوة مبـدأ الأرض المقدسـة على أساس العبارات العاطفية . وكمـا يذكرنا علماء النفس أن فى الصراع بين التفكير المنطقى والمشاعر العميقة ، فإن العواطف هى التى تجتاحنا فى العمق وبسهولة.

لقد تعلمت منى من معلمين مثل «فـولويل» أن القوانين الوضعية لا تطبق على إسرائيل . لقد تعلمت أنه من بين كل شعوب الأرض فإن الإسرائيليين وحدهم لا يمكن تطبيق القوانين التى يشترعها الإنسان عليهم ، ولكن تطبق عليهم فقط قوانين الله. فإذا كان توجيه منى وجهة الإيمان بإن الله يفضل اليهود وليس الفلسطينيين ، سواء كانوا مسلمين ، أو مسـيحيين عندئذ ، فهى كمسيحـية ، عليها أن تجعل من المواطنين المسيحيين والمسلمين شـيئًا غير موجود ، وأن تعتبـرهـم مجرد أحجار فى لعبة شطرنج إلهية.

وكمـا فى كل نوع من أنواع العنصـرية ، فقد أغـمضت عـينيها عن تـنوّعهم السياسى والدينى والثقافى . إن مسيحـية مثل منى، تتقبل الإيمان بالشعب المختار، سوف تخسر قـدرتها على فهم أو استيـعاب المشاعر . وكذلك فإنهـا سوف تعجز عن إدراك أن الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين يشـاركون فى الصورة الإنسانية وفى الوجود الإنسانى مع غيرهم من المسيحيين مثلها هى نفسها.

إن من يختـار من المسيحيين مـفهوم الشعب المخـتار ، يختار فى الوقت نـفسه مفهوم الشعب غـير المختار . لقد وضعوا المختار وغـير المختار فى نظامهم الإيمانى الذى يدعـو لوجـود اليهـود فى فلسطين ، والذى يـدعو أيضًـا لوجـود المواطنين

المسيحيين والمسلمين والذين عاشوا قرونًا فى فلسطين وخارجها (سواء كانوا هناك أو لم يكونوا) فإذا كانوا هناك حقيقة، فإنهم كانوا الحاضر الغائب وغير المنظور.

فى إحدى المرات مررنا بمشهد كان الفلسطينيون فيه واضحين جدًا. كان ذلك أحد المخيمات الكبيرة للمسلمين وللمسيحيين الذين عاشوا سابقًا على الأرض التى يسكنها الإسرائيليون اليوم . سألت إحدى زميلاتنا: ما هذا ؟ أجاب الدليل الإسرائيلى : «العرب يعيشون هنا. إنهم يفضلون أن يعيشوا هكذا ». وتابع يقول: «لقد حاولنا مصادقة العرب، غير أن هؤلاء المسلمين جميعهم إرهابيون». لقد تجاهل فى تعليقه وجود مجموعات مسيحية بينهم ، وأظهر الفلسطينيين وكأنهم جميعهم مسلمون ، أعداء الله وأعداء شعبه المختار . وفيما كان الدليل يتحدث، كانت زميلتنا تهز رأسها بالموافقة . فسألتها ما إذا كانت تعرف أن دليلنا وسائر الإسرائيليين ينظرون إلى العرب كأعداء، وأنهم يقدمونهم كأعداء لنا أيضًا؟ فردت بقولها : إذا كان العرب أعداء لإسرائيل فيستتبع ذلك أنهم أعداء لله.

لقد كان طبيعيًا بالنسبة إلى أن مقابلة فلسطينيين مسيحيين سيكون أمرًا مثيرًا . فالمسافرون غالبًا ما يتطلعون إلى مقابلة مجموعات تشاركهم معتقداتهم الدينية. إن وفود اليهود الأميركيين ، مثلا، الذين يسافرون إلى موسكو يريدون مقابلة اليهود السوفيات. وعندما يتوجهون إلى القدس يقابلون يهودًا وإسرائيليين . غير أن جيرى فولويل ومجموعته أغفلا عن عمد المسيحيين من حولنا.

إن الفلسطينيين المسيحيين فى القدس يملكون ويديرون المطاعم، ولكننا نحن المسيحيين المرتبطين مع جولة (فولويل) لم نقم بزيارة إلى أى منهم ولم نأكل فى مطعم أحد منهم. إن الفلسطينيين المسيحيين يملكون فى القدس الفنادق ولكننا لا ننزل فيها . والمسيحيون أيضًا يملكون ويديرون خطوط نقل ووكالات سفر ولكننا لم نقابل أيًا منهم.

خلال الجولة كنت أحمل أسماء عدد من المنظمات المسيحية والقادة المسيحيين الذين يعيشون فى القدس وحولها. ومن إقامة سابقة لى فى الأرض المقدسة فى عام ١٩٧٩ - ١٩٨٠ حصلت من أصدقاء مسيحيين أميركيين على أسماء وعناوين عدد من المسيحيين بمن فيهم القس (عودة رَنتيسى) رئيس البيت الإنجيلى فى رام الله ومحافظ المدينة ، كما حصلت على أسماء اثنين من الأساتذة الأميركيين وإحدى الصحفيات المسيحيات واسمها ريموندا طويل، وعلى اسم ممثل هيئة المساعدات الأميركية فى الشرق الأدنى فى القدس . لقد طلبت من الدليل أن

يسمح لنا بمقـابلة بعض الأميركـيين الموجودين فى مدينة الناصـرة عندما نصل إلى هذه المدينة . ذلك أنه منذ أيام المسـيح كانت الناصـرة مع بين لحم والقـدس مدنًا مسيحية مهمة ولا تزال كذلك اليوم. إن الناصرة هى المدينة التى عاش فيها المسيح وترعرع خلال فترة شبابه . ففى مدينة الناصرة أدى المسيح أول صلاة له وكاد يقتل عندما تحـدث بتعاطف عن أرملة لبنانيـة «صيداوية وعن عسكرى سـورى» (إنجيل لوقا ٩/٢٦/٤).

لم يخـبرنا الدليل الإسـرائيلى كـثيـراً عن المدن التى يشكل المسيـحيـون أكثـر سكانها. ومنذ قـيام الدولة اليهودية، كـانت سياستـها تقوم على عـدم الاعتراف بوجود الفلسطينيين. وقد لخـصت هذا الموقف رئيسة الحكومة السابقـة غولدا مائير عندما أعلـنت: (لا يوجد شعب فلسطـينى) . قبل وصولنا إلى الـناصرة ، أعلن دليلنا الإسرائيلى أننا لن نتوقف فى هذه المدينة . ربمـا يكون أعلن ذلك ليستوعب مسبّقًا الاعتراضات التى قد تصدر عنا نتـيجة عدم زيارتنا واحدة من المدن المسيحية الرئيسـية الثلاث. لم يسـأل أحد من المجمـوعة عن سبب هذا القـرار وعن سبب الامتناع عن زيارة مدينة المسـيح التى قضى المسيح فيهـا كل سنوات عمره من ١٢ إلى ٣٠ . غيـر أن الدليل عـاد وغير رأيه وأبـلغنا أننا سنتوقف فى الناصـرة لمدة عشـرين دقيقـة . وبرر هذا التوقف من أجل دخـول المراحيض. ومـا إن توقفت السيارة حـتى توجه كل منا إلى دكان لاسـتعمال المرحـاض. وبعد عشرين دقـيقة أقلعت السـيـارة بنا ثانية من دون أن نـرى المدينة. لقد حـاولت أن أتصـور بوذيًا يذهب إلى معـبد بوذا فى (كماكـورا فى طوكيو) أو مـسلمًا يذهب إلى مكة ، أو يهوديًا يقوم برحلة إلى حائط المبكى ، فقط من أجل استعمال المراحيض.

بذل قادتنا كما بدا لى جـهوداً خاصة ليفصلوا بيننا وبين المسـيحيين الفلسطينيين من أهالى فلسطين وغيرهم من المسـيحيين بمن فيهم الأميركيـون الذى يعيشون فى الأرض المقدسـة. يوم الأحد اقترح أحـدنا أن نتوجه إلى الكنيسـة لأداء الصلاة . وأرسل الطلب إلى (فولويل)، وعلى الرغم من وجـود عشرات الكنائس المسيـحية فى مختلف مـناطق القدس فإن فولويل أبلغنا أننا سنؤدى الصـلاة فى أحد الفنادق الإسرائيلية.

بما أننا مـسيحـيون ، وفى جولـة فى أرض المسيح ، ومن أجل التـعرف على المسيح، فإن الواحـد منا يتوقع أن يكون المواطنون المسيحيـون الذين يعود تاريخهم إلى أيام المسيح نفسه قادرين على المساهمـة فى موضوع المسيحية. ومع ذلك ولأن

عند فولويل اعتقاداً مسبقًا بأن الفلسطينيين غير موجودين، فقد عُزلت مجموعتنا وكأنها فى مركبة فضائية . لا تدرك حقيقة ما حولها. وبتجاهل أحد طرفى الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى، فإن المسيحيين المنتظمين فى رحلة فولويل تجاهلوا حقيقة الحرب بين الفلسطينيين ودولة إسرائيل . لقد فقد الحجاج معرفة الأبعاد الدينية لهذه الحرب ومؤثراتها السياسية على حياتنا جميعًا. شعرت بأنه كان من الأفضل أن نقابل المسيحيين الذين كانوا منذ أول انتفاضات القومية العربية قبل قرن من الزمن فى قلب السياسات الداخلية للشرق الأوسط. إن لقاء مواطنين مسيحيين كان يمكن أن يمكننا من فهم أكثر للغليان فى الشرق الأوسط حيث تحكم معظم الشعوب أنظمة دكتاتورية تتمثل فى نظام الحزب الواحد.

كان يمكن أن ندرك ، بالإضافة إلى ذلك ، لماذا تمر شعوب الشرق الأوسط، بمن فيها المسيحيون فى أزمة هوية. ولماذا يتخذون فكرة الوطنية التى يحاولون التمايز بها. ولماذا يحاول أشخاص وجماعات إعادة تعريف الهوية على قواعد وثنية ودينية.

لو قابلنا مسيحيين لكان بإمكاننا أن نسأل ماذا يعنى أن تكون مسيحيًا فى الشرق الأوسط اليوم؟ هل إيمانك قوى وبالتالى هل المؤسسات قوية؟ كيف هى العلاقات مع المسلمين ومع اليهود؟ هل هذه العلاقات تقوم فقط على أساس توازن القوى أو إنكم كمسيحيين ترون القوة هى قوة التضحية؟ إن فولويل لم يرشد أتباعه فى الأوقات الحقيقية وفى المكان الحقيقى حيث الشعب الحقيقى الذى يتشكل من ثلاثة أديان رئيسة تكافح من أجل التعايش على أرض يعتبرها الثلاثة أرضًا مقدسة. ولكنه قدم الأرض المقدسة وكأنها وفاء إلهى بوعود لمجموعة واحدة من الشعب . أما البقية فكما قالت (غولدا مائير) فلا وجود لها.

استحسان المسيح العسكري

خلال الجولات المنظمة فى الأرض المقدسة، لا يرافق جيرى فولويل بنفسه المجموعات من الحجاج. ولا يرافق المسيحيين إلى أى صرح مسيحى ، مثل كنيسة المهد فى بيت لحم أو أى من المواقع المسيحية الأخرى فى القدس. إنما يسافر فولويل فى الدرجة الأولى إلى إسرائيل، ويقيم فى فندق من الدرجة الأولى فى القدس، ويقابل شخصيات عسكرية وحكومية، ويتحدث فى السياسة. وباختصار، يقيم فى الأرض المقدسة، وفى مدينة القدس فقط، خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من الجولة.

فى ليلة ١٩ نوفمبر ١٩٨٣ تم جمعنا - ٦٣٠ شخصًا - فى قاعة المؤتمرات فى فندق ديبلومات فى القدس. قد وعدنا فولويل بمقابلة وزير الدفاع موشى ارينز ، والسفير السابق لإسرائيل فى الولايات المتحدة. وبانتظار وصول الوزير توفر أمامى بعض الوقت للتفكير . إن عددًا ضئيلا جدًا من دول العالم يرى المرء فيها جنودًا عسكريين أكثر مما يراه فى إسرائيل . إن نسبة العسكريين إلى المدنيين فى بلد يقل عدد سكانه عن أربعة ملايين نسمة هو واحد إلى ٢٢، وهو أعلى نسبة فى العالم. كم هو محزن هذا التطور: من إعلان إسرائيل كجنة ليهود العالم إلى أن تصبح أقل المناطق التى يعيش فيها اليهود أمانًا . وكلما أنتجوا المزيد من الأسلحة، ازدادت مخاوفهم، وقل اطمئنانهم. إنه من المثير أن خطر الانهيار والتفتت يأتى من الداخل ، أكثر مما يأتى من الأعداء الذين خاضوا معهم حروبًا عدة.

ومن أجل استدراج التصفيق قدم فولويل (موشى أرينز) على أنه مولود فى الولايات المتحدة ومتخرج من المعهد التقنى فى ماساتشوستس . بدأ أرينز معتزًا بالعملية العسكرية التى قامت بها إسرائيل فى لبنان، وقال إن هذه العملية حققت نصرًا عظيمًا ليس فقط لإسرائيل وإنما للعالم الحر أيضًا . منذ ذهبنا إلى لبنان لنقتل كل الإرهابيين. لقد أردنا أن نمحوهم تمامًا.

وفيما كان يتحدث عن ذبح الأعداء، لاحظت تغييرًا فى أسلوب الحديث

المسيحى المعروف بالهدوء والأدب. لقد جرت إثارتهم، وبدأ سيلان الادرينالين فى دمائهم ، وكأن أسدًا قد أطلق فى وسطهم . تحدث أرينز عن جيش إسرائيلى عائدا إلى لبنان وسوريا، فقفز المسيحيون على أقدامهم مصفقين. ثم تحدث أرينز وهو يشير بيده ربما باتجاه سوريا والاتحاد السوفياتى قائلا هؤلاء هم الأعداء الشيوعيون ، (إذا كانت الولايات المتحدة تقاتل إلى جانبنا فسوف ننجز المهمة).

وفيما كان أرينز يدعو إلى تجديد الالتزام بالقوة العسكرية وبحرب جديدة أكبر، كان المسيحيون يقاطعونه (١٨ مرة) بالتصفيق وقوفًا مرددين (آمين وهلوليا).

عندما كنا خارجين من القاعة سألت أحد أعضاء الوفد وهو من تكساس هل كان يدرك أن مجموتنا كانت تصفق لغزو وذبح شعب برئ؟

أجابنى قائلا (إن غزو لبنان كان عملا من إرادة الله. لقد كانت حربًا مقدسة. إننى أعتقد أن الغزو كان رائعًا لأنه كان منسجمًا مع العهد القديم ولأنه يؤكد النبوءة التوراتية - الإنجيلية. وهذا يمكن أن يعنى أننا نقترب من هَرْمَجَدُّون).

بدا الأمر مربكا بالنسبة إلى لأن إسرائيل تسير فى اتجاه العسكريتاريا بميزانية دفاعية ضخمة . وفولويل يدعو رجلا عسكريًا ليخطب فينا. لقد كان أرينز فى الواقع النجم الجذاب الذى قُدمَ إلينا نحن المسيحيين ولقد صفقنا له بحرارة وكأننا نصفق لمسيحى عسكرى. ولقد تساءلت لماذا علينا نحن المسيحيين الذين نتبع المسيح المعذب أن نصفق للمسيح العسكرى؟

لقد أجاب أحد أعضاء الوفد قائلا: إن جيرى فولويل يردد دائمًا القول : (لأن الكتاب المقدس يقول إن الذين يباركون إسرائيل يباركهم الله وإن الذين يلعنون إسرائيل يلعنهم الله).

لقد زادنى هذا الأمر إرباكًا فإذا كان الله يريد من الناس أن تتبع نهج ابنه، المسيح غير العسكرى، وإذا كانت إسرائيل بتسلحها الشديد آثمة، فإننى لا أفهم لماذا يمكن لله أن يبارك الولايات المتحدة وأن يبارك المسيحيين فى الولايات المتحدة الذين يساعدون ويشجعون الآثم.

إن إصرارى على إثارة موضوع عدم اللقاء مع أى مسيحى سواء كان فلسطينيًا أو غير فلسطينى من العاملين فى الناصرة والقدس وبيت لحم، أقنع فولويل بتنظيم لقاء من هذا النوع. كنا فى قاعة أحد الفنادق وكان فولويل يتحدث ، وبسرعة قدم إلينا معمدانيا مواطنًا فى الأرض المقدسة. لم يقدمه لنا كمسيحى فلسطينى إنما

قدمـه لنا كأحد رجـال الله واسمه نعـيم خورى، أبلغنا القس خـورى أنه عاد من دراسة إنجيلية فى الولايات المتحدة قبل أربع سنوات وبدأ التبشير فى كنيسة الإنجيل المعمدانى فى بيت لحم . وقال إنه بدأ بشـخصين فقط من الأتباع وأن عددهم الآن أصبـح مئتين. وقـد تسنى لى أن أنفـرد بالدكتـور خورى وأسـأله إذا كان أتبـاعه جمـيعـهم من العرب. فـأجاب بالإيجـاب وسألته: هل يـسمح له الإسرائيـليون بالتحدث إلى اليـهود عن المسيح؟ فقال لا. إن ذلك ممنوع. ثم سألتـه عما إذا كان يشاهد معـاناة الفلسطينيين المسيحـيين والمسلمين تحت السيطرة الإسرائيليـة ، فقال نعم. ولما سألته لماذا لا يجاهر ضد الاضطهاد؟ بقى صامتًا. إن هذا الفلسطينى هو الوحيد الـذى سمح رسميًا لنـا برؤيته وبالاستماع إلـيه من بين مئة ألف مـسيحى يعيشون فى إسرائيل والأراضى المحتلة ولم يخبرنا إلا بالنزر اليسير.

قال لى رئيس بلدية بيت لحم إليـاس فريج إن أسلافه هم مسيـحيون منذ ألفى سنة؛ وإنه يوجد فـى الشرق الأوسط ١٤ مليون مـسيحى . فـى أحد الأيام كنت أتحدث مع القسيس جـوزيف لونشتاين رئيس جامعة بيت لحم الدينية فـسألته كيف يفيـد الإسرائيليـون من خلال تشجـيع فولويل على تجـاهل المواطنين المسيـحيين؟ فأجاب:

(إن الهدف الأسـاسى للعسكرية الصـهيونيـة هو السيطرة على قلوب وعـقول المسيـحيين الأمـريكان ، فإذا اسـتطاعوا إقناع المسيـحيين الأمـيركان بـأن الشعب الفلسطينى غير موجود أو أنه غير مهـم، عند ذلك سيوافق المسيحيون على كل ما يفعله الإسرائيليون . وأضاف: لأن تشديد القـبضة الإسرائيلية على فلسطين يعنى أن المسنين المسيحـيين سيبقون وسـيموتون وأن الأحداث منهم الذين لا يسـتطيعون المغـادرة سيضطـرون إلى البقـاء من دون أى مسـتقبل أمـامهم. إن الـصهيـونيين يواصلون إقامة المسـتوطنات غير الشرعية على الأرض الـفلسطينية . والفلسطينيون يخسرون باستـمرار أراضيهم من دون أن يحرك أحد سـاكنًا . إننى لست مسرورًا من السياسة الأميريكية التى تتوافق مع المصادرة الإسرائيلية . إننى أعتبر ذلك إبادة للشعب الفلسطينى من دون أفران . إن المسيـحيين الذين يهاجرون أو الذين يموتون تحت هذا القمع هم أنفسهم المسيحيون الذين حـافظوا باستمرار على شعلة الكنيسة الأم طوال التاريخ المسـيحى . إنهم الآن يواجـهون أعتى عمـليات الإبادة منذ أيام المسـيح. لو كان المسيح هو فـولويل لوافق على كل مـا هو خطأ ولما مـات على الصليب إن فولـويل يأتى إلى القدس حيث يوجـد مسيـحيـون من حوله فى كل

مكان، ولكنه يرفض رؤيتهم. إنه يغمض عينيه وقلبه فى وجه المسيحيين الذين عاشوا هنا منذ أيام المسيح . إنه يستخدم المعاناة لإرضاء الصهاينة . إن فولويل يؤثر أن ينقلب المسيحيون على تراثهم كأتباع للمسيح . فهل كان المسيح يغمض عينيه ولا يكترث لمصير الأفراد المسيحيين كما يفعل جيرى فولويل؟ وختم القس جوزف بقوله : (إننى أدعو كل المسيحيين للشهادة على معانة الفلسطينيين).

وفى يوم آخر توجهت إلى المدينة القديمة فى القدس حيث كنت على موعد مع مسيحى آخر هو (جوناثان كتاب) الذى عاد من أميركا ليعيش فى فلسطين كمحام. لقد كان مسيحيًا بروتستينيًا إنجيليًا سألته كمسيحى عاش فى أميركا كيف يفهم عقول وقلوب الحجاج الأميركيين الذين يأتون إلى أرض المسيح لزيارة المعالم الحجرية دون زيارة المسيحيين الذين يعيشون هنا؟

أجاب بالنسبة للإنجيليين الأصوليين مثل فولويل فإن الإيمان بإسرائيل يتقدم على تعاليم المسيح.

إن المسيحيين الصهاينة يفسدون تعاليم المسيح . إن صهيونية فولويل سياسة لا علاقة لها بالأخلاق أو القيم أو بمواجهة المشاكل الحقيقية . إنه يدعو أتباعه إلى تأييد إسرائيل. ويطلب من دافع الضرائب الأميركى أن يقدم لإسرائيل ٥ بلايين دولار فى السنة. إنه يؤكد لأتباعه أنهم كمؤيدين للصهيونية فهم على الطريق الرابح والناجح. وعندما يقول لهم ذلك فهم لا يكترثون بعد ذلك لما يرون أو يسمعون من أى طرف آخر . ولأنه أشار على أتباعه بأن يضعوا الإيمان بإسرائيل فوق الإنسانية فإن القليل جدًا من المجموعات المسيحية التى تأتى إلى هنا تبحث عن المنظمات المسيحية. إن المسيحيين فى مثل هذه الجولات يمارسون فولكلوراً دينيًا بميثالوجية إسرائيل والنبوءة. إنها عقيدة تتجاهل المسيحية الإنجيلية . وأضاف كتّاب قائلا : (إن الأميركى العادى يجد ميثالوجيته جذابة جدًا؛ فهى ليست متطلبة كما أنها ليست ديانة معقدة . إنها ديانة إسرائيل الصغيرة البالغة القوة . إنه يتقاطع بين السوبرمان وحرب النجوم. إنه إله ينتقل من هنا إلى هناك بسيف نارى يدمر كل الأعداء . إنه دليل لضعاف الإيمان بأن الإنجيل لا يزال صادقًا وحيًا بالنسبة إليهم . إن الأمر يبدو وكأن (يوشع) موجود فى أخبار الصحف اليومية.

إن المسيحيين مثل فولويل الذين يتمسكون بنظرية مبسطة تسمح لهم برؤية الأحجار دون الأشخاص، يزيدون المشكلة تعقيدًا . إنهم يقدمون لإسرائيل موافقة على بطاقة بيضاء لكل أعتدتها العسكرية . إن مسيحيين كهؤلاء يشجعون

الإسـرائيليـين ليس فـقط على رفض الاعـتـراف بالفلسطينيـين، إنما على رفض الانسحـاب من الضفة الغربيـة . وفى الواقع فإن مسـيحيين مثل فـولويل يوفرون للإسرائيليين الدافع للتوسع ولمصادرة المزيد من الأرض العربية ولاضطهاد مزيد من الشعوب لأنهم يدعـون أن الله إلى جانبهم وأن العم سام راغب فـى التوقيع على الفاتورة.

(إن الإسرائيلين يعرفون أن مسيحيين جيدين وأشداء مثل فولويل، يقفون معهم على طول الخط بصـرف النظر عما يفـعلون أخلاقـيًا ومعنويًا. ومـهمـا بلغوا من القمع، فإن الإسـرائيليين يعرفون أن الصهيـونيين المسيحيين الأميركـيين هم معهم وأنهم يرغبون فى إعطائهم الأسلحة وبلايين الدولارات وأنهم سيصوتون إلى جانبهم فى الأمم المتحدة).

وقال كتّاب أيضًا إن فولويل يفضل عدم رؤية أو مقابلة المسيحيين فى أرض المسيح لأننا بمجرد وجودنا ، نتدخل فى معتقله. فلو كان راغبًا فى مقابلة مسيحيين لما كان بحاجة إلى أن يأتى لرؤيتنا ، كنا نحن نذهب لزيارته. إننى وعددا لا يحصى من الفلسطينيين المسيحيين الآخرين، نرحب بأية فرصة لزيارة المسيحيين الذين يأتون إلى هنا والتحدث معهم.

إن قسمًا كبيرًا من المسيحيين الفلسطينيين - ربما يصل عددهم إلى ٣٠ الفا - يواصلون العيش فى الجليل. وخلال جولتنا هناك التقت مجموعتنا بمسيحى معروف هو الاب (الياس شكور) . إن أسلاف شكور هم من بيت مسيحى حافظ على شعلة الكنائس المسيحية مشتعلة منذ عهد المسيح نفسه.

بحث عن حياة فولويل

توجهت إلى مدينة لينشبورغ على بعد ١٥٠ ميلا من واشنطن لمقابلة الأستاذين الجامعيين الدكتور جيمس برايس والدكتور ويليام غودمان من اللجنة المسيحية . والأستاذان أجريا بحثًا عن حياة جيرى فولويل استغرق ١٥ سنة . كنت أرغب فى أن أعرف متى بدأ فولويل تحالفه مع إسرائيل وكيف استعملت إسرائيل فولويل وعلى ماذا حصل فولويل بالمقابل . فى المطار استقبلنى الدكتور برايس وأشار إلى طائرة خاصة من نوع (ويندستريم) قال إن الإسرائيليين قدموها هدية إلى (فولويل) وإن ثمنها يتراوح بين ٢,٥ و ٣,٥ مليون دولار بالإضافة إلى نصف مليون دولار ثمن قطع الغيار ذلك أن فولويل يباهى بأنه يقطع فى الأسبوع بطائرته النفاثة ١٠ آلاف ميل داعيًا الناخبين لتأييد المرشحين الذين يفضلهم سياسيًا . أطلعنى غودمان وبرايس على إمبراطورية فولويل بما فى ذلك منزله الريفى الذى أحاطه بسور كبير ويقوم على حراسته حراس مسلحون على مدى ٢٤ ساعة فى اليوم . وقال لى دكتور غودمان إن فولويل يسيطر على هذه المدينة باستثناء الكلية التى يدرس فيها (برايس وغودمان) أبلغنى الأستاذان أنهما علما من خلال بحثهما أنه قبل عام ١٩٦٧ كان فولويل ينادى بفصل السياسة عن التبشير. لم يكن يشير إلى إسرائيل المعاصرة اليوم على الإطلاق قبل عام ١٩٦٧. ولتأكيد وجهة نظره هذه قدم إلى الدكتور برايس قصاصة من الورق تتضمن فقرات من خطاب لفولويل ألقاه فى عام ١٩٦٤ وجاء فيه :

(إن الإيمان بالكتاب المقدس كما أؤمن به يجعل التوقف عن التبشير مستحيلا للقيام بأى عمل آخر بما فى ذلك محاربة الشيوعية أو المساهمة فى إصلاحات الحقوق المدنية . إن المبشرين مدعوون ليكونوا سياسيين بل عليهم العمل من أجل كسب الأتباع المؤمنين).

ولكنه بعد الانتصار العسكرى لإسرائيل فى عام ١٩٦٧ ، تغير (فولويل) تمامًا. فقد دخل السياسة وأصبح من كبار مؤيدى الدولة الصهيونية. وكان سؤالى الطبيعى هو لماذا جعل الانتصار العسكرى لإسرائيل من فولويل صهيونيًا؟

أجاب الدكتور غودمان : (إن الانتصار المذهل لإسرائيل كان له تأثير ليس فقط على فولويل ولكن على العديد من الأميركيين. يجب أن نتذكر أنه فى عام ١٩٦٧ كانت الولايات المتحدة منغمسة فى حرب فيتنام. كان شعور الهزيمة والعجز يخيم على الكثيرين. كأميركيين كنا ندرك تمامًا تراجع سلطتنا، وعدم قدرتنا على ممارسة دور الشرطى فى العالم أو حتى فى جوارنا. إن كثيراً من الأميركيين بمن فيهم فولويل توجهوا بمشاعر من العبادة نحو إسرائيل التى نظروا إليها قوية عسكريًا بحيث إنها لا تقهر. لقد قدموا موافقتهم الكاملة لسيطرة إسرائيل على الأراضى العربية لأنهم وجدوا فى هذا الانتصار القوة والصواب . لقد أشاد مسيحيون مثل فولويل بالجنرال (موشى دايان) بسبب انتصاره على القوات العربية واعتبروه الإنسان المعجزة فى هذا العصر ، حتى إن البنتاغون دعاه لزيارة فيتنام «ليقول لنا كيف يمكن أن نربح تلك الحرب». ومع أن تلك المهمة فشلت فقد بقيت النظرة إلى دايان وكأنه إله. لم يعط أحد أى فضل للولايات المتحدة لأنها زودت إسرائيل بالأسلحة وبالتكنولوجيا وببلايين الدولارات وحتى بالعناصر الأميركية العسكرية التى ساعدت إسرائيل فى تلك الحرب . لقد ربحت إسرائيل لأن الولايات المتحدة كانت تؤيدها بلا حدود . ولكن فولويل نظر إلى الأمر بصورة مختلفة . لقد قال لم تكن هناك وسيلة ليربح الإسرائيليون لو لم يكن هناك تدخل من الله).

وقال الدكتور برايس : (بعد هزيمة التحالف العمالى وقيام كتلة الليكود اليمينية بدأ الإسرائيليون بقيادة مناحيم بيغن استعمال فولويل أكثر. ففى عام ١٩٧٨ سافر فولويل إلى إسرائيل على نفقة إسرائيل. وحتى يظهر عن مدى امتنانه فقد غرس بعض الأشجار فيما يسمى الآن غابة فولويل. التقطت له صور وهو يجثو على ركبتيه.

وفى عام ١٩٧٩ دعاه الإسرائيليون لزيارة ثانية فى الوقت الذى كان بيغن يسرع الخطى لبناء مسوطنات يهودية غير شرعية فى أرجاء الضفة الغربية كان الهدف من دعوة فولويل أن يذهب إلى هناك ليعلن أن الله أعطى الضفة الغربية لليهود. وهناك ألقى فولويل خطابًا قال فيه : إن الله يحب أميركا لأن أميركا تحب اليهود، وقال فولويل إن على المسيحيين الأميركيين أن يتدخلوا فى السياسة بطريقة تضمن استمرار بقاء أميركا صديقة لليهود أى للإسرائيليين . وأضاف فولويل إننى أؤمن بأننا إذا تقاعسنا عن حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين بالنسبة إلى الله.

ثم قال بعد ذلك الدكتور غودمان: إن فولويل (أصبح أول سياسى أميركى

مرموق يقول : إن على الولايات المتحدة حماية إسرائيل ليس فقط من أجل مصلحة إسرائيل ، ولكن من أجل المحافظة على أميركا نفسها. وبدأ يفاخر بأن الشعب اليهودى فى أميركا وإسرائيل وفى كل أنحاء العالم ليس له صديق أعز من (جيرى فولويل).

مع اقتراب انتخابات ١٩٨٠ ، ومع تسليط أضواء الصحافة الوطنية على منظمته المعروفة (باسم الأكثرية المعنوية) برز فولويل كشخصية إعلامية رئيسة ، غطى المراسلون الصهيونيون باهتمام وجهات نظره عن إسرائيل. لقد وجد فولويل مناسبات عديدة ليقول للأميركيين : إن قدر الأمة يتوقف على الاتجاه الذى يتخذونه من إسرائيل . وقال إذا لم يظهر الأميركيون رغبة جازمة فى تزويد إسرائيل بالمال والسلاح فإن أميركا سوف تخسر ذلك كله.

وسألت ماذا حصل فولويل بالإضافة إلى الطائرة النفاثة مقابل كل هذه العلاقات العامة التى يقوم بها لمصلحة إسرائيل؟.

أجاب الدكتور برايس : (يجب أن يكون ريغان قد فكر مليًا كيف يعوض على فولويل. فقد قرر أن يقدم له ميدالية تحمل اسم «فلاديمير زيف جابوتنسكى الأيديولوجى الصهيونى اليمينى » وأستاذ بيغن. . .

منح بيغن الميدالية إلى فولويل فى حفل عشاء كبير أقيم فى عام ١٩٨٠ فى نيويورك. فإذا فهمنا خلفية جابوتنسكى يمكن أن نفهم لماذا يتطلع رئيس إسرائيلى مثل بيغن إلى حليف مثل فولويل. إن لكليهما نفس الأهداف : إنهما يعشقان القوة ويبرران العنف من أجل تحقيقها).

كنت على ثقة بأن معظم الأميركيين لم يسمعوا عن جابوتنسكى. فلماذا يبدو مهما؟ أجاب الدكتور برايس: «إن جابوتنكسى يشكل مفتاحًا لفهم حقيقة أساسية وهى لماذا يحب إسرائيليون كثيرون مثل (بيغن) (وشارون) (وشامير) (وأرينز) فولويل، ولماذا يريدونه كحليف ؟ وكذلك لماذ ينظر فولويل إلى أكثر قادة إسرائيل تطرفًا وعسكرية كأبطال؟ لقد شعر فولويل بالتشريف عندما منح جائزة جابوتنسكى لأن جابوتنسكى يقول : إن القوة يجب أن تكون هى هدفك ، وفولويل يفكر مثل جابوتنسكى.

دعا جابوتنسكى إلى عدم إخضاع اليهود فى فلسطين للقوانين الوضعية . وقال: إن كل من يؤمن بالعدالة هو غبى. يجب أن لا يثق أحد بجاره إنما عليه أن يتسلح حتى أسنانه. وعلى اليهود أن لا يساوموا الفلسطينيين العرب. وأصر على

قيام دولة يهودية صافية دون أى نقاش. ومن أجل ضمان مثل هذه الدولة دعا إلى العدوان المسلح».

فى عام ١٩٢٣ أنشاء جابوتنسكى «بيتار» وهى منظمة للشبيبة المسلحة التى كانت تحث اليهودية على الهجرة إلى فلسطين . كذلك بنى ميليشيا «الهاغاناة» التى انبثق منها الجيش الإسرائيلى ، وفى عام ١٩٢٥ أنشأ رسميًا الحركة التصحيحية داخل المنظمة الصهيونية العالمية . وطالب جابوتنسكى بمملكة إسرائيل على جانبى نهر الأردن ، وحث المنظمات الصهيونية على العمل عسكريًا ضد العرب وبدون أية مساومة.

«إن الإنجيلية العسكرية عند فولويل موازية لجابوتنسكى» . وقد شرح ذلك الدكتور غودمان قائلا : إن فولويل يدعى «أن الكتاب المقدس لا يؤنب حامل السلاح » . إنه يحتقر مباحثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية ويقول : إن نسبة إنتاج الأسلحة فى أميركا منخفضة جدًا واصفا إياها بأنها «تجريد من السلاح من جانب واحد» ومثل جابوتنسكى يقول فولويل « إن النيات السلمية هى أعمال غبية».

إن فولويل هو الوحيد من بين «الجنتيل» ؟ الذى يحصل على ميدالية جابوتنسكى . الفرق الوحيد بين فلسفة جابوتنسكى وفولويل هو أن فولويل يتحدث عن المسيح . ولكنه يتحدث عن مسيح عسكرى . إنه نوع من مسيح جابوتنسكى . إن فولويل يحب إسرائيل ليس رغم عدوانيتها المسلحة ، ولكن لأنها عدوانية مسلحة. إنه معجب بإسرائيل لأن عندها جيشا قويا مستعدا . وقوة كبيرة، وعددًا كبيرًا من الدبابات والسلاح النووى.

تابع الدكتور غودمان : بعد أن وضع الإسرائيليون الميدالية على صدر فولويل بدءوا استعماله بوتيرة أكبر . ففى عام ١٩٨٠ عندما قصف بيغن المفاعل قرب بغداد تخوف من رد فعل سيىء فى الولايات المتحدة . ومن أجل الحصول على الدعم لم يتصل بسيناتور يهودى أو بكاهن يهودى ، إنما اتصل بفولويل . كان بيغن قلقًا لأننا نحن الأميركيين زودنا إسرائيل بطائرات ف ١٦ وبالقنابل لاستعمالها فى حالة الدفاع عن النفس . واستعملها بيغن لتوجيه ضربة مبكرة. وهكذا طلب بيغن من فولويل قائلا : «اذهب اعمل من أجلى» ووعد فولويل بأنه سيلبى . وقبل أن يعلق سماعة الهاتف قال فولويل لبيغن: «السيد رئيس الوزراء ، أريد أن أهنئك على المهمة التى جعلتنا فخورين جدًا بإنتاج طائرات ف ١٦».

وقال الدكتور جيمس برايس بعد ذلك : «إن أى عمل عسكرى قامت أو ستقوم به إسرائيل ، تستطيع أن تعتمد فيه على دعم اليمين المسيحى».

بعد أن قصفت إسرائيل سيادة الدولة العراقية امتدحت منظمة «الأكثرية المعنوية» الإسرائيليين «لعمليتهم العسكرية الرائعة» وقال الناطق باسمها: إن كسب الحرب هو عمل بالقاعدة الذهبية التى تقول: «إن الأمر لمن يملك الذهب».

وتابع برايس يقول : حسب ما أعرف ، فإن هذه العبارة ليست مسيحية ولا هى، أميركية ، إنه يعنى ان من يخسر الحرب لا تبقى له أية حقوق. هذا ما كان يقوله الرومان إلى الشعوب التى يغلبونها. ولكنها تختلف عن معاملتنا السخية لألمانيا ولليابان بعد الحرب العالمية الثانية؛ ذلك أنه رغم أننا ربحنا الحرب لم ندع أن لنا الحق بأن نرسل مستوطنين لانتهاك الأراضى الألمانية واليابانية».

وبالإضافة إلى استعمال فولويل فى استقطاب التأييد للضربة الإسرائيلية للعراق، سألت هل استعمل الإسرائيليون فولويل بطرق أخرى؟.

أجاب الدكتور غولدمان: «لقد أحسنوا استعماله خلال غزوهم للبنان فى عام ١٩٨٢. فلم يكن عند فولويل غير الإطراء للغزو . فقد توجه مع الناطق باسم «الأكثرية المعنوية» كال توماس لمقابلة الرائد حداد (سعد حداد) الألعوبة الإسرائيلية فى جنوب لبنان. ولما عاد إلى الولايات المتحدة ، قام بالدعاية لحكومة الليكود.

(عندما وقعت المجازر فى المخيمين الفلسطينيين عكس فولويل وجهة النظر الإسرائيلية بأن الإسرائيليين لم يكونوا متورطين . وحتى عندما كانت صحيفة نيويورك تايمز تقدم شهادات لشهود عيان عن الإشارات الضوئية الإسرائيلية التى كانت تطلق لمساعدة الكتائبيين على دخول المخيم كان (فولويل) يقول : إن ذلك هو مجرد دعاية . ومن أجل تجنيد الدعم الوطنى للغزو الإسرائيلى دعا فولويل إلى لقاء حضرته إلى جانب أعضاء فى إدارة ريغان شخصيات عديدة من بينهم الرئيس الأسبق (ريتشارد نيكسون). لقد التقت المجموعة فى مدينة (انابوليس) بولاية مريلاند مطلع شهر أغسطس ١٩٨٣ ومن بين الذين حضروا أيضًا وزير الداخلية جايمس وات ومستشار الأمن القومى ريتشارد الن ومدير مكتب المعلومات الأميركى فرانك شكسبير والزعيم اليهودى البارز يهودا هلمن وقادة اليمين الجديد ريتشارد فيغورى وبول وايرخ وهوارد فيليبس وهم مؤسسو منظمة «الأكثرية المعنوية». بعد الاجتماع قال فولويل : إن الجميع متفقون تمامًا على دعم الغزو الإسرائيلى للبنان . أخبرنى الأستاذان برايس وغودمان اعتقادهما ان فولويل وغيره

من قادة الجناح اليميـنى المسيحى قدموا تأييدهم الجاهل إلـى غزو عسكرى مجنون كلف إسرائيل ٦٥٤ قـتيلا و ٣٨٤٠ جـريحًا . إن العبء المترتـب عن دفع مليونى دولار يوميًا لتمويل جيش الاحتلال الغازى دمر اقتصاد إسرائيل وأدى إلى نسبة من التضخم لا تصدق رفـعت أسعار المواد الاستهلاكيـة إلى حوالى ألف بالمئة ودفعت بأعداد لا تحـصى من الإسرائيليين لمغادرة الدولة اليهـودية إلى دول أكثر اسـتقرارًا وخاصة إلى الولايات المتحدة.

وفوق ذلك استخلص الأسـتاذان أن القصف الإسرائيلى للبيوت ومـجازر صبرا وشاتيلا أسـاءت إلى السمعة الدولية للـدولة اليهودية بنسبة مـا أساءت الحرب إلى اقتصادها.

فى عام ١٩٨٥ قمت برحلة منظمة ثانية إلى الأرض المقدسة وخلال هذه الجولة تعرفت أكـثر لماذا يؤمن أكثر من ٤٠ مليـون أصولى إنجيلى بأن الله يفضـل اليهود على العرب.

تعرفت على زميل فى الرحلة وهو مواطن أميركى من ولاية جورجيا قال لى : إنه كان يتمنى لو ولد يهوديًا . فـسألته إذا كان يعتقد أن غيـر اليهود هم بالضرورة أسوأ من اليهود لأن اليهـود هم شعب الله المختار ؟ أجاب بالتأكيد مـضيفًا قوله: «عندما خلق الله الكون أعطى بركته لليهود . من أجل ذلك فإن اليهود هم أفضل ويختلفـون عن غيـر اليهود . إن الله أراد منذ أول الأمـر أن يحصل اليـهود على ملكيـة الأرض المقدسة ولقـد حسم الله هذا الأمـر ومَنح كل هذه الأرض لليـهود واستشـهد على قوله بآيات من الإنجـيل ولا سيما الإصحـاح ١٥/١٨ الذى يقول (لقد منحت ذرياتكم هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات.

هناك تساؤل حول معنى (نهر مـصر) ، ذلك أنه يوجد جدول الآن يعرف باسم وادى العريش وكان يعرف فـى السابق باسم نهر مصر . غير أن زمـيلى الأميركى يقول : إننى أعتقـد أن نهر مصر ليس سوى النيل» . وإذا كان ذلك صَحـيحًا فإن أجزاء من مـصر - أى سـيناء وأراض أخرى تحت السـيطرة المصرية - تقـع ضمن العطاء الإلهى لإبراهيم . وأضاف يقول «إننى أعتقد أنه عمل آثم أمام الله أن يفكر مسئولون أميركيون بوضع أية عـملية للسلام يمكن أن تنتزع قدمًا واحدًا من الأرض التى منحها الله إلى الشعب الذى يملك أقدم حقٍ بالملكية معروف للإنسانية.

وسألت ، إذا كـان صحيحًـا أن إله الكون أعطى حق الملكية لقلة ، ألا يُفـسر ذلك بالخصوصية والأفضلية والتمييز؟.

أجاب : (إن الله لم يَعد بمنح الأرض إلى غير اليهود أى العرب). وسألته أيضًا إذا كان يعتقد أن الكيان السياسى الحالى الذى يدعى إسرائيل والذى أنشىء بعد مجزرة النازية الألمانية - هو نفسه الكيان القديم الذى نقرأ عنه فى الكتاب المقدس؟

فأجاب بالإيجاب وقال : إن الأمة العبرية قامت قبل ٣٠٠٠ سنة أو أكثر والدولة العبرية التى خلقت فى عام ١٩٤٨ هما نفس الشىء . إن الإنجيل يقول : إن إسرائيل سوف تقوم من جديد وهذا ما حدث . إن ذلك يقنعنى أن الإنجيل صحيح.

وعدت بالسؤال أيضًا هل إن الناس الذين قدموا أخيرا إلى فلسطين من أوروبا - مثل مناحيم بيغن الذى جاء من بولندا وتحولوا ما بين التى جاءت من الولايات المتحدة. هل إنهم نفس الشكل من الساميين الذين عاشوا فى فلسطين قبل ٣٠٠٠ سنة !أليس هؤلاء الساميون هم شرقيون!.

أجابنى إن اليهود هم شعب من عرق واحد ، فقلت إن يهوديًا يعيش فى اليمن يمكن أن يعتبر شرقيًا ، وإن يهوديًا يعيش فى فَرنسا يمكن أن يعتبر قوقازيًا ، بينما الفلاشة اليهودى الأثيوبى يعتبر زنجيًا.

فرد قائلا : لا ، إن جميع اليهود هم من عرق واحد وكانوا كذلك منذ أيام إبراهيم.

وأكد على أن العالم يتألف من عنصرين فقط من الشعوب هما اليهود وغير اليهود . وأن عين اللّه هى دائمًا على شعبه اليهودى.

وقال لى أيضًا : إن فلسطين هى الأرض التى اختارها اللّه لشعبه المختار. وإننى لو كنت يهوديًا لكان لى الحق فى أرض فلسطين ، مثل بن غوريون ، وبيغن وشامير ، وغولدا مائير، وبوبى براون وغيرهم من المهاجرين. فبموجب قانون العودة اليهودى فإن أى مهاجر يهودى (من أم يهودية) أو تحوّل إلى اليهودية يمنح الجنسية.

وسألته عما إذا كان يؤثر التحول إلى اليهودية . فأجاب بالنفى مؤكدًا على أن من واجبات المسيحيين مباركة اليهودية ودعمهم فى كل ما يتطلعون إليه والوقوف إلى جانبهم . وقال:

«لقد كانت إسرائيل على حق فى غزو لبنان . فإذا صادروا أراضى عربية فإن لديهم الحق الإلهى فى أن يفعلوا ذلك ، وكان يجب أن يأخذوا أكثر».

وسألته هل الكتاب المقدس يقول : إن اللّٰه أراد من إسرائيل أن تغزو لبنان وفى الوقت المحدد الذى قامت فيه بعملية الغزو؟ فرد بالإيجاب.

وقال : إن الغزو كان جزءًا من الرؤيا. إن الفلسطينيين الذين قاتلوا الإسرائيليين والذين هم جزء من منظمة التحرير الفلسطينية، استعملوا أسلحة قدمها لهم الاتحاد السوفياتى، وهكـذا فإن الحرب كانت حرب الاتحاد السوفـياتى بالواسطة حيث إن منظمة التـحرير كانت تقـاتل فى مكان الروس. وهكذا فإن هزيمة منظمة التـحرير كانت هزيمة للروس».

وأضاف يقول : إن الكتاب المقدس يبين لنا أيضًا أن علينا أن نتوقع هجومًا يشنه على إسرائيل الروس واتحاد القادة العرب . إنـنا على ثقة من أن هذا الهجوم قادم لأن كتابى دانيل وحزقيال تنبآ به.

وقال كذلك : «إننا نؤمـن أن التاريخ يطوى الآن مرحلته السابـعة وهى مرحلة الذروة: إقامة مملكة المسيح ، حـيث يحكم المسيح من القدس لألف سنة . إن كل اليهود سيتحولون إلى المسيحية وسـوف يساهمون فى مملكته الألفية، مملكة حقيقية على الأرض تكون القدس مركزها الرئيسى.

وسألته عن أسماء الأحداث التى يجب أن تسبق المرحلة السابعة، فأجاب:

«أولاً: عودة اليهود إلى أرض فلسطين.

ثانيًا : إقامة دولة يهودية.

إن خلق إسرائيل جـديدة مع عودة اليـهود إلى الأرض التى وعدهـم اللّٰه بها، يعطياننا دليلا لا يناقش على أن خطة اللّٰه المباركـة هى موضع التنفيذ، وأن العودة الثانية لمخلصنا قد تأكدت. وبالنـسبة إلى أن خلق دولة إسرائيل هو أهم حدث فى التاريخ المعاصر . فإنها تمثل الخطوة الأولى نحو بداية نهاية الزمن».

«لقد أعطانا اللّٰه إشارة فى عام ١٩٦٧ عندمـا منح النصر لإسرائيل على العرب ومكّن اليهـود من أخذ الأرض التوراتية يهـودا والسامرة والسـيطرة العسكرية على مدينة القدس. فـلأول مرة مذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة أصبـحت القدس تحت سيطرة اليهود. وقد أثارنى ذلك لأنه جدد إيمانى بقوة وبمصداقية الكتاب المقدس.

ثالثًـا : التبشـير باللاهوت لجـميع الأمم بما فى ذلـك إسرائيل . فـمن خلال الموجات القـصيـرة لأجهزة الراديو والتلـفزة نشرت رسـالة المسيح حـول العالم .

ولدينا الآن ٤٠ بعثة إنجيلية خارجيـة حول العالم . لقد وصلت الدعوة إلى جميع الأمم.

رابعًا : صعود الكنيسة ، وأنا أتوقع ذلك فى أى وقت.

خامسًا: وقوع الفتنة حيث تحدث مـعاناة كبيرة . وسيعانى كل أولئك الذين لم يؤمنوا من عذاب شديد ، وسيخوضون الحروب - بقيادة أعداء المسيح.

سادسًا: وقوع معركة هَرْمَجَدُّون.

إننى مع كونى سعيـدًا لعودة اليهود إلى فلسطين ولقيام إسـرائيل ، فإننى أشعر أن اليهود لم ينجـزوا مهمتهم تمـامًا . إن على اليهود اليوم اسـترجاع كل الأرض التى أعطاها اللّٰه للعبرانيين . أى أن على اليهود أن يملكوا كل الأرض التى منحهم اللّٰه قـبل عـودة المسيح . إن عـلى العرب مـغـادرة هذه الأرض لأن هذه الأرض تخص اليهود . الله أعطى كل هذه الأرض لليهود.

زيارة الجبل المقدّس

خلال الجولة التى قمت بها إلى الأرض المقدسة فى عام ١٩٨٥، زرت مع مجموعة من الحجاج مدينة القدس. وصلنا إلى الحرم الشريف الذى يضم قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وهما يمثلان أكثر الصروح الإسلامية قدسية فى القدس. وقفنا أمام المسجد مواجهين الحائط الغربى، وهو جدار من الحجارة البيضاء عرضه ٢٠٠ قدم وطوله ١٢٠٠ قدم، ويعتقد أنه الأثر الوحيد المتبقى من الهيكل اليهودى الثانى.

قال لنا الدليل وهو يشير إلى قبة الصخرة وإلى المسجد الأقصى: هناك سنبنى الهيكل الثالث. لقد أعددنا جميع الخطط لبناء الهيكل. حتى إن مواد البناء أصبحت جاهزة. إنها محفوظة فى مكان سرى. هناك معامل عديدة يعمل فيها الإسرائيليون لإنتاج التحف الفنية التى سنستعملها فى الهيكل الجديد. إن أحد الإسرائيليين ينسج الآن قماشًا من الحرير الخالص لاستعماله فى صناعة أثواب الحاخامين فى الهيكل.

وفى مدرسة دينية تدعى «ياشيف اتيريت كوهانيم» - أى تاج الحاخامين - وتقع بالغرب من هذا المكان، فإن رجال الدين يدرسون الآن كيف يقدمون التضحية بالحيوان.

سألت سيدة من مجموعتنا اختصاصها (الكمبيوتر) : هل سيعودون إلى التضحية بالحيوان كما كان الأمر فى أيام سليمان ؟ ولماذا؟ . فأجاب الدليل الإسرائيلى :«لقد فعلنا ذلك فى الهيكلين الأول والثانى . ولا نرغب فى تغيير العبادات . إن رهباننا يعلمون أن إغفال دراسة تفاصيل خدمة الهيكل هو إثم».

ولما غادرنا المكان تحدثت مع زميل لى فى المجموعة حول ما قاله الدليل من أن هيكلا سيقام مكان قبة الصخرة دون أن يذكر شيئًا عن مصير الصروح الإسلامية . فأجابنى : سوف يدمرون هذه الصروح.

إن الإنجيل يقـول : إنه يجب إعادة بناء الهيكل . ولا يوجـد مكان آخر لذلك سوى هذا المكان . إنه مذكور فى قوانين موسى.

وسألت ألا يبدو معقولا أن النص حول بناء هيكل يتعلق بالوقت الذى كتب فيه النص وليس بأحداث فى القرن العشرين؟ . فأجابنى بالنفى مؤكدًا أن الأمر سيغلق بنهاية الزمن . إن الكتاب المقدس يخبرنا أنه «فى نهاية الزمن يجدد اليهود التضحية بالحيـوان». وقال إن إعـادة بناء الهيكل سـتمكن اليـهود من اسـتئناف التـضحـية بالحيوان». ثم استشهد بحزقيـال ٤٤/٢٩ ليثبت هذه النقطة . وسألته عما إذا كان مقتنعًـا بأن على اليهود بمساعـدة المسيحيين تهـديم المسجد لبناء هيكل والتضـحية بالحيوان من أجل إرضاء الله ؟ فأجـاب : إن هذا ما يجب عمله . إنه فى الكتاب المقدس . إن توقـيت إعادة البناء سيـشكل الخطوة التاليـة فى الأحداث المؤدية إلى عودة الرب. إن الكتاب المقدس لا يقول لنا كم يجب أن يكون حجم الهيكل ، إن كل ما يخبرنا به هو أنـه سيكون هنا تجديد فى التضحية . وهذا يتـطلب نسبيًا بناء صغيراً . لقد مارس اليهود طقوس التـضحية ، حتى عام ٧٠ بعد الميلاد. وعندما يكون لهم هيكل سيتولى ذلك اليهود الأرثوذكس الذين سيذبحون الأغنام والثيران فى المعبد ويقدمونها قرابين لله.

تركت المجمـوعة تتـسوق من المحلات الـتجارية وتوجـهت وحيـدة إلى الحرم الشريف. كـان ذلك يوم جمعـة. وكما أن باريـس كانت لآلاف السنين فرنسـية، كذلك فـإن القدس كانت طوال تاريخـها عربيـة. لقد جاء العـموريون إلى المدينة المقدسة قـبل ٤ أو ٥ آلاف سنة. ثم جاء الكنعانيون من كنعـان وذلك قبل وصول العبرانيين بعدة قـرون. وعندما وصلت قبيلة العبرانيين وهى واحـدة من عدة قبائل كانت مـوجودة فى المنطقة ، أقـاموا فيـها أقل من ٤٠٠ سنة. وهم كغـيرهم من الذين سبقـوهم ولحقوا بهم منوا بالهزيمة . وأبعدوا عنهـا قبل ٢٠٠٠ سنة. إن ما نسميه نحن فى كتب التاريخ فى الغرب ، بأنه الشرق ، سيبقى كذلك.

إن مساحـة الحرم الشريف تبلغ ٤٠ (آكر) ويغطى سـدس المدينة القديمة . ولمدة ١٣ قرنا، منذ القرن السـابع حتى اليوم وبلا انقطاع، - باستـثناء ٨٨ سنة من فترة الصليبيين المسيحيين - حـافظ المسلمون على - المكان المقدس - القدس؛ وحكموه من خـلال المجلس الإسلامى الأعلى وذراعـه التى تدعى الأوقاف الإسـلاميـة ، والتى تدير ليس فقط الحـرم الشريف ، وإنما تدير كـذلك٣٥ مسجدًا آخـر، وعدة مقابر وغيرها من المواقع الإسلامية المقدسة داخل المدينة القديمة.

فى عـام ١٩٦٧ سيطـر الإسرائيليـون عـسكريا على المدينة القـديمة. وبسـبب

حاجتهم إلى مساحة كبيرة تجاه حائط المبكى ، أزالوا بآلياتهم الحى المغربى - الذى سمى كذلك نسبة إلى منطقة بـ شـمال إفريقيا - مما أدى إلى تشريد ما بين ٥ و ٦ آلاف شخص كانوا يعيشون فى هذا الحى. إن إزالة البيوت والمدارس والمساجد فى المنطقة أثار اهتـمام مدرسة التنقـيب عن الآثار وهى مدرسة إنكليـزية فى القدس. وخوفًـا على سلامـة الصروح الإسـلامية الرئيـسة حـول الحرم الشـريف، أجرت المدرسـة دراسة عـن الفن المعمـارى الإسـلامى منذ ١٣٠٠ سنة ، وركـزت على الصروح التى يجب أن تحفظ.

وتبين دراسة المدرسة الإنكليـزية أن هناك ٣٠ صرحًا إسلامـيًا فى المدينة القديمة من عهود الأمويين والعباسيين والأيوبيين ، و ٧٩ صرحًا من العهد المملوكى و ٣٧ بناء من العهد العـثمانى . وتتحمل سـلطات الأوقاف مسئوليـة معظم هذه المبانى التى تحـدد معـالم المدينة القديمة وأجـواءها . وهى لذلك على درجـة كبيـرة من الأهمية فى تحديد معالم شخصيتها.

لقد زرت قـبة الصـخرة وهى واحدة مـن أجمل الصروح فى العـالم - والتى تقارن غالبًا بجمال تاج مـحل - . لقد تم بناؤها فى عام ٦٨٥ بأمر من عبد الملك ابن مروان ، الخليفة الأموى فى دمشق.

إن هذا البناء الذى هو الأجمل فى القدس تم تشييـده لسبب وحيد وهو حماية الصخرة الضخمـة. إننى أنظر إليها فلا أجد سوى مادة معـدنية . غير أن المسلمين ينظرون إلى الصخـرة فيرون فيهـا الخلود ، الحجر الأساس للكون مـركز العالم ، وأساس عقيدتهم.

كان النبى مـحمد يعتـقد أن أصول الصخـرة الضخمـة فى الجنة. واليوم يؤمن ٨٠٠ مليون مسلم أن الله أسرى بالنبى محمد من فوق هذه الصخرة إلى السماء.

بعد زيارة الحرم الشريف تملكنى الخوف من أنه إذا شن اليهود المتعصبون بمؤازرة المسيحيين المتعصبين حربًا مقدسة، أو جهادًا ضد المسلمين، وإذا أقدموا على تدمير أكثر الأماكن الإسـلامية المقدسة فى القدس ، فـإنهم قد يتسببون فـى حرب عالمية ثالثة ومجزرة نووية.

وطالما سألت نفسى هل تجـاهل مشاعر المسلمين يمثل الأصولية المسـيحية؟ وهل قادة الأصولية المـسيحية الإنجيلية لا يدركـون ولا يكترثون وحتى يحتقـروا مشاعر حوالى مليار مسلم فى ٦٠ دولة حول العالم؟.

لقد بنى العبـرانيون هيكلهم الأول فى القدس عام ٩٥٠ قبل المسـيح. وقد دمر

هذا الهيكل فى عام ٦-٥٨٧ قبل المسيح على يد البابليين . ثم بنوا الهيكل الثانى فى عام ٥١٥ قبل المسيح ودمر هذا الهيكل فى عام ٧٠ بعد المسيح على يد الرومان. إن علماء الآثار لم يجدوا أى أثر يشير إلى أين كان يقع الهيكل الأول أو الثانى، غير أن الكثيرين يعتقدون أنهما شيدا فى الموقع الذى تقوم عليه أكثر الأماكن الاسلامية قدسية.

على الرغم من أن المسيح دعا إلى إقامة المعابد فى النفس ، فإن الأصوليين المسيحيين يصرون على أن الله يريد أكثر من بناء معبد روحى، إنه يريد معبداً حقيقياً من الأسمنت والحجارة يقام تماماً فى الموقع الذى توجد فيه الصروح الإسلامية.

قال زميل لى فى الجولة تعليقاً على ذلك: إننى أعتقد أن الإرهابيين اليهود سوف ينسفون الأماكن الإسلامية المقدسة. وأن ذلك سوف يتسبب فى إثارة العالم الإسلامى ودفعه لشن حرب مقدسة ضد إسرائيل مما يحمل المسيح على التدخل . إن اليهود يعتقدون أن المسيح سوف يأتى للمرة الأولى. وعند المسيحيين نعرف أن عودته ستكون الثانية . إننى واثق من أنه سيكون هناك هيكل يهودى ثالث. هذا ما يردده هول ليدنسى فى كتابه: «آخر أعظم كرة أرضية» فهو يقول :-

«لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل فى المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية . وهو إعادة بناء الهيكل القديم فى موقعه القديم. ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى فى جبل موريا حيث شيد الهيكلان السابقان.

التحريض على الحرب المقدّسة

تحدّثت في واشنطن إلى ريزنهوفر الذى يترأس منّظمة تدعى «مؤسّسة معبد القدس» التى أنشأها مع عدد آخر من الأميركيين لمساعدة الإرهابيين اليهود على تدمير الأماكن الإسلامية المقدّسة. يعيش ريزنهوفر فى كاليفورنيا حيث يترأس شركة ألسكا للعقارات وشركة «بيوت الحزام الشمسى» . أنشأ ريزنهوفر كذلك شركة للتنقيب عن النّفط تعمل فى الجزء المحتل من فلسطين الذى يدعى الضفّة الغربيّة . إنّ ريزنهوفر مسيحى سبق له أن قدّم فى البيت الأبيض أمام تجمّع من الجناح اليمينى المسيحى أغانى شاركه فى تقديمها شونى برون، وهو شريكه أيضًا فى مخططات شراء الأراضى الفلسطينيّة فى الضفّة الغربيّة . إنّ برون أحد النّاجين من معسكر الاعتقال فى أوشويتس وهو الآن مواطن يحمل الجنسيتين الأمريكيّة والإسرائيليّة.

يعتبر ريزنهوفر نفسه «نهيميا جديدا» . إنّ نهيميا التوراتى تفرّغ لإعادة بناء القدس. ويعتقد ريزنهوفر أنه مدعوّ لإعادة بناء الهيكل على الرّغم من أنّه من العامّة (جنتيل) وعلى الرّغم من أنّ معظم اليهود والمسيحيّين والمسلمين لا يوافقون على برنامجه وعلى تكتيكه.

من أجل أن ينقل إلى إسرائيل الدّولارات المعفيّة من الضّرائب التى يجمعها من الأغنياء الأميركيين ساعد ريزنهوفر فى تنظيم وفى تزعّم مؤسّسة التّعاون اليهودى المسيحى فى أميركا. ويعاونه فيها دوغلاس كريفر كمدير تنفيذى والحاخام الأميركى دافيد بن أمى وهو مقرّب من آريال شارون كرئيس.

بالإضافة إلى ذلك فإن ريزنهوفر عمل كرئيس مجلس إدارة مؤسسة هيكل القدس واختار سكرتيرًا دوليا له ستانلى غولد فوت الذى يعتبر إرهابيا إنّ غولد فوت الذى هاجر إلى فلسطين من جنوب إفريقيا فى عام ١٩٣٠ أصبح عضوًا بارزًا فى عصابة شترن.

لقد هزّت هذه العصابة العالم بالمجازر التى ارتكبتها ضدّ العرب من الرّجال

والنّساء والأطفـال ، حتى إن شخـصيّات مثل دافـيد بن غوريون ندّدت بالعـصابة ووصفتها بالنّازيّة واعتبرتها خارجة على القانون.

استنادًا إلى صحيفة دافار الإسرائيليّة فإنّ غولد فوت هو الذى وضع القنبلة التى دمّرت جـناحًا فى فندق الملك داوود فى القـدس، فى ٢٢ يوليو ١٩٤٦. وكـانت تقيم فى الفندق السكرتيـريّة العامة لهيئـة الانتداب البريطانى ، كما كـان ينزل فيه عدد من ضـباط الأركان العسكريّة العـامّة. لقد أسـفرت تلك العمليّة عن مـقتل حوالى ١٠٠ بريطانى ومسئـولين آخرين، وكما خطّط الصّهيـونيّون فقد أدّى ذلك إلى تسريع الانسحاب البريطانى من فلسطين.

على الرّغم من أنّ ستـانلى غولد فوت الذى هو واحدٌ من الإسـرائيليين الأشدّ تصميمًـا على بناء الهيكل ، لا يؤمن بالله وبالمقدّسات المذكورة فـى العهد القديم فإنّه مـع حلفائه يّبـرر خطّته العـسكريّة للسّيطرة على الحـرم الشّريف باسـتعـمال النّصـوص التّوراتيّـة. إنّهم يقولون : إن الـله منح الأرض المقدسـة لإبراهيم وابنه يعقوب وليس لإسماعيل الابن الآخر لإبراهيم.

ويفسّر ذلك إسرائيل ميـدا عضو المنّظمة اليمينيّة المتطرّفة فى حزب تحـيا فيقول: «إنّ كّل ما فى الأمـر هو السّيـادة . إنّ من يسيطر على جـبل المعبد يسـيطر على القدس. وإنّ من يسيطر على القدس يسيطر على أرض إسرائيل . إنّ هذه الأرض هى أرض إسرائيل وليست أرض إسماعـيل . وإذا لم ينجح العسكريّون اليهود فى طرد العرب من الحـرم الشّريف خلال هذا الجـيل ، فإنّ ذلك سيحـدث فى الجيل القادم. لقد اشـترى الملك داوود جبل المعبد وسـدّد ثمنه ونحن نملك «كوشان» أى شهـادة ملكية وهى «الكتاب المقـدس». خلال زيارتى للقدس حـاولت أن أتعرف أكثر على مؤسّسة «معبد القـدس» من جورج جياكو ماكيس الذى يترأس منذ عدّة سنوات معـهد دراسات الأرض المقـدّسة وهو مدرسـة أنشأها ويديرها الإنجـيليّون الأميركيّون لإجراء دراسات أركيولوجيّة ونظريّة.

أبلغنى جيـاكو ماكيس وهو أمـيركى من أصل يونانى، أنّ ستانلى غـولد فوت يعمل على إعادة بنـاء الهيكل. وأنّه إذا تطلّب ذلك العنف فلن يتردّد باستـعماله. لقد زار غولد فوت بتمويل من ريزنهوفـر الولايات المتّحدة عدّة مرّات حيث تحدّث عبر أجهزة الرّاديو والتّلفزة الدينّية وفى الكنائس البروتستنتية داعيًا المسيحيّين لتقديم العطاءات والتبرّعات لبناء الهيكل دون أن يذكر أنّ ذلك يتطلّب تدمير مسجدين فى نفس المكان.

يعترف غولد فوت أنه حصل على أموال من «السفارة المسيحية الدولية» يعتقد الكثيرون أن تمويلها يأتى من جنوب إفريقيا. وعندما سئل الناطق باسم «السفارة» جان وليم فان درهوفن عن ذلك نفى أن تكون السفارة متورطة بشكل مباشر فى جهود إعادة بناء الهيكل. ولكنه قال عندما يتطوع المؤيدون للتبرع من أجل بناء الهيكل فإنه يوجههم إلى غولد فوت .مع ذلك فقد أعدّت السفارة شريطًا تباع النسخة منه بخمسة دولارات يتضمن رسالة مسجلة حول خطط إعادة بناء الهيكل فى مكان الحرم الشريف . وأحد المتحدثين فى هذا الشريط هو فان درهوفن نفسه.

فى واشنطن التقيت بالقس جيمس ديلوخ راعى الكنيسة المعمدانية الثانية فى هيوستن ، وقد أعطانى اسمه وعنوانه تيرى ريزنهوفر وغولد فوت فسألته : إن غولد فوت يريد أن يدمر المسجد أليس كذلك ؟. فأجاب: «فى الواقع إن كل يهودى ممن أعرف يريد أن يرى المسجد وقد أزيل. ولكنهم أخبرونى أنهم يعتقدون أن المسجد سوف يدمر بأمر من الله . بهزة أرضية أو بشىء آخر ، بحيث إنهم لن يقوموا هم باى عمل». وسألته : ولماذا يعمل وهو المسيحى من أجل بناء هيكل يهودى ؟ فيجيب : اهتمامى فى مؤسسة هيكل القدس ليس اهتمامًا بالمعبد فى الدرجة الأولى . إن اهتمامى الأساسى هو الحرية الدينية . إن ما يقلقنى اكثر من أى شىء آخر أنه فى أرض إسرائيل أكثر الأماكن قدسية لدى المسيحيين واليهود والمسلمين يوجد جبل الهيكل ، والمسلمون يمنعون المسيحيين باستمرار من أداء صلواتهم. على هذا التل فى المكان الذى ولد فيه المسيح . نحن الذين نؤمن بالحرية المسيحية، وهذا يعنى أننا نؤمن بالحرية الدينية. ومن ثم فإن من حق أى إنسان متدين أن يمارس طقوس ديانته بحماية كاملة من القانون. أى إنسان ، سواء كان مسيحيًا إنجيليًا ، أو يهوديًا، أو كاثوليكيًا ، أو مسلمًا . غير أنه فى القدس، أحد أقدس المناطق ، فإنه ممنوع على المسيحيين الصلاة . وباستثناء الحرية الدينية ليس لى اهتمام آخر فى المعبد. . أما عن ريزنهوفر فإننى لا أعرف تمامًا نياته وحقيقة إيمانه.

رغم أن ريزنهوفر مسئول عن مشروع الدعم الذى يصل إلى مائة مليون دولار فى السنة ، فهل يعقل أن يكون ديلوخ جاهلا نياته وحقيقة إيمانه؟. . . يجيب ديلوخ:

«إن الله أعطى تيرى نعمة القدرة على جمع الأموال. وهو كريم فى تقديم الهدايا . وكمثال على كرمه فإن ريزنهوفر جمع أموالا كبيرة للمحامين الذى رافعوا

عن ٢٩ مسلحًا إسرائيليًا قصفوا المسجد الأقصى فى عام ١٩٨٤. وقد تمكن المحامون من تبرئتهم وإطلاق سراحهم بعد اعتقالهم ومحاكمتهم . لقد كلفنا تحرير هؤلاء مبالغ طائلة من الأموال.

وأبلغنى ديلوخ كذلك أن جماعة ريزنهوفر يقدمون الدعم إلى معهد ميشيفا الذى يعد الكهنة للخدمة فى المعبد الذى يأملون فى بنائه . إن ٢٥ طالبًا من طلاب يشيفا يخصصون ساعة فى كل يوم وبعد ظهر كل يوم من كل أسبوع ، للتركيز على دراسة أنظمة العبادة فى الهيكل . ويقوم ثلاثة معلمين بتدريس الطلاب كيف يحرقون البخور وكيف يلتزمون بقوانين الطقوس الدينية فى الهيكل بما فى ذلك كيفية تقديم القرابين الحيوانية.

وسألت أخيرًا ديلوخ، ماذا إذا نجح الإرهابيون اليهود الذين يؤيدهم فى تدمير قبة الصخرة والمسجد الأقصى وأشعلوا فتيل حرب عالمية ثالثة وإبادة نووية ، ألا يكون مع ريزنهوفر مسئولين؟.

فأجاب بالنفى . وقال : لأن ما يقومون به هو إرادة الله.

مارس الصهاينة الوطنيون ضغوطًا متواصلة على الحكومات الإسرائيلية من أجل بسط سيطرتها على الحرم الشريف. إن البرلمان الإسرائيلى شأنه شأن مجلس القضاء الأعلى، خوفًا من أن يؤدى تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة إلى حرب عالمية ثالثة، يقول إن القرار لا يقع فى إطار سلطاته إنما يقع فى إطار - هالاشا - أو القانون الدينى.

وينص قانون هالاشا بوضوح على أنه لا يسمح لأى يهودى بدخول الجبل المقدس إلى أن يأتى المسيح اليهودى . هكذا قضى الحاخام والفيلسوف ميمون الذى عاش فى اسبانيا فى القرن الثانى عشر، وكذلك كبير الحاخامين إبراهام إسحق حاكوهن كوك. ومع أن معظم اليهود الأرثوذكس يلتزمون بهذا الحظر، فإن كثيرين آخرين من اليهود الأرثوذكس والعلمانيين لا يلتزمون به.

منذ عام ١٩٦٧ - عام السيطرة العسكرية الإسرائيلية على القدس، فإن الوطنيين اليهود، والكثير منهم حاخامات إسرائيل، ومن الموظفين والجنود والطلاب الدينيين قصفوا أكثر من مائة مرة المواقع الإسلامية . إن حاخام القوات المسلحة شلومو غورن (الذى أصبح فيما بعد أكبر الحاخامين فى إسرائيل) كان فى مقدمة الذين عصوا حظر هالاشا الذى حذف قبل عدة قرون. ففى أغسطس

١٩٦٧ ، قاد خمسين متطرفًا مسلحًا إلى الموقع من أجل - كما ادعى - إقامة قداس ديني.

إن عمليات الهجوم التى تعرض لها الحرم الشريف كان يقودها كهنة مسلحون. ويقول الحاخام شلومو آمنين : «يجب ألا ننسى أن السبب الرئيسى للعودة من المهاجر ولإقامة دولتنا هو بناء الهيكل . إن الهيكل هو قمة الهرم».

طوال العقدين الماضيين (١٩٦٧ - ١٩٨٦) فإن جميع عمليات التخريب التى تعرض لها المسجد على أيدى اليهود المسلحين ، لم تتعرض للإدانة من قبل كبير الحاخامين السفريين أو الإشكناز.

ويقول صحفى إسرائيلى: إن كبار الحاخامين الذين يتلقون رواتبهم من الدولة ، لم يدينوا أبدًا العنف وهذا دليل على أن الأمر ليس فظيعًا.

منذ عدة سنوات أبدت السلطات الإسلامية مخاوفها من أن تؤدى أعمال اليهود المسلحين والحفريات التى تجرى تحت المسجد ، إلى تدمير هذه الأماكن المقدسة، ولقد تحدث الشيخ محمد شقرا مدير المسجد الأقصى فى مؤتمر صحفى فى عام ١٩٨٣ فقال: إن الحفريات الأثرية الإسرائيلية تحت المسجد لم تسفر إلا عن إلقاء الضوء على آثار من العهود الأموية والعباسية والعثمانية. ولم يجد الإسرائيليون أية أدلة تؤكد أن معبدًا أقيم فى أى وقت فى هذا المكان.

منذ مطلع السبعينات ووزارة الشؤون الدينية الإسرائيلية تقوم بحفر نفق على طول الحرم، وتحت عدد من الأبنية التاريخية. وهدفها هو العثور على أدلة بأن الهيكل الثانى شيد فى هذا الموقع . واستنادًا إلى عدنان الحسينى المسئول عن الممتلكات الإسلامية ، فإن النفق الآن يمتد ألف قدم (أكثر من طول ثلاثة ملاعب لكرة القدم). ومن وجهة نظر هندسية فإن النفق لم يشق بصورة علمية. إن خمسة مبان بما فيها عدة مدارس ومكاتب تابعة للسلطات الإسلامية تواجه الآن مشاكل نتيجة التصدع . ويزداد هذا التصدع مع التقدم فى شق النفق.

أجريت فى القدس مقابلة مع عالم الآثار الأميركى غوردن فرانز - من نيوجرسى - الذى أمضى عامين فى أعمال الحفريات مقيمًا فى (معهد الأرض المقدسة » فى القدس. عندما زرته فى غربى القدس كان برفقته مجسم للقدس القديمة فى عهد المسيح ، أو كما يقول : الإسرائيليون فى عهد الهيكل الثانى. وفيما كنا نتفرج على المجسم الذى يحتل مساحة غرفة كبيرة، سألته: هل هناك أية دلائل على أن الهيكل كان قائمًا حيث يضعه المصمم فى هذا المجسم ؟ أى فى الموقع الذى يقع فيه المسجد الأقصى وقبة الصخرة؟.

أجابنى : «لا توجد دلائل على أن الهيكل كان هناك أو أنه لم يكن هناك . إن بعض الناس يعتقد أنه كان هناك.

وسألته : هل يعنى بذلك «ايغى يوناه» اليهودى الإسرائيلى الذى صمم المجسم؟ فرد قائلا:

«هناك عدة نظريات حول الهيكل . كثيرون يقولون : إنه يقع حيث تقع قبة الصخرة اليوم . ولذلك يقول الصهيونيون يجب إزالة المسجد. ويقولون : إن إرادة الله، مثل هزة أرضية سوف تدمره، أو إن شخصًا ما سوف يقوم بنسفه بالديناميت . إن كبير الحاخامين الإشكناز الحاخام غوردن يعتقد أن الهيكل كان يقع إلى الشمال قليلا من قبة الصخرة . وثمة نظرية ثالثة تقول : إن الهيكل كان يقع على الجانب الشمالى من الساحة . وهم يعتقدون أن قدس الأقداس يقع قرب قبة الروح القدس. والرأى الرابع أن الهيكل قد سبق أن تم بناؤه ، على شكل كنيس ضخم فى شارع جورج الخامس فى غرب القدس. والذين يتمسكون بهذه النظرية يستشهدون بقول إسحق، عندما سئل أين بيتى؟ ويفسرون هذا النص بأنه يعنى أن الهيكل لم يكن فوق الأرض الإسلامية اليوم، ولكنه كان فى مكان آخر».

وعدت إلى السؤال : أين كان موقع الهيكل قبل ٢٠٠٠ سنة كما تعتقد؟ فرد قائلا : «انى لا أعرف . لا أحد يعرف . كل ما نعرفه هو أن كل أولئك الذين يقولون : إنهم يريدون الهيكل ، يريدون فى الدرجة الأولى تدمير المسجد . ليس لدى أية فكرة كيف سيتم التدمير . ولكنه سيحدث . . إنهم سيبنون هيكلا هنا. كيف ومن ومتى وأين لا تسألينى؟!.

ويؤكد إسرائيلى يهودى مهاجر من اسكوتلندا ويدعى أشر كوفمان أن لديه أدلة ثابتة بأن المعبد الهيكل اليهودى لم يكن قائمًا فى الموقع الحالى لقبة الصخرة إنما إلى الجنوب منه. وعلى الرغم من أن كوفمان ليس عالمًا فى الآثار إلا أنه أستاذ للفيزياء فى الجامعة العبرية. وقد كتب مقالا مطولا حول هذا الموضوع نشر فى مجلة «الآثار التوراتية»؛ واعترف فى المقال أن الحكومة الإسرائيلية موّلت دراسته.

ولتحليل مقالة كوفمان تحدثت مع البيولوجى الأميركى جيمس جاننغ الذى يعيش فى شيكاغو والذى سبق له أن أجرى دراسات جيولوجية كبيرة فى مصر والأردن وفلسطين. سألته إذا كان يوافق على نظرية العالم الفيزيائى؟ فقال :

إننى أشعر بقوة أن وراء الدراسة دوافع سياسية . إن بحثًا سليمًا يمكن أن يؤدى إلى اعتراضات لا حصر لها.

إننى أعتـرض بشدة على الطريقة وعلى اسـتعمال افـتراضات خاطئـة ومضللة وعشوائية . إننى أعتقد أن دراسـة جديدة يمكن أن تؤدى إلى استنتاج مختلف. إن لكوفمان نظرية مثيرة ولكن لا يمكن القبـول بأكثر من ٥٠ بالمئة منها» . وسألته : ما هى الفوائد السياسيـة لإسرائيل من وراء الدعم والترويج لدراسة تقول للعالم : إننا لا نريد تدمير المسجد لبناء الهيكل ، وإننا سنقـيمه إلى جانب قبة الصخرة؟ . فرد قائلا:

«كثير من الصهاينة الإسرائيليين يفضلون المضى فى المخطط خطوة خطوة . فإذا لم ينسـفوا المسجـد فإنهم يتـمنون أن ينظر إليهم كـمعـتدلين ، بدلا من مـخاطر الدخول فى حـرب مقدسة ١٥٠ مليـون مسلم يحيطون بإسـرائيل .إن بعض قادة إسرائيل يختبرون الأجـواء السياسية لبناء الهيكل إلى جانب المسجـد . فإذا حققوا ذلك ، فـإنهم قد يعـمدون لا حقًـا إلى إزالة الحرم الـشريف . إنهـا لعبة الـقوة السياسية.

أخبرنى مستـوطنو غوش – وثلثهم يحملون الجنسيتين الأميـركية والإسرائيلية ، «إنه إذا كان تدمـير المسجد من أجل بناء الهـيكل سوف يتسبب فى نـشوب حرب كبيـرة ، فليكن ذلك». إنهم «كرواد» يحملون سـلاحًا مرخصًـا به، يتطلعون إلى الإثارة والمقامرة والتحدى الجديد. وقال لى أحدهم وهو بوبى برادن من بروكلين : «عندما بدأنا عملياتنا بمصادرة الأراضى باعتماد تكتيك حرب العصابات، من أجل إقامة المسـتوطنات ، بدا لنا ذلك مثيـرًا. وقال : أما الآن فقد بدأنـا نضجر . إننا مسلحون تمامًا. ونشعر بأن وجود مسجد وسط أرضنا يشكل وصمة لنا. إذا نظرت إلى أية صورة من صور القدس تجد هذا المسـجد . يجب إزالة هذا المسجد . يوما ما سنبنى معبدنا هناك . يجب أن نفـعل ذلك لنبين للعرب وللعالم كله أن لليهود السيادة على القدس، والسيادة على كل أرض إسرائيل».

كنت أجالس براون فى منزل (من المنازل المصنوعة مـسبقًا فى مستـعمرة «تاكوا» قرب بيت لحم. اعتـرف براون بأنه ومجموعة أخرى من المهـاجرين صادروا أرض المستعمرة بالقوة المسلـحة من الفلسطينيين . فى ذلك العام ١٩٧٩، أخبرنى براون أنه مع غيره من مستوطنى غوش سوف ينغمسون جدًا فى السياسة . وقال سيكون لنا حزبنا ويـدعى «تحيا» . وسـوف نستعـمل أعضاء الحـزب كقوة ضـغط لإقرار مشروع بناء الهيكل».

قلت له : إن بناء هيكل للعـبادة شىء ، وتدميـر المسجـد شىء آخر، ذلك أن

التدمير يمكن أن يؤدى إلى حرب بين إسرائيل والعرب. فرد قائلا : «تمامًا، إن هذا ما نريده أن يحدث. لأننا سوف نربحـها . ومن ثم سنقوم بطرد العرب من أرض إسرائيل. وسنعيد بناء الهيكل وننتظر مسيحنا».

فى مطلع عام ١٩٧٩ التقت مجموعة من اليهود الأرثوذكس المتطرفين من حركة غوش ايمونيم فى شقة قـائدهم الروحى فى مستوطنة كريات أربع (وهى مسـتعمرة يهودية أقيمت فى قلب مدينة الخليل العربيـة)، وكان موضوع اللقاء بحث تخريب اتفاقيات كـمب دايفيد. قال لى براون : «لقد خفنا أن تؤدى هـذه الاتفاقيات إلى قيام دولة فلسطينيـة». كان المرشدان الروحيان لهؤلاء المستـوطنين الحاخام موش لا فينغر ، والحاخام اليعازر والدمان وهو عضو فى البرلمان عن حزب تحيا.

إن أعضـاء حركة غوش الذين عـقدوا الاجتمـاع كانوا يتألفون من ضـباط فى الجيش ومن شخصيات يمينية بارزة ، ومن أصـحاب نفوذ فى حكومة بيغن . ولقد قرروا فى بداية الاجتماع نسف قبة الصـخرة . ولم تعرف أسماء الإرهابيين اليهود وتفاصيل عملياتهم إلا فى عام ١٩٨٤ ، بعد محاكمة أقروا خلالها باعترافات عن الجرائم التى اتهموا بارتكابها.

وفى مجلـة «صوت القرية» الصـادرة بتاريخ ١٢ نوفـمبـر ١٩٨٥ نشر روبرت فريدمان تفاصيل مخطط تدمير المسجد كما يلى :

حـصل مناحيم ليـغنى - قائـد وحدة احـتيـاط فى فرقـة الهندسة فى الجـيش الإسرائيلى وقائد الحركة السرية فى منظمة غـوش - على صور حديثة للمسجد . واتفق مع طيار من سلاح الجو على سرقة طائرة لقصـفه. غير أن ليغنى فضل بعد ذلك الهجـوم الأرضى». مجموعـة من اليهود الخـبراء بالمتفـجرات قاموا بقـياس جدران المدينة القـديمة حتى سـاحة المسجـد. وبُنى نموذج عن المسجـد، وأجريت تجارب لتحـديد الوقت اللازم للعملية. وجـرت تجربة تفجيـر القنابل المصنوعة فى الصحراء . وحـدد ليغنى اتجاه انهـيار المسجد بعد نسـفه والمدى الذى ستتنـاثر فيه أشلاؤه . كان المهم عدم إلحاق الأذى باليهود فى المناطق المجاورة ، كما كان المهم عدم إلحاق أى ضرر بحائط المبكى - الحائط الغربى - وأخيراً حصل المتآمرون على إجازات لحمل رشاشـات أوزى وقنابل مسيلة للدموع للتغلب علـى حرس المسجد من المسلمين».

فى الوقت الذى كـان متطرفـو غوش يخططون لنسف المـسجد ، كـانوا - فى الوقت نفسـه - يخططون لاغتيال ثلاثة من رؤسـاء البلديات الفلسطينيين، إبراهيم

الطويل - البيرة ، وكريم خلف - رام اللّه ، وبسام الشكعة - نابلس - وذلك برزع قنابل فى سياراتهم . لقد نجا الطويل دون إصابة ، غير أن القنبلة انفجرت فى مرآب سيارته وأدى انفجارها إلى إصابة خبير متفجرات إسرائيلى بالعمى. أما خلف فقد فَقَدَ أحد قدميه. وكانت إصابة الشكعة الأخطر، فقد فَقَدَ ساقيه. ويقدم لنا الصحفى فريدمان دلالات واضحة على أن مسئولين إسرائيليين كباراً نظروا إلى إيذاء رؤساء البلديات الفلسطينيين بارتياح. فقال فى مقاله:

«بعد يومين من حادث التفجير فى الضفة الغربية، عقد المجلس اليهودى المحلى فى يهودا والسامرة - وهو لجنة منتخبة من قادة المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية - اجتماعه الشهرى بمشاركة الجنرال بن اليغازر الحاكم العسكرى فى الضفة الغربية . واستناداً إلى اثنين من المستوطنين الذين حضروا الاجتماع ، أعرب اليعازر عن رضاه للهجوم على رؤساء البلديات قائلا : إنه يأسف فقط لأن مهمة الاغتيال لم تكتمل فصولا . ويذكر أحد أعضاء المجلس بنكوس ويلرشاين : أن كل من كان حول الطاولة كان سعيداً أو مبتسمًا. . .».

وذكر فريدمان فى مقاله أن ناثان ناثانسون أحد الذين زرعوا القنبلة فى سيارة الشكعة - ورئيس جهاز الأمن فى مستوطنة شيلو ، غادر الاجتماع مطمئنًا إلى أن الحركة السرية تتمتع بدعم الجيش والحكومة على أى مستوى. ونقل عن اليعازر قوله : إن الحركة السرية قامت بعمل من أجل مجد وسلامة الشعب الإسرائيلى».

وقال بنزيون هاينمان الذى حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات لدوره فى الحركة السرية لمنظمة غوش : إن جميع المستوطنين اليهود فى كل أرجاء الضفة الغربية احتفلوا بالهجوم على رؤساء البلديات، وعندما سمعوا فى قيادة الأركان العسكرية بما حل بالشكعة فى نابلس، أجرى القادة والجنود احتفال «براها» على كأس من النبيذ.

فى عام ١٩٨٣ استقال يهوديت كراب نائب المدعى العام الذى كلف بالتحقيق فى القضية . وقد اتهم كراب مناحيم بيغن بطمس التحقيق لأسباب سياسية . وتساءل كراب : « كيف يمكن للحكومة الإسرائيلية أن تتخذ إجراءات ضد أى عربى يقذف حجراً ، وتتقاعس عن محاكمة المستوطنين - اليهود - الذين يفتحون النار على العرب؟.

خلال المحاكمة قدمت هيئة الدفاع عن منظمة غوش «قنبلة سياسية دفاعية» .

وهى أن شين بيت - جهـاز الاستخبارات الداخلى - كـان يعرف هوية الإرهابيين اليهود فور قيامهم بالهجوم على رؤساء البلديات.

وكان الجهـاز على علم مسبق بهجوم يـهودى على كلية إسلاميـة . وقد فشل «شين بيت» فى اعتـقال أى أحد . واسـتنادًا إلى وكيل الدفاع يافى إسـحق ، فإن السلطات السياسـية والعسكرية العليا حثت الحركة السـرية على اتخاذ إجراءات لا تستطيع أن تقوم بها دولة ديمقراطية».

وخلال المحاكمة قدم الإرهابيون اليـهود الأرثوذكس أنفسهم على أنهم مدافعون على الحـقوق اليـهودية فى الضـفة الغـربيـة. وقال يهـودا أتزيون (المنظّر الروحى للمـتآمـرين) أمام المحكمـة : إنه بدأ عام ١٩٨١ يدرس إمكانيـة «تطهيـر» الموقع الإسلامى بإزالة الصرح الإسلامى القائم عليه، وهى مهمة قال : إنه يعتقد أنه كان على الدولة أن تنفذها مباشرة بعد حرب ١٩٦٧ . ولما لم تقم الحكومة بذلك ، قال اتزيون فى اعترافاته، أدرك أن عليه هو نفسه أن ينسف الصروح الإسلامية.

على الرغم من أهميـة الجرائم فإن الأحكام التى صـدرت كانت خفيـفة بشكل مذهل . ولـذلك ما إن أعلن القـضاة عن هذا الأحكام حـتى تحولت القـاعة إلى كرنفال ، كما قال أحد الصحفيين الإسرائيليين. وبدأ المشاهدون والمتهمون يتبادلون قبلات التهانى ويغـنون أغانى وطنية . المؤيدون فى مـستوطنـات الضفة الغـربية وصفوا المتهمين بأنهم «أبطال إسرائيل» ودعوا إلى منحهم الميداليات ، ذلك لأن اللّه اختارهم لتغيير القانون اليهودى لهذه البلاد. إن القانون بيـد اللّه ، كما قال أحد المستوطنين اليهود الذى هاجر من نيويورك فى عـام ١٩٣٥ وهو يقيم فى مستعمرة كريات أربع فى الخليل.

«لقد قلت لابنى : إن عليك أن تفعل كما فعل هؤلاء ، حتى يكون هناك مزيد من الناس الذين يريدون التخلص من العرب».

على الرغم من أن الإرهابيين اليهـود لا يشكلون فى ذواتهم قوة سياسيـة، فقد أصبحوا نقطة ارتكاز للفـاشية الإسرائيلية . فأثناء اعتقـالهم لم يتقدم للدفاع عنهم سوى حـزب تحيا وحركـة كاهان كاخ. ولكن فى يوليو ١٩٨٥ فـإن كل الأحزاب اليمينية والأحزاب الدينية وحتى بعض أعضاء حزب العمل كانوا يعملون من أجل إطلاق سراحهم.

أطلق أعضـاء فى البرلمان مثل اريل شـارون وغولا كوهين وغـيرهما من كـبار المسئولين الإسرائيليين على المجرمين الذى حكم عليهم بأنهم «أبطال عظام».

فى ضوء الحكم الخفيف - الذى صدر ضدّه، واحتمال العفو عنه - قال اتزيون (٣٤ سنة) إنه كان يعـرف أن محاكمتـه ستتم ولكنه واثق أنه فى محكـمة التاريخ سيكون - مئة بالمئة - غير مذنب لأن البناء (قبة الصخرة) سوف يزال .

جرى جمع التبرعات فى الولايات المتحدة لتسديد بدل النفقات القانونية لإطلاق سراح الإرهابيين . ولم تصطـدم هذه العمليات مع القـوانين الأميركـية التى تنص على تسـجيل التـبرعـات التى ترسل إلى الخارج إذا تجـاوزت ١٠ آلاف دولار فى السنة ، علماً بأن التبرعات تجاوزت ١٠٠ ألف دولار.

حصدت منظمة غـوش ايمونيم التبرعات من أميركـا التى تجاوزت مئات الآلاف من الدولارات. إن أكبـر المساهمين كـان ماركوس كـاتس تاجر أسلحـة مكسيكى ثرى، كان يمثـل صناعة الأسلحـة الإسرائيلية فـى ايران ثم فى أميركـا الوسطى . ساعد كاتس كذلك على تمويل معركة قانونية شنها ايريال شارون ضد مجلة تايم. أما سيريل شتـين الذى يلقب بملك صناعة القمار فى لندن ، فقد قدم مـبالغ كبيرة من الدعم لمنظمة غوش ايمونيم.

الخزينة الأميركيـة هى المصدر الأكبر لتمويل غوش ايمونيم ولتمـويل مستوطناتها غير الشـرعية فى الضفـة الغربية. إن مئات الملايين مـن دولارات دافعى الضرائب تمنح إلى المستوطنات اليـهودية غير الشرعية ولـتجهيزها بالبنية التـحتية . وللدلالة على ذلك فـقد وظفت الحكـومة الإسـرائيلية العـديد من إرهابيى حـركة غـوش كموظفين فى الضفة الغربية.

إن الدراسة التى أعدها روبرت فريدمان تشير إلى أن مائير كاهانا - الحاخام من نيويورك - حقق نجاحـا أكثر من منظمة غوش من أجل الحصـول على دعم اليهود الأميركيين . ومنذ إنشاء منظمة الدفاع اليهودية فى عام ١٩٦٨ جمع كاهانا ملايين الدولارات من رجال الأعمال اليهود.

ومن بين أثرياء اليـهود الذين دعمـوا منظمة الدفاع الـيهودية ، روبين مـاتيوس مـؤسس ورئيس شـركة المثلجـات هاغن - دايز - . ويعـتـرف الحاخـام كـاهانا للصحفى فريدمان أن التبرعـات التى يحصل عليها من الأثرياء اليهود تزايدت منذ انتخابه عضواً فى الكنيست (البرلمان) . إن أهم القـواعد لجمع التبرعات اليوم هى فى نيويورك ولوس انجيلوس.

فى أكتوبر ١٩٨٥ جـردت وزارة الخارجية كاهانا مـن جنسيته الأميـركية. ومع ذلك فقـد استمـر فى التنقل بسهـولة بين إسرائيل والولايات المتـحدة . فقـد أقام

كاهانا تحالفًا ليس فقط مع اليهود الأميركيين ، إنما مع الجناح اليمينى من المسيحيين الإنجيليين فى أميركا الذين يعتقدون مثله أن اليهود هم شعب اللّه المختار وأن عودة المسيح مرتبطة بعودة اليهود إلى إسرائيل وبطرد أعداء إسرائيل - العرب - .

بما أن أبحاثى تقودنى إلى الاعتقاد بأن الشرق الأوسط الذى يتلقى من الأسلحة أكثر من أية منطقة أخرى فى العالم ، يمثل أخطر برميل بارود لتفجير المواجهة النووية ، فإننى لا أفهم لماذا يساعد مسيحيون أمثال ريزنهوفر وديلوخ وهيلتون وساتون ودوغلاس كريكر وشارلز لوترو الإرهابيين اليهود من أجل تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة . كذلك لا أستطيع أن أفهم لماذا يدعى أحدهم - ديلوخ أنه إذا فجر الإرهابيون اليهود حربا عالمية ثالثة فإنهم يحققون بذلك مشيئة اللّه.

لإلقاء مزيد من الضوء على هذا الأمر أجريت مقابلة مع البروفسور «غوردون والتى» من جامعة رايت فى اوهايو ، وهو عالم اجتماع واختصاصى فى علم الأجناس. ولقد قام بعدة رحلات إلى الشرق الأوسط وألقى محاضرات حول موضوع دعم اليمين المسيحى لإسرائيل.

سألته ، هل من الأخلاق أن يرفض المسيحيون وجود حوالى بليون مسلم وأن يقدموا ملايين الدولارات من أجل تدمير أماكنهم المقدسة؟ أجابنى:

« إن الإنجيليين الأصوليين الذين يجمعون الأموال لتدمير المسجد يمارسون نفس العقيدة التى مارسها أجدادهم من قبل . لقد ظنوا أنه من الشجاعة والصواب والحق أن يربحوا الغرب، وأن يذبحوا الهنود وأن يسيروا قدمًا بمدنية الأبيض. وبما أن «حدود» أميركا قد ذهبت ، فإنهم يعملون على إعادة خلقها فى مكان آخر. إن «صهيون الجديدة» حلم المستوطنين، أصبحت صهيون القديمة الفلسطينية، وكما أن بعض المستوطنين المسيحيين وجدوا أنه من الصواب قتل الهنود فإن بعض المسيحيين يجدون الآن أنه من الصواب تقديم المال إلى الصهاينة الذين يقتلون الفلسطينيين» .

وقال الدكتور والتى : «الآن وقد تم ربح الغرب، فإن على ريزنهوفر أن يطير إلى إسرائيل:

وسألت : ماذا عن إعجاب القس ديلوخ بالعودة إلى التضحية الحيوانية لإرضاء الرب؟ فأجاب : «ألا تتصورين الجمار النارية ، ثغاء الخرفان التى تذبح ، الدماء، رائحة اللحم المحترق ، كل ذلك من أجل إرضاء الله! . إن اليهود والمسيحيين الذين يريدون ذلك يتجاهلون أهم القيم النظرية والمفاهيم المعنوية لتقاليد النبوة

العبـرانية . إن مـا طالب به يهوه حـقًا ليس دمـاء الخرفان والماعـز ، ولكن باسم آموس ، طالب بالعدالة والحق.

أما فـيما يتـعلق بقول ديلوخ : إنه يؤيد إزالة الأمـاكن الإسلامـية وبناء معـبد يهودى حتى يمكن المسـيحيون من ممارسـة حرية العبادة وخاصـة فى أماكن يفضل هؤلاء المسيـحيون (المسيحـيون المتشددون) اسـتعمالهـا . ولكن هل يفضل هؤلاء المسيـحيون (المسيـحيون العضليـون) استعمـالها . ولكن هل يعتـقد القس ديلوخ للحظة أنه سـتكون عنده الحريـة لتقـديم قداس تبـشيـرى فى أى مكان من الدولة اليهودية؟ هل يظن أنه ستكون لديه الحرية كمسيحى للهجرة إلى الدولة اليهودية؟

بما أن الجنسية محصورة باليهود فقط ، فلن تكون له هذه الحرية.

ولكن هل كان القس ديلوخ منافقًا عندما قال : إنه مهـتم فقط بالحرية المسيحية للصلاة فى الحرم الشـريف؟ أجاب البروفسور والـتى : «ليس بالضرورة . إذا كان القس نموذجًا للمسيحيين المتـشددين» الذين أجريت دراسة عنهم فإنه لا يستطيع أن يكون منافقًا . إنه يقنع نفسه بأنه إذا استعملت الأموال التى تقدم للإرهابيين اليهود من أجل تدمير المسجد فإن ذلك سيكون تنفيذًا لإرادة الله.

فى عام ١٩٨٤ نشر استقصاء للرأى فى إسرائيل أظهر أن ١٨,٧ بالمئة من الرأى العام الإسرائيل يؤيد الأعمـال الإرهابية التى تقوم بها جماعـات يهودية متطرفة . وفى تعليق على هذا الاستقصاء أشار الكاتب الإسرائيل ياهوش سوبول إلى أنه فى عام ١٩٣٨ وجدت مجـموعة مختارة من أعضـاء الحزب النازى أن ٦٣ بالمئة منهم كانت تعارض إيذاء اليهود ، و٣٢ بالمئة أعربت عن لامبالاتها بهذا الموضوع ، ولم يؤيد سوى ٥ بالمئة فقط إيذاء اليهـود. بعد أربع سنوات ، فى عام ١٩٤٢، عندما كانت إبادة اليهود تنفذ بسرعة، أظهرت مجموعة مختارة من أعضاء الحزب النازى أن أولئك الذين يعارضون مهاجمة اليهود قد تضاءلوا إلى ٢٦ بالمئة. بينما زاد عدد اللامبالين إلى ٦٩ بالمـئة . وبقى عدد النازيين المؤيدين لإيذاء اليهـود كما هو : ٥ بالمئة.

إن دراسة دقيقـة لتوزع وجهات النّظر والمواقع فى المجتمع الألمـانى خلال الفترة النّازية لا تتـرك عذرًا لأىّ شـخص اليوم للادعـاء بأنّه طالما أنّ الأفكار العنصـريّة تخصّ أقليّة صغـيرة فقط، فلا يوجد أساس للحديث عن تحـول المجتمع كلّه إلى مجتمع فاشستىّ.

إنّ العكس هو الصحيح : فالتجربة الألمانيّة تثبت بأنّ تحويل المجتمع إلى مجتمع فاشتسىّ تبدأ عندما تكون الأفكار العنصريّة والشوفينيّة المتطرّفة مسيطرة على أقليّة صغيرة فى الجناح اليمينى المتطرف الذى يقوم بعمليّاته ضده الأكثريّة اللامبالية.

إنّ المتعصّبين الذين ينتمون إلى ما تصفه الأكثريّة من المسيحيّين واليهود بالأقليّة المجنونة - والتى لا يزيد عددها على ٥٪ فقط فى الشّعب الإسرائيلى - قادرون مع ذلك على تدمير أكثر الأماكن الإسلامية قدسية فى القدس، وهو عملٌ يمكن أن يفجّر حربًا عالمية تتورّط فيها الولايات المتّحدة وروسيّا.

إنّ الشرط الضرّورى حتى يحدث ذلك هو وجود أكثريّة لا مبالية . إنّ الاتّجاه العام لليهود الإسرائيليين والأميركيين مع المسيحيّين الأميركيين غير الصّهيونيين يمكن أن يمثّل هذا الأكثريّة اللامبالية.

إنّ هذه الأكثريّة تُوفر الأرض الخصبة للمتطرّفين الدينيين . إنّ تصنيف الإرهابيّين على أنّهم أبطال يتزايد باستمرار . وإذا حكم عليهم فإنّهم لا يقضون كلّ فترة عقوبتهم فى السّجن . ففى الثّامن من ديسمبر ١٩٨٥ أصدر الرّئيس الإسرائيلى حييم هرزوك العفو عن اثنين من الإرهابيين اليهود الذين حكم عليهم بالسجن بسبب التّآمر لنسف أكثّر الصّروح الإسلاميّة قداسة فى القدس . والسّجينان اللذان أطلق سراحهما هما دان بيرى (٤١ سنة) ويوسف دزوريا (٢٦ سنة) اللذان حكم عليهما بالسّجن ثلاث سنوات لتآمرهما على نسف قبّة الصّخرة والمسجد الأقصى.

واستنادًا إلى سجلات المحكمة فإنّ الإرهابيّين خطّطا لنسف هذه الأماكن بالديناميت من أجل إثارة العالم الإسلامى فى حربٍ مقدسةٍ ضدّ إسرائيل . إنّهما الآن حرّان لمواصلة خطّتهما.

خلال جولة ١٩٨٣ كنت واحدة من بين ٦٣٠ حاجًا ، دفع كل منا ألف دولار مما يساوى ٦٣٠ ألف دولار. وفى جولة ١٩٨٥ كنت واحـدة من بين ٨٥٠ حاجًا دفع كل منا ١٣٠٠ دولار، ممـا يسـاوى أكـثـر من مليـون دولار ربـع هذا المبلغ لفولويل والبـاقى للدولة الإسرائيلية وليـست هذه المجموعة سـوى واحدة من بين مئات المجموعات من الحجاج.

منذ إنشائها فى عام ١٩٤٨ وإسرائيل تستفيد باستمرار من السياحة ففى عقد من الزمن (١٩٦٧ - ١٩٧٧) ازدادت السياحة الدولية بنسـبة ٧٥ بالمئة متمثلة فى ٢٤٣ مليـون سائح دولى حـتى عام ١٩٧٧ . وبين عـامى ١٩٧٠ و ١٩٧٥ تضاعـفت عائدات السياحة الدولية من ١٨,٢ بليون دولار إلى ٣٨,٨ بليون.

خلال السبعينات كانت عائدات السياحة تعادل تقريبًا عائدات الإنتاج العالمى من الألومنيوم والرصاص والنحاس والحديد الخام مـجتمعًا . ورغم الركود والبطالة ، وأزمة النفط والتضخم ، والاضطراب السياسى ، فإن السياحة واصلت تصاعدها. ففى أواسط الـثمانينات كـانت السيـاحة تضخ من المال أكـثر مما يضخـه النفط . وكانت تشـغل من الأيدى العاملة أكـثر من أى عمل آخـر . فقد احـتلت المكانة الأولى بين سائر الصناعات.

يزور القدس سنويًا حـوالى ١٠٠ ألف سائح . وبما أن كل زائر ينفق أكـثر من ٧٠٠ دولار فى إسرائيل ، فإن ذلك يمثل بليون دولار فى السنة . إن السياحة تمثل ٦ بالمئة من الدخل القومى، وهى مصدر مهم من مصـادر العملة الصعبة للاقتصاد الإسرائيلى المطوّق.

طوال ألف سنة كـان المسيـحيـون والمسلمـون واليهـود يتوجـهون إلى القـدس كسائحين. ولكن منذ عام ١٩٦٧ عندما سـيطر الإسرائيليون بالقوة العسكرية على القدس، لا يتوجه إلـيها كسائحين سوى اليهـود والمسيحيين وبأعداد كبـيرة. بينما هناك بليون مسلم فى العالم ينظرون إلى القدس على أنها من أكثر المناطق قدسية،

ويتمنـون السفر إلى هنـاك. غير أن مـعظهم لا يستطيع أن يفـعل ذلك لان الدول العربية - باستـثناء مصر - لم تعترف أبدًا بأن إسرائيل كـيان أصيل . (إن مواطنى اندونيسيا ، وهى أكبر دولة إسلامـية فى العالـم - يمكن أن يتوجهوا إلى القدس ، ولكنهم يمتنعون عن ذلك طالما أن الجنود الإسرائيليين يفـرضون الاحتلال العسكرى على المدينة).

إن إسرائيل تستطيع أن تجتذب عددًا محدودًا من السياح اليهود . إن عدد اليهود فى العالم هو ١٤ مليـونًا فقط، ومن بيهم حـوالى ثلاثة ملايين يحملون الجنسـية الإسرائيلية. ومن أجل زيادة الدولارات السياحية فإن على الإسرائيليين أن يتطلعوا إلى المسـيـحيين الذين يـبلغ عددهم حـوالى البليـون ويؤمّنون عـائدات إسـرائيل السياحية. ومعظم هذه العائدات تأتى من مسـيحيين محافظين بمن فيهم الإنجيليون والأصوليون. . .

وتفيـد إسرائيل كذلك من «السـفارة المسيـحية الـعالمية » التى أنشـئت فى عام ١٩٨٠ . فى ذلك العام ضم مناحيـم بيغن رئيس الحكومة الإسرائيلية بصـورة غير شرعية شرقى القدس العربية. واحتجاجًا على ذلك نُقلت سفارات ١٣ دولة أجنبية من غربى القدس إلى تل أبيب. ومن أجل التغلب على معارضة القوى العلمانية، شجع الإسرائيليون الإنجيليين على إنشاء «السـفارة» للإعراب عن الموافقة والتأييد. وقد حضر حفلة الافـتتاح بالإضافة إلى مسئولين قياديين إسـرائيليين ألف شخصية مسيحية تمثل ٢٣ دولة أعربت عن دعمها.

إن تدفق الأموال من نيـوزيلندة وأستـراليا وهولندا وأميـركا على السفـارة كان مـوضع اتهامـات ومحـاكمـات واسعـة ، ذلك أن هذه الأموال كـانت تنقل إلى الجمـاعات العـسكرية الإسرائيليـة لمساعدتهـا على طرد الفلسطينيين وإزالة مـعالم الأماكن الإسلامية المقدسة فى المدينة القـديمة ، من أجل إعداد الأرضية لبناء المعبد اليـهودى . كـما أن الأمـوال أنفقت على مـشاريع من أجل زيادة عـدد السيـاح المسيحيين إلى إسرائيل.

اختـارت السفارة يومًا يهـوديًا أساسيًـا ، هو عيد الهيـكل لتقيم حوله حـركة سياحية واسعة. وبالعمل مع دائرة السيـاحة الإسرائيلية نظمت السفارة برنامجًا من عشرة أيام للمسيحيين لزيارة إسرائيل يشمل السفر بالطيران الإسرائيلى والإقامة فى الفنادق والقيـام بجولات سياحـية. وتخصص السفـارة هذا البرنامج للمسيـحيين الإنجيليين الذين يؤمنون بنظام دينى يقول : إن الله بدأ عـملية العد العكسى لنهاية

التـاريخ ، وإن أحداثًا هامـة تقع فى إسـرائيل . فى عـام ١٩٨٢ نقلت السفـارة المسيـحية إلى إسـرائيل أكثـر من ألفى حاج وفى عام ١٩٨٣ نقـلت حوالى ثلاثة آلاف، وفى عام ١٩٨٥ نقلت أكثر من خمسة آلاف حـاج من المسيحيين معظمهم من الأميركيين.

ويبلغ مجموع مـا ينفقه هؤلاء ٣,٥ مليون دولار . أما احتفـالات عيد الهيكل فى عام ١٩٨٥ فقد أدت إلى عائدات سياحية تراوحت بين ١٥ و ٢٠ مليون دولار أنفق معظمها فى إسـرائيل وذلك استنادًا إلى المسئول المالى فى السفارة المسـيحية . ويقول وزير السياحـة : إن كل دولار أنفقته الدولة لتشجيع السـياحة حقق للدولة أرباحًا بقيـمة ١٥٠ دولارًا . وتنفق إسرائيل - منذ عـام ١٩٨٥ حوالى ٣ ملايين دولار لتطوير السياحة.

خلال كل جـولة نظمـها فولويـل كنا نستـمع إلى خطابات من الجنرالات ومن السياسيين ، وكنا نزور المزارع الإسرائيلية وساحات المعارك ونصب الموتى. قد تبدو هذه الزيارات طبيعية فى الدول الأجنبية ، أما فى الأرض المقدسة ، فإننا نأتى إلى هنا لتجـديد روحانياتنا وليس لمزيد من الانـغماس السيـاسى كما فـعلنا من خلال التعرف على المشاكل اليومية للدولة.

استنادًا إلى القانون الإسرائيلى ، على كل مجموعـة سياحية تسافر إلى إسرائيل أن يرافـقهـا دليل إسرائيلى ، مـرخص له من مكتب السـياحـة الحكومى. ولكن حسب البـروتوكول الدولى فإن الحجـاج لا يعتبـرون سياحًا ، ويمكن أن يرافـقهم دليل الحجاج. إلا أن فولويل لا يريد أن يصنف نفسه كحاج.

فى كل جولة كنا نقوم بها، كان فولويل يبدى اهتمامًا كبيرًا لترويج فكرة حاجة إسرائيل إلى مزيد من الأسلحـة الأميركية ، (تملك إسـرائيل من الدبابات أكثر مما تملكه فرنسا وألمانيا ، كـما أنها تملك ثالث أكبر سلاح جـوى فى العالم) أكثر من اهتمامه بتقدير فكرة التقارب والسلام.

فى كل جـولة تعمـدت تحديد السـاعات التى كنا نقـضيـها فى زيارة الأمـاكن المسيحية المقـدسة والاستماع إلى شىء عن المسيح ، كما تعـمدت تحديد الساعات التى كنا نقضيهـا للتعرف على الإنجازات السياسية والعسكرية لـلدولة الصهيونية. وخرجت بنتيجـة واحد إلى ثلاثين . أى أنه مقابل كل ساعة لتـعاليم المسيح ، كنا نقضى ٣٠ ساعة لأوجه الحياتين السياسية والعسكرية الإسرائيليتين.

لماذا يبادر قـساوسة مـسيحـيون أمثال فـولويل وهيلتون سـاتون من تكساس ،

وتشاك سميث من كـاليفورنيا، إلى نقل مسيحـيين إلى أرض المسيح ويؤثرون عدم إرشادهم إلى المواقع التى ولد فيـها المسيح وأقام فيهـا الصلاة ، ومات ؟ إنى أفكر فى ثلاثة أسباب:

أولا : إن بعض القساوسة يشتركون فى الرحلات المنظمة من أجل المال.

ثانيًا : بعض القساوسة ، يؤثرون المديح مثل سائر الناس. .

إن معظم القـساوسة المسيـحيين الأميركـيين الذين يشتركـون فى الرحلات إلى الأرض المقدسـة ، ينظر الإسرائيليون إليهـم على أنهم رؤساء محتـملون لرحلات قادمة . ويقـدم الإسرائيليون إلى هولاء هبات مـغرية للسفر ، ويفرشـون أمامهم سجادة حمراء من الضيافة والأسعار المخفضة وبطاقات السفر المجانية على طائرات العال - إن مـعظم القساوسة الذين يسـافرون إلى إسرائيل لم يسـبق لهم أن قابلوا قـادة دول . إن الإسـرائيليين يوفـرون الوقت لمقـابلتـهم وللتـحدث مـعـهم عن الاستـراتيجيـة العسكرية . ويقـدم لهم الإسرائيليون طائرات الهـليكوبتر والأدلاء للقيـام برحلات مـبرمجـة إلى مرتفـعات الجولان، وهم يرددون باسـتمـرار أمام القساوسة أن إسرائيل هى الصديق الوحيد لأميركا فى الشرق الأوسط.

مثل هذا الاهتمام قدمه الإسرائيليون إلى القـس بيلى سميث من كاليفورنيا بعد أن أبلغ اجتمـاعًا دينيًا عقـد فى «دالس» أن الله لا يستمع إلى صـلاة اليهودى» . وبدلا من تصنيفه كعدو دعاه الإسرائيليون إلى زيارة إسرائيل وعلى نفقتها الكاملة. قبل القس سمـيث الدعوة ، وبنهاية زيارته وعد : «فى الحسابـات الأخيرة سوف تقـرءون اسمى عـدة مرات فى المسـتقـبل فى نشـاطات مؤيدة للشـعب اليهـودى وإسرائيل . » ومن ثم دشن عدة مـشاريع معمدانية - يهـودية بالإضافة إلى روابط اقتصادية.

بالإضـافة إلى دوافع المال والمديـح هناك سبب ثالث يحـمل القـساوسـة على الذهاب إلى أرض المسـيح من دون أن يتـحدثـوا عن المسيح ومـن دون أن يلتقـوا بالمسيـحيين . إنهم يتنازلون عن الصـلاة فى الجبل المقدس من أجـل تعزيز إيمانهم واعتقادهم بأرض إسرائيل. وقد قالت لى سيدة فى مجموعة فولويل : «إن المسيح لا يستطيع أن يعود ما لم تكن هناك إسرائيل يعود إليها».

خلال تنـظيم الرّحلات المنّظمـة مع فولويل وغـيره من القـساوسـة المسيـحيين اليمينـيّين يصرّ الإسرائيليون على أن يسـافر السّياح المسـيحيون مع شركـة الطّيران الإسرائيليّـة . وكانت هذه الشّركـة قد شكت من جرّاء خسـارتها لمصلحة شـركة

الطّيران الأردنيّة «عالية» وأعلنت إفلاسها . فى السّابق كان كثيرٌ من السّياح يسافر مع الطّيـران الأردنى إلى عـمان وبـعد يومين أو ثلاثـة فى الأردن كانوا يتـابعـون طريقهم بالسّيـارات عبر جسر اللمبى على نهر الأردن إلى فلسـطين المحتّلة «الضفّة الغربيّة» ومن هناك يجتـازون مسافة قصيرة إلى القـدس . بعد قضاء بعض الوقت فى القدس وبيت لحم ونابلس وغيرها من المواقع يعود السّـياح إلى عمان للمغادرة جوا . إنّ ٦٠ ألف شخص فى السّنة، أو ما يعادل ٦ ٪ تقريبًـا من عدد سـياح الأراضى المقدّسة سلكوا هذا الطريق.

فى عام ١٩٨١ أصـدر رئيس الحكومة بيـغن أمرًا بإغـلاق جسر اللمـبى ذهابًا وإيابًا. وعلى الرّغم من أنّ هذا القـرار قد ألغى إلا أنّه أقام حـالة اضطرّ بموجبـها وكلاء السّفر أن يعتمدوا على الطّيران الإسـرائيلى لحجز مقاعد للسّياح إلى الأرض المقدّسة.

لقد ألحّت «الـعال» على بيغن لأسـباب اقـتصـاديّة أن يشّجع السّفـر على متن طائراتها بصورة مطلقة واسـتجاب بيغن ليس لأسباب اقتصـاديّة فقط وإنما لأسباب سياسّية أيضًا كما قال لى أحد وكلاء السّفر فى القدس من العرب المسيحيين : «إنّ بيغن يريد يهودًا إسرائيليين وليس مسيحيين عربا أو مسلمين عربا - لتمثيل الأرض المقدّسـة . وطالما أنّ السّياح يسـتطيعون أن يحـجزوا جولة إلى القـدس من خلال وكالات موجودة فى الأردن ، فإنّ بيغن يخشـى أن يستثمر العرب هذه الفرص ، أى أن يخبروا السّياح وجهة نظرهم من الصّراع الفلسطينى الإسرائيلى».

وقال لى أيضًا : إن جميع أصحاب مكاتب السفـر العربية فى القدس مجمعون على أن بيـغن لم يغلق طريق المرور عبـر جسـر اللمبى - مما تسـبب فى معـاناتنا الاقتـصادية - لأننا ننافس مكاتب السـفر السيـاحية فـقط، ولكن لأنه يريد أن لا يقابل السياح سوى اليهود، وأن لا يجروا أى اتصال معنا».

وفى العام نفـسه، ١٩٨١، بدأت وزارة السيـاحة الإسرائيلية إجـراءات تفرض على كل مـجموعـة سيـاحية أن يُرافـقهـا دليل يحمل إجـازة من دائرة السيـاحة الإسرائيلية. وتوقفت شركات النقل الداخلى عن تأجيـر سياراتها إلى أية مجموعة سياحـية ما لم يكن يرافق المجموعـة دليل سياحى يحمل إجازة إسـرائيلية. رجال الدين المسيـحيون الذين كانوا يرافـقون مجمـوعات من الحجاج فى جـولات دينية تعرضوا لمضايقات البوليس الإسرائيلى بحجة أنهم لا يحملون الإجازة الإسرائيلية.

(ويتجاهل الإسرائيليون بذلك البروتوكول الدولى الذى يقول : إنه يمكن لمجموعات الحجاج أن يرافقها أدلاء من الحجاج).

ويتساءل الأخ لوين شتاين من البعثة الكاثوليكية فى القدس : «لماذا يجب على أن أستأجر دليلا إذا كنت أرافق مجموعة من المسيحيين تريد تأدية الصلاة يوم الأحد فى كنيسة المهد ؟ إن الإسرائيليين يفرضون ذلك ليس فقط لأسباب اقتصادية، وإنما لأسباب سياسية فى الدرجة الأولى، وبهذه الطريقة فإنهم يراقبون ما يشاهده السياح. إنهم يريدون هؤلاء السياح أن يشاهدوا المعالم الحجرية والمواقع التاريخية وأن يتحدثوا إلى الإسرائيليين فقط».

الدليل الإسرائيلى يقدم لهم خريطة إسرائيل التى تشمل الضفة الغربية وغزة كجزء من إسرائيل . وفى الواقع فإنه محظور طبع خريطة فى إسرائيل تظهر أى جزء على أنه من فلسطين المحتلة . وإذا سأل أحد عن فلسطين، فإن الدليل الصهيونى يقول : «لا يوجد شىء اسمه فلسطين». وإذا سأل أحد عن الفلسطينيين يجيب الدليل : «إنهم كلهم إرهابيون» . وانتهى الأخ لوين شتاين إلى القول : «لقد نجحوا فى تقديم جانب واحد من الحقيقة فى الأرض المقدسة إلى ٩٥ بالمئة من الأميركيين».

ريتشارد بكلر الناطق باسم المجلس الوطنى لكنائس المسيح فى الولايات المتحدة يقول : إن ما يسمى بالرحلات غير السياسية هو مستحيل. إنها فى الواقع سياسية جدًا من حيث ما لا يراه الناس. إن تجاهل شعب المنطقة، وتجاهل مشاكلهم واهتماماتهم وآمالهم ليسا من الروحانية فى شىء»ودعا بكلر إلى وجوب اتصال المسيحيين الأميركيين الذين يزورون الأرض المقدسة بكنائس المنطقة ، للوقوف على وجهات النظر المختلفة، وإلى عدم حصر اتصالاتهم بمجموعة واحدة من الناس وحصر الاستماع إلى وجهة نظر واحدة ، كما يفعل الآن معظم السياح المسيحيين.

فى مارس ١٩٨٤ انتقدت لجنة الحجّ المسيحية فى الأرض المقدّسة الحكومة الإسرائيليّة بسبب القيود التى تفرضها على الزّيارات الدّينية المحليّة . وقال ناطق بلسان اللجنة : «إنّ الإسرائيليين بإصرارهم أنّ على جميع المجموعات أن يكون لها دليل إسرائيلى ، ينتهكون بذلك حرّية الحج التى تمتّع بها المسيحيّون مدّة ألفى سنة. وقال لم يسبق لأية حكومةٍ من قبل أن حاولت تقييد حرّية الحجّ فى الأرض المقدسة».

ورغم هذا الانتقاد فإنّ الإسرائيليين يواصلون الإصرار على وجوب أن يرافق

مجموعات الحجّاج دليل يتمتّع بالإجازة الإسرائيلية وليس عربيا . منذ عام ١٩٦٧ لم يصدر الإسرائيليّون سوى إجازتين رسميّتين فقط للعرب.

وقد نقل إليّ مسيحي عربي رفضت السّلطات الإسرائيلية منحه إجازة دليل سياحي، أنّ وزير الدفاع السابق موشى ديان قال : «إنه من الأسهل على العرب أن يصبحوا طيّارين فى السّلاح الجوّى الإسرائيلى من أن يصبحوا أدلاء سياحة».

فى ٣ فبراير ١٩٨٥ نشرت صحيفة بوست التى تصدر فى القدس موضوعًا قالت فيه: «إنّه منذ عام ١٩٦٧ لم يتأهّل سوى اثنين من العرب كـأدلاء سياحة. وأنّ أولئك الذين تأهّلوا قبل هذا التّاريخ يحتفظون بإجازاتهم على أساس القانون الدولى الذى يتعلّق بالاحتلال العسكرى . وقالت الصّحيفة إنّ معظمهم يخاف أن يتحدّث عمّا يتعرّض له الفلسطينيون من قمع . والدّليل السّياحى الذى تجرأ على ذلك فى عام ١٩٨٥ منع من العمل مدّة ثلاثة أشهر بحجّة أنّه واستنادًا إلى وزارة السّياحة الإسرائيلية، «أظهر قلّة معرفة بتاريخ الشّعب اليهودى فى أرض إسرائيل وأساء للدولة» . أخبرنى الدكتور غلين براونمان وهو عالم اجتماعى انثروبولجى فى جامعة أكسفورد ويعد كتابًا عن الحجّ المسيحى إلى الأرض المقدّسة، «إن الإسرائيليين لا يريدون أن يقوم المسيحيّون بدور الأدلاء - فالأدلاء الإسرائيليون يحذّرون السيّاح المسيحيّين بوجوب تجنّب أصحاب المحلات الفلسطينيين . ويحذّر الدكتور براونمان من أن إقصاء المسيحيين الأميركيين عن المسيحيين الفلسطينيين سوف يقودنا إلى التطورات الآتية:

أولا ، من خلال حثّ إسرائيل على شنّ مزيد من الحروب وعلى مصادرة مزيد من الأراضى العربيّة فإنّ المسيحيين الأميركيين يضغطون على المسلمين العرب نحو أصوليّة أكثر عسكريّة وتزمتا.

إنّ عدم تأمين الدّعم للمسيحيين الفلسطينيين سوف يجعلهم فى متناول يد أكثر الحركات الإسلاميّة تطرّفًا ، التى فى سعيها للثأر من الغرب قد تتوجّه أيضًا نحو المواطنين المسيحيين ناظرة إليهم كملحق بمضطهديهم.

ثانيًا ، إذا تواصل تدمير الوجود الفلسطينى المسيحى ، فإنّ الكنائس المسيحيّة ستفقد وجودها وستفقد الدور الذى تلعبه فى الأرض المقدّسة.

أخيرًا ، ستحلّ مسيحيّةٌ معسكرةٌ محلّ مسيحيّة قيم التّسامح والمحبة والتّفاهم . وحذّر الدكتور براونمان من أنّه سيكون للمسيحيين فقط إله للحرب. ويعتقد الدكتور براونمان «أن مصير المسيحيين سوف يحدّد أىّ دور ، إذا كان هناك من

دور، يمكن أن تلعبه الكنائس الأجنبيّة فى مستقبل الأرض المقدّسة . وكذلك ربّما فى مجتمعاتها أيضًا».

إنّ المسيحيين الفلسطينيين يشعرون بصورة متزايدة أنّهم فى موقع لا يحسدون عليه. إنهم يعرفون أنّ الكثيرين من المسلمين الذين يسمعون الشيء الكثير عن فولويل وروبرتسون ينظرون إلى هؤلاء على أنّهم يمثّلون مسيحيّة اليوم. إنّ محطّة تلفزيون «صوت الأمل» فى جنوب لبنان التى يموّلها روبرتسون تبّث رسائل معادية للعرب ومعادية للمسلمين، وتدعم سيطرة إسرائيل على الأراضى العربيّة . ولقد قال لى مسيحى فلسطينى: «إنّ المسلمين الذين يستمعون إلى هذه الرسائل المسيحيّة المعادية للعرب يسألوننا كيف يمكن لكم أن تكونوا مسيحيين؟».

أخبرنى إلياس نستاس أنّه وأسلافه ولدوا وعاشوا فى بيت لحم منذ وعى الذّاكرة، منذ أن كانت المدينة مسيحيّة . وقال عندما كنت يافعًا كان تسعون بالمئة من سكّان بيت لحم مسيحيين . الآن أقل من عشرين بالمئة من سكّانها هم من المسيحيين. لقد بدأ ذلك يحدث مع إقامة إسرائيل . أراد الإسرائيليون دولة صافية، تكون اليهودية فيها الدّيانة الرسميّة . الآن يهاجر المسيحيون من بيت لحم ومن النّاصرة ومن القدس ومن كلّ الضّفة الغربيّة وغزّة ومن إسرائيل .

إنّ الإسرائيليين يشجّعون هذه الهجرة الجماعيّة فكثير من اليهود يقولون إنّ هدفهم هو التخلص من كلّ الفلسطينيين المسيحيين منهم والمسلمين ، إن المسيحيين الذين نعرفهم والذين يغادرون هم من المثقّفين ولا يريدون أن يعملوا وأن يعيشوا تحت الهيمنة اليهوديّة. لم يبق لهم سوى القليل هنا، «إننا لا نستطيع أن نتابع حياتنا هنا». وقد توقّع نستاس عدد الذين هاجروا منذ الاحتلال اليهودى للضفّة الغربيّة فى عام ١٩٦٧ بحوالى مئة ألف مسيحى . إنّ الأرقام التى تشير إلى هجرة المسيحيين من القدس معبّرة تمامًا . فى عام ١٩٤٠ كان يوجد فى المدينة ٤٥ ألف مسيحى يعيشون فيها. مع عام ١٩٦٠ انخفض الرّقم إلى ٢٥ ألفًا . وفى عام ١٩٨٥ لم يبق فى مدينة القدس سوى ١٠ آلاف مسيحى . فى مطلع عام ١٩٨٦ بقى فى منطقة الانتداب البريطانى على فلسطين (أى إسرائيل اليوم والأراضى المحتلة) ١٢٠ ألف مسيحى فقط. أمّا أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين ، فقد كان المسيحيّون يشكّلون ١٥٪ من السكّان . مع مطلع عام ١٩٨٦ انخفضت هذه النسبة إلى ٨ ٪ لقد أخبرنى كلّ مسيحى قابلته «إذا استمرت هذه الهجرة فلن يبقى هناك مسيحيّون فى أرض المسيح».

البحث عن صهيونية غير يهودية

فى أواخر أغسطس ١٩٨٥ طرت من واشنطن إلى سويسرا لحضور المؤتمر المسيحى الصّهيونى الأوّل فى بازل . كنت واحدة من بين ٥٨٩ شخصًا حضروا المؤتمر من ٢٧ دولة برعاية السّفارة المسيحية العالميّة فى القدس . توجّهت إلى المؤتمر على أمل الحصول على تعريف وعلى خلفيَّة للصهيونيّة السياسيّة.

الأستاذ مارفن ولسون من كلّية غوردن فى ماساتشوستس وكان أحد الخطباء ، أشار إلىُ أن هناك تعريفات وتفاسير متعدّدة لليهوديّة الصّهيونية بين اليهود أنفسهم.

لقد كان يوجد فى الماضى ، ويوجد اليوم يهود متدينون بعمق ويشيرون إلى أنفسهم كصهاينة، وكان يوجد فى الماضى ويوجد اليوم صهاينة علمانيون - يهود لا يؤمنون باللّه - ثيودور هرتزل الصّحفى النّمساوى الذى دعا فى عام ١٨٩٧ إلى المؤتمر اليهودى الصّهيونى الأوّل الذى عقد فى المسرح الموسيقى فى بازل حيث اجتمع المسيحيّون الصهاينة فى عام ١٩٨٥ كان يهوديًا علمانيا، كما كان دافيد بن غوريون، أوّل رئيس حكومة فى إسرائيل: إنَّ أكثرية اليهود الإسرائيليين اليوم يقولون إنَّهم لا يؤمنون بالله ويصفون أنفسهم بأنّهم يهودٌ علمانيون. مجلّة نيوزويك (٣٠ نوفمبر ١٩٨٥) قالت : إن ٥٤٪ من الإسرائيليين يعتبرون أنفسهم صهاينة علمانيين . مراجع أخرى ترفع هذا الرّقم إلى ٦٠ - ٦٥٪.

فى المؤتمر الصهيونى الأوّل ، وجّه هرتزل ، الذى يعرف بأنّه أبو الحركة الصّهيونية أليهودية السّياسيّة نداء إلى اليهود ليعيشوا بصورة كاملة بين اليهود ، وقال إنّ كلّ العالم يكره اليهود وإن اليهود لا يمكن أن يكونوا آمنين إلا بين بعضهم.

بعد ٨٨ سنة فى بازل وأمام لوحة كبيرة لهرتزل استمعت إلى خطباء مسيحيين ويهود إسرائيليين يردّدون بابتهال نداء هرتزل : إنّ كلّ العالم يكره اليهود وإنه طوال التّاريخ كرهت شعوب العالم اليهود . وإنه يوجد حلّ واحد : إن على اليهود أن يعيشوا بشكل كامل بين اليهود وأن يكانوا أقوياء عسكريا.

إنّ كلّ خطيب شدَّد على الأهمية المركزية للصهيونيّة السياسيّة : إنَّ كلّ العامّة

(جنتيل) تعانى من مرض يـدعى العداء للسامية «بدقة أكثـر، العداء لليهوديّة » وهو مرض غير قابل للشفاء .

قال هرتزل : علينا أن نعترف أنّ هذا القانون غير قابل للتغيير. وليس له بداية ، وليس له نهاية وليس له تفسير . ببسـاطة ، إنّه موجود . لقد استمعت إلى تاريخ الاضطهاد المسيحى الطّويل لليهود : المسيـحيّون طردوا اليهود من إنكلترا فى القرن السادس عشر، من فرنسا فى القرن الرابع عشر، ومن إسبانيا وتوابعها بما فى ذلك سردينيا وصقليا ونابولى فى عام ١٤٩٢ . ولكن هل كـان اليهود وحدهم الضحايا فى تلك العصورمن المعاناة؟.

فى عام ١٤٩٢ طرد فرديناند وإيزابيلا المسلمين المغاربة . الأقلية اليهوديّة ذهبت معهم وأقـام معظمها فى الدول الإسلامـيّة . الملكية الإسبانيـة عذّبت حتى الموت أولئك المسيـحيين الذين لم يتّفـقوا معـها وأرسلت الغزاة إلى نصف الكرة الغـربية لنهب سكّانها وقتلهم . لقد خيّروهم بين أمرين إمّـا أن يتحولوا (إلى المسيحية) أو أن يقتلوا.

استعمت إلى خطباء مسيحيين يعـيدون إلى الذاكرة مجزرة النازية ضد اليهود ، وهى المجزرة التـى أثارت نمطًا عالميًا أدى إلى خـلق الدولة اليهوديـة. لم يشر أى متحدث سواء كان مسيحيًا أو يهـوديًا إسرائيليًا إلى أننا جميعًا بشر يجب أن نتعلم كيف نعيش كـجيران طيبين فى العصـر النووى. وبدلا من تقديم الأمل من خلال اقتـراح خطوات يستطيع منها العـرب واليهود وكل الأعـداء أن يصلوا إلى التلاقى والسلام، فإن كلّ متحدث شـدد على المخاوف التى تطارد اليهود بدلا من التشديد على ما هنالك من عناصر مشتركة بين العرب واليهود - وفى الواقع كم يوجد من عناصر مشـتركة بين بنى البشر! إلا أن الـعديد من المتحدثين أخبـرونا: أن اليهود مخـتلفون ، وأن عليهم أن يعـيشوا فى حب بين أنفـسهم . أصدرت الوفـود بعد ثلاثة أيام من الاستمـاع إلى الكلمات السياسية مـجموعة من المقررات التى كـتبها مسـبقًا (فـان دير هوفن) من هولندا وهو الناطق باسم الكنيـسة المسيـحية العـالمية (وجوهان لاك هوف) مـدير السفارة وهو من جنوب إفـريقيا ، والدكتـور (جورج جياكوماكس) المدير السابق بمعهد دراسات الأرض المقدسة فى القدس ، (وريتشارد هيلمان) ممثل السفارة المسيحية فى واشنطن العاصمة ، وغيرهم.

فى أحد هذه المقررات حث المسيحيون الصهاينة كل اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل على ترك الدول التى يعيشون فيها الآن إلى الدولة العبرية. فى هذا القرار

أعلن المسيحيون أنهم يدركون (المعاناة الرهيبة التى واجهها اليهود وأنه بما أن اليهود لا يزالون يواجهون قوى معادية ومدمرة فإن عليهم جميعًا - على كل اليهود فى أميركا وفى كل دولة أخرى فى العالم - أن ينتقلوا إلى إسرائيل. وأنه على كل مسيحى أن يسهل ذلك).

وحث المسيحيون إسرائيل أيضًا على ضم ذلك الجزء المحتل من فلسطين الذى يدعى الضفة الغربية بسكانه المليون فلسطينى تقريباً .

وقبل التصويت وقف يهودى إسرائيلى كان جالسا بين الحضور واقترح تعديل لغة القرارات . وأشار إلى أن استقصاءً للرأى فى إسرائيل أظهر أن ثلث الإسرائيليين يفضلون مقايضة الأراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ بالسلام مع الفلسطينيين.

فان دير هوفن رد مُعَلِّقا : «إننا لا نهتم بما يصوت عليه الإسرائيليون، إننا نهتم بما يقوله الله، والله أعطى هذه الأرض لليهود».

بعد هذا الإنجاز العاطفى صوت الصهيونيون بما يشبه الإجماع لمصلحة القرار.

كذلك حث المسيحيون الولايات المتحدة وجميع دول العالم على أن توافق على الإجراءات غير الشرعية التى قام بها رئيس الحكومة السابق بيغن لضم القدس العربية وذلك من خلال نقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس. (وطالب المسيحيون الولايات المتحدة ، وألمانيا الغربية ودولا أوروبية أخرى بالتوقف عن تسليح أعداء إسرائيل).

وأضافوا : إن على الولايات المتحدة حجب الأسلحة العسكرية التى وعدت بها مصر إلى أن تحترم مصر تمامًا التزاماتها بموجب المعاهدة مع إسرائيل لإقامة علاقات طبيعية بما فى ذلك التجارة والسياحة . لقد اجتمعنا فى جلسات استغرقت ١٢ ساعة فى اليوم ولمدة ثلاثة أيام متتالية، وكان تقديرى أنه من بين ٣٦ ساعة قضيناها فى الجلسات فإن المسيحيين الذى أشرفوا على المؤتمر خصصوا أقل من واحد بالمئة من الوقت لرسالة المسيح وتعاليمه، بينما خصصوا أكثر من ٩٩ بالمئة من الوقت للسياسة. ولا يوجد فى الأمر ما يثير أى استغراب ، ذلك أن المشرفين على المؤتمر، برغم أنهم مسيحيون فهم أولا وقبل كل شىء صهاينة ، وبالتالى فإن اهتمامهم الأول هو الأهداف السياسية للصهيونية.

من مطالعاتى فى كتب ودراسات عن الصهيونية يتبين أن (ثيودور هرتزل) الذى

يعرف بأنه أبو السياسة الصهيونية لم يختلق حركة تشجيع لليهود للانتقال إلى فلسطين. لقد فعل ذلك المسيحيون البروتستانت الإنجيليون قبل ثلاثة قرون من المؤتمر اليهودى الصهيونى الأول قبل الحركة الإصلاحية وكان جميع المسيحيين الغربيين كاثوليكا. وكانوا يتقبلون بصورة عامة وجهة نظر القديس أو غسطين وغيره والتى تقول: إن مقاطع معينة من الإنجيل يجب أن تفهم معنويًا وليس لفظيًا. وكمثال على ذلك فإن القدس وصهيون مفتوحان لنا جميعًا فى السماء وليسا مكانًا محددًا هنا على الأرض حتى يسكنه اليهود بصورة مطلقة.

مع القرنين ١٦ و ١٧ بدأ المسيحيون الأوائل شراء الأناجيل وتفسير نصوصها بأنفسهم ومن خلال ذلك بدءوا تعظيم مفهوم إسرائيل واليهود على أنهم المفتاح الأساسى للرؤى الإنجيلية.

قليل من العلماء بحثوا فى أسباب التحول المفاجىء فى دعم المسيحيين للفكرة التى تقول : بأنه على جميع اليهود أن يتوجهوا إلى فلسطين - وهذه فكرة لم ترد فى النظريات المسيحية الأرثوذوكسية.

كذلك فإن قليلا منَ العلماء اهتموا بمعرفة الأسباب التى حملت البروتستانت على كتابة المؤلفات المطولة عن الرؤى التوراتية التى تعطى اليهود، (والذين ينظر إليهم على أنهم أعداء تقليديون للكنيسة)، موقعًا متميزًا فى الفكر المسيحى ، فبعد الإصلاح أصبح المسيحيون الأوروبيون أكثر اهتمامًا باليهود ، وغيروا اتجاههم نحوهم.

يخبرنا بعض العلماء أن ذلك كان نتيجة التطورات فى القانون الدولى الأوروبى التى قادت إلى مزيد من الليونة . علماء آخرون يشيرون إلى اتساع الدور الاقتصادى لليهود فى التجارة العالمية . بعضهم يرى أن اهتمام حركة النهضة بالدراسات العبرية، وأن نظريات الإصلاح بتأكيدها على العهد القديم ركزت الاهتمام على اليهود بدرجة كبيرة حتى إن الطوائف اليهودية ذات النفوذ اليهودى القوى برزت من خلال الكنائس البروتستنتية الإنكليزية.

بعض العلماء صنفوا الإصلاح على أنه إحياء لليهودية أو العبرانية، بحيث تقبل البروتستانتيون الأوائل مظاهر من التقاليد اليهودية مثل توقع عودة المسيح، والألفية أى حكم السلام لمدة ألف سنة على الأرض . ذلك أنه خلال الحركة الإصلاحية تقبل المسيحيون البروتستانت الكتاب المقدس على أساس أنه يشكل السلطة العليا للاعتقاد والسلوك.

فبدلا من كنيسة معصومة كالتى يمثلها البابا فى روما وافق البروتستانت على كتاب مقدس معصوم وهو الذى ترجم الآن إلى لغات الناس العاديين.

مع ترجمة النصوص توجه البروتستانتيون الأوائل إلى العهد الذى يعرف على أنه إنجيل اليهود أو الإنجيل العبرانى ، وذلك ليتعرفوا على تاريخ وقصص وتقاليد وقوانين العبرانيين وأرض فلسطين.

لقد حفظوا عن ظهر قلب قصص العهد القديم وبدأ الكثيرون من البروتستانت يفكرون فى أن فلسطين أرض يهودية.

توجه البروتستانت إلى العهد القديم ليس فقط على أنه أكثر الكتب شهرة ولكن على أنه المرجع الوحيد لمعرفة التاريخ العام. وبذلك قلصوا تاريخ فلسطين ما قبل المسيحية إلى تلك المراحل التى تتضمن فقط الوجود العبرانى. إن أعداداً ضخمة من المسيحيين وضعوا فى إطار الاعتقاد أنه لم يحدث شيء فى فلسطين القديمة باستثناء تلك الخرافات غير الموثقة من الروايات التاريخية المسجلة فى العهد القديم.

إن محبى الكتاب المقدس من المسيحيين بدءوا ينظرون إلى العهد القديم على أنه التاريخ الوحيد الجديد فى الشرق الأوسط.

فى منتصف سنة ١٦٠٠ بدأ البروتستانت كتابة معاهدات تعلن بأن على جميع اليهود مغادرة أوروبا إلى فلسطين . أعلن أوليفر كرمويل بصفته راعى الكومنولث البريطانى الذى أنشىء حديثًا أن الوجود اليهودى فى فلسطين هو الذى يمهد للمجيء الثانى للمسيح.

فى عام ١٦٥٥ أعلن البروتستانتى الألمانى بول فلجن هوفر (أن اليهود سوف يعترفون بالمسيح على أنه مسيحهم بمناسبة مجيئه الثانى) . وكتب فى كتابه (أخبار جيدة لإسرائيل) إنه مما يثبت ذلك - عودة المسيح - العودة الدائمة لليهود إلى بلدهم الذى منحهم الله إياه من خلال الوعد غير المشروط الذى قدمه إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب).

فى عام ١٨٣٩ حث اللورد انطونى اشلى كوبر (الذى يعرف بالإصلاحى الكبير لقيادته عملية منح العمال الأطفال معاملة إنسانية أفضل وكذلك لاهتمامه بالمرضى عقليا وبالسجناء) جميع اليهود على الهجرة إلى فلسطين. وفى مقال منشور بعنوان (الدولة وآفاق المستقبل أمام اليهود) أعرب عن اهتمامه بالعنصر العبرى. وعارض فكرة الذوبان على أساس أن اليهود سيبقون دائمًا غرباء فى كل الدول التى يعيش فيها غير اليهود.

نظر اللورد كوبر إلى اليهود على أنهم يلعبون دوراً رئيسياً فى الخطة الإلهية حول المجىء الثانى للمسيح . وكما فسر النصوص ، فإن المجىء الثانى للمسيح سيتحقق فقط عندما يكون اليهود يعيشون فى إسرائيل المسترجعة ، انطلاقاً من اعتقاده بأن عليه مساعدة الله لتحقيق الخطة الإلهية بنقل جميع اليهود إلى فلسطين، فإن اللورد كوبر جعل همه إقناع الإنجليز بأن اليهود (رغم أنهم غلاظ وقلوبهم سوداء وغارقون فى المعصية ويجهلون اللاهوت) ضروريون بالنسبة للأمل المسيحى فى الخلاص . لم يهتم اللورد الإنجليزى بالبحث عما إذا كان الفلسطينيون يعيشون فى فلسطين ، كما أنه لم يبال بحقيقة أن الشعب وأرضه لم يكونا ملكاً له حتى يتبرع بهما. لقد قال ببساطة : إن أرض فلسطين هى فى متناول اليد، والنص الذى استعمله يقول : إن فلسطين (بلاد بدون أمة ، لأمة بدون بلاد) وقد استعمل هذه العبارة فيما بعد اليهود الصهاينة حيث رددوا : (أرض بلا شعب ، لشعب بلا أرض).

وفى مساعيه لنقل اليهود إلى دولة يهودية بالكامل، مارس اللورد الإنكليزى تأثيره على عمه، اللورد بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانى، لفتح قنصلية بريطانية فى القدس. ومن خلال تعيين الإنجيلى المتفانى وليم يونغ نائباً للقنصل فى القدس فى عام ١٨٣٩ ، فإن وزير الخارجية أعلن بصورة خاصة أن عليه حماية كل اليهود الذين يعيشون فى فلسطين ، التى كانت فى ذلك الوقت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية . فى ذلك العام، كان يعيش فى فلسطين ٩٦٩٠ يهودياً. وكان هذا العدد يشمل المواطنين اليهود والغرباء منهم على السواء.

استناداً إلى الحقوق التى تتضمنها المعاهدات القائمة ، فإن حماية القنصلية البريطانية تطبق فقط على اليهود الأجانب - الذين يحملون جنسيات أخرى -، الذين يقيمون فى فلسطين.

ومن جهة ثانية ، فإن اليهود المواطنين بقوا خاضعين لحكم السلطان باعتبارهم رعايا الإمبراطورية العثمانية . مع ذلك ، فإن نائب القنصل البريطانى، رغبة منه فى أن يعرف العبرانيين ، فى فلسطين على مدى رعاية الحكومة البريطانية لهم، وسع إطار الحماية لتشمل كل يهود فلسطين.

لم يكن للبريطانيين الحق فى توسيع السيادة على مواطنين يهود يعيشون فى فلسطين، أكثر مما كان لدى فرنسا وإسبانيا من الحق لتوسيع سيادتيهما لتشملا مواطنين كاثوليكا يعيشون فى فلسطين. فالعمل البريطانى لم يكن فقط تدخلا فى

الشؤون الداخلية لدولة أجنبيـة، ولكنه أقام حجر الزاوية للصهيونيـة : فقد أكدت على الوحدة الوطنية لجميع اليهود.

فى عـام ١٨٤١ كتب هنرى تشـرشل (ضابـط الأركان البـريطانية فى الشـرق الأوسط) إلى موسى مـونتغـيور، رئيس مـجلس الممثلين اليـهود فى لندن : «لا أستطيع أن أخـفى عليك رغبـتى الجامـحة فى أن أرى شعـبك يحقق مـرة أخرى وجوده كشـعب . إننى أعتقـد أنه يمكن تحقيق الهدف بدقـة، ولكن لابد من توفر أمرين لا غنى عنهما ، أولا إن على اليهود أنفسهم أن يتحملوا الأمر على الصعيد العالمى وبالإجماع ، ثانيًا إن على القوى الأوروبية أن تساعدهم».

فى عام ١٨٤٥ اقـترح إدوارد بتفورد من مكتب المسـتعمرات فى لندن، «إقـامة دولة يهـودية فى فلسطين تكـون تحت حمـاية بريطـانيا العـظمى ، على أن ترفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم». وقال : « إن دولة يهودية ستضعنـا فى مركز القيادة فى الشرق بحيث نتمكن من مـراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا والتصدى لهم عند الحاجة».

ومع ذلك فـإن يهود أوروبـا لم يظهروا سـوى القليل جـدًا من الرغـبة لتـرك أوطانهم والهجرة إلى فلسطين.

لمدة ١٥٠ عامًـا كان المسيحـيون [فى الدرجة الأولى فى بريطانيـا وكذلك فى مناطق أخرى من أوروبة، وبعد ذلك وبدرجة كبيرة فى أميركا] المدافعين الوحيدين عن الصهـيونية. البـروتستانتيـون عملوا منفردين فـى إصرارهم على أن فلسطين تخص اليـهود، وعلى حث كل اليـهود للتوجـه إلى هناك والعيش منفـصلين عن العامة (جنتيل) . ولمدة قرن ونصف القرن، فإن المسيحيين [قادة الحركة الاستعمارية الغربية] لم يحصلوا على دعم من اليهود فى حركتهم الصهيونية غير اليهودية.

إن المسيـحيين الذين كانوا يـتصدرون هذه الحـركة ، كانوا بدون اسـتثناء ، من البروتستنات المداومين على زيارة الكنائس . إن عبارة المسيحيين الصهاينة أو الجنتيل الصهاينة يمكن أن يساء تـفسيرها، أو أنها قد تعنى صهـيونية ذات دوافع توراتية أو لاهوتية. تقول رجينا شريف فـى كتابها «الصهيونية غيـر اليهودية» «بالإضافة إلى عامل النفوس فـإن للمسيحيين الصهـاينة أسبابًا سياسية» وتـذكر أن هذه الأسباب كانت منذ البداية أكثر أهمية من الاعتقادات الدينية.

بصرف النظر عن أسباب تأييـد الحركة الإصلاحية البروتستـانتية ، فكرة إنكلترا

وأوروبة متحررتين من كل اليهود، فإن العديد من اليهود الصهيونيين اليوم يقولون: إنهم مسرورون لتصرف المسيحيين بهذه الحرارة . إنهم ينسبون الفضل إلى المسيحية الصهيونية فى مساعدة الصهيونية اليهودية الجديثة لتحقيق هدفها : خلق دولة يهودية حيث لا يرحب بغير اليهودى مواطنًا فيها.

فى السادس من فبراير ١٩٨٥ ، ألقى سفير إسرائيل لدى الأم المتحدة بنجامين ناتنياهو خطابًا أمام المسيحيين الصهاينة قال فيه : «. . . لقد كان هناك شوق قديم فى تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل . وهذا الحلم الذى يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين».

إن كتّابا ورجال دين وصحفيين وفنانين ورجال سياسة إنكليز وأميركان ، أصبحوا محركين لعملية تسهيل عودة اليهود إلى وطنهم المهجور.

«على سبيل المثال، كان هناك اللورد ليندسى الذى كتب فى عام ١٨٤٠ يقول : إن العرق اليهودى الذى احتفظ به بصورة مدهشة ، يمكن أن تكون له مرحلة ثانية من الوجود الوطنى ، ويمكن أن يحصل مرة ثانية على أرضه الوطنية» . وكان هناك جورج كراولر، الذى حث فى عام ١٨٤٥ على إعادة إحياء حقول فلسطين ومزارعها بواسطة شعب حيوى تنغرز عواطفه الحارة بالأرض.

وأضاف السفير ناتنياهو : «إن المسيحية الصهيونية لم تكن مجرد تيار من الأفكار . إن مخططات عملية وضعت فعلا من أجل عودة اليهود. ففى عام ١٨٤٨ ساعد وردر كريسون القنصل الأميركى فى القدس على إقامة مستوطنة يهودية فى «وادى رفيم» بدعم من جمعية مسيحية - يهودية مشتركة فى إنكلترا . وتولى كلود كوتدور ، مساعد اللورد كيتشنر ، إجراء مسح شامل عن فلسطين مؤكدًا «أن باستطاعة اليهود إعادة إصلاحها لتسترجع مجدها الغابر».

وقال ناتنياهو أيضًا : «لقد قدم المسيحيون دعمًا طويلا متواصلا وناجحا للصهيونية، وهو دعم أعرب عن نفسه فى الأدب الإنكليزى مثل رواية جورج ايليوت عن الصهيونية والتى تدعى «دانيال ديروندا» ، والتى تنبأت بأن يقيم اليهود كيانًا جديدًا، يكون كيانًا عظيمًا ، بسيطًا كالكيان القديم. . . لأنه ستكون هناك بلاد فى الشرق تحمل ثقافة وعطف كل الأمم العظيمة ، فى قلبها».

وقال ناتنياهو كذلك : «المسيحيون ساعدوا على تحول الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية». وأضاف : تصوروا ، مثالا على ذلك ، القنصل الأميركى فى القدس ادوين شارمن والس الذى كتب فى عام ١٨٩٨ : «إن الأرض بالانتظار

والشعب على استعداد للمجىء. سيأتى فور أن تتأمن الحماية للحياة وللممتلكات. . . يجب أن نقبل بذلك، وإلا فإن الرؤى العديدة التى تأكدت بإيجابية يجب أن تعتبر عديمة الجدوى. . . . (ومع ذلك) فإن الحركات الحالية بين اليهود فى مناطق متعددة من العالم، تشير إلى إيمانهم بما تؤكده هذه الرؤى . إن عيونهم تتجه نحو الأرض التى كانت لهم، وإن قلوبهم تهفو إلى اليوم الذى سيستطيعون أن يعيشوا فى هذه الأرض كشعب بسلام».

وقال ناتنياهو : «إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنكليز والأميركان ، أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورد أو ارثر بلفور، وودرو ويلسون، فى مطلع هذا القرن . إن الكتاب المقدس ذكر هؤلاء الرجال. إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال،الذين لعبوا دوراً رئيسًا فى إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية.

وهكذا فإن تأثير المسيحيين الصهاينة على الساسة الغربيين هو الذى ساعد اليهودية الصهيونية الحديثة على تحقيق هدفها فى إعادة ولادة إسرائيل.

«إنه الشعور بالتاريخ ، إنه الشعور بالشعر، إ إنه الشعور بالأخلاقيات الذى اتسم به المسيحيون الصهيونيون والذى كان حافزهم قبل قرن من الزمن للكتابة ، والتخطيط ، والتنظيم من أجل إحياء إسرائيل. . وهكذا فإن الذين سيستغربون ما يعتقدون أنه صداقة حديثة بين إسرائيل ومؤيديها من المسيحيين ، يعكسون جهل الأمرين معًا . إننا نعرف أفضل. نعرف الروابط الروحانية التى تشدنا بإحكام وبثبات . «نعرف الشراكة التاريخية التى أدت دورها بشكل جيد لتحقيق الحلم الصهيونى».

لم يكن حلم هرتزل روحانيًا . كان جغرافيًا . كان حلمًا بالأرض والقوة والمناطق . وعلى ذلك ، فإن السياسة الصهيونية ضللت الكثير من اليهود.

من أجل مصادرة أرض فلسطين بضمير مرتاح، كان على الصهيونيين أن يحسبوا أن الشعب الذى يملك الأرض لم يكن موجوداً. وقد ادعى الصهيونيون السياسيون أنه لم يكن هناك فلسطينيون يعيشون فى فلسطين. دهش المهاجرون اليهود عندما اكتشفوا أن سكان فلسطين الآخرين، يشكلون ٩٣ بالمئة من السكان. ويروى الكاتب الإسرائيلى آموس آلون أنه فى عام ١٨٩٧ بكى أحد مساعدى هرتزل وهو يقول للقائد الصهيونى: «ولكن هناك عربا فى فلسطين . إننى لم أكن أعرف ذلك».

يقول الكاتب اليـهودى الأميركى أى. اف. ستون: لقد كرهنا الاعـتراف بأن العـرب مـوجـودون هناك، كنا نـعرف بـأنهم هناك ولكننا تظـاهرنا بأنهم غـيـر موجودين. تصور لو كنت طبيب أسنان، أو طبيبًا عاديًا فى القدس أو فى حيفا ، أو أنك تملك منزلا عـربيا صـغيراً فى ريـف يافا ، (لقد كـان هناك منازل عـربية جميلة هناك) ؛ أو تصـور لو كنت مزارعًـا ، أو أن لك أعمـالا ، أو أنك كنت تذهب إلى المدرسـة ، فـجـأة. أطيح بكل شىء. خـسـرت بيـتك، وعـملك ، ومدرستك، وبلدك، إنك سـتشعر بالمرارة ، لا غرابة فـى ذلك. وسوف يتملكك اليأس.

يقول مـوش مانوحين ، والد عازف الفـيولين يهودا مـانوحين : إنه انتقل إلى الدولة اليـهـودية الجـديدة على أمل أن يجـد جنة روحيـة ، ولكنه اكـتـشف أن الصـهيـونيين «لا يعبـدون اللّه ولكنهم يعـبدون قـوتهم». وفى عام ١٩٨١ وجـه مانوحين رسالة إلى وكان عمره ٨٨ سنة ، شكا فيها من «الانهيار المأساوى» للنبوة اليهودية التى استبدلت ، كما قال ، بالسياسة الصهيونية».

فى مقـابلة مع صحـيفـة «بوست» المقدسيـة وصف عازف الفـيولين اليـهودى الأميركى اسحق شترن الدولة الصهونية بأنها «حلمى المطلخ».

ويقول الكاتـب مارك بروزونسكى الاختـصاصى بالكومـبيوتر وهـو من مدينة واشنطن: إن السياسة الصهيونية هى حلم ملطخ . وقبل أن ينفصل عن الصهيونية عمل بروزونسكى مع المنظمات اليـهودية الصهيونية . وهو يقـول : إننى كسياسى ليبرالى كنت أنظر إلى الصهـيونية بدرجة متفاوتة من الحماس، عـلى أنها الترجمة اليهودية لتقرير المصير» . أما لماذا غير رأيه فى الصهيونية؟

فيجيب : بـبساطة ، لقد تعلمت الكثير . بدأت القـراءة. إن على اليهودى أن يعمل من أجل الصهيـونية ، ولكن ليس عليه أن يقرأ الكثير عـنها. على اليهودى أن يتقبل تاريخ الصهيونية ولكن دون أن يدرسها حقيقة.

ولما سألته : كيف يمكن تعريف الصهيونية ؟ أجاب:

«البعض يعرّف الصهيونية على أنها نهاية المنفى وتجمّع كل اليهود.

معظم العرب يعرفـون الصهيونية على أنها : نوع من العنصرية الاسـتعمارية. ولقد صوتت وفود الأمم المتحدة على إدانة الصـهيونية كنوع من أنواع العنصرية .

جورج أورويل يقول : إن للصهيونية العناصر العادية للحركة الوطنية . غير أن الترجمة الأميركية لها تبدو أشد عنفًا وضرراً من البريطانية». المؤرخ البريطانى توينبى وصف الصهيونية بأنها «عبادة إله زائف»، إنها «ديانة وثنية».

ولكن ما هو تعريف بروزونسكى للصهيونية؟ يرد بالقول : «إننى أعتبر الصهيونية حركة سياسية توسعية استعمارية. أدت إلى خلق إسرائيل. وأنا أعتبر الصهيونى بأنه الذى يوافق على أعمال إسرائيل بصرف النظر عن مدى خطورة أو خطأ هذه الأعمال».

ومن خلال تعريفه أثير سؤال : هل يمكن تصنيف المسيحيين على أنهم صهيونيون؟. فرد بالإيجاب ، وقال : ما كان للصهيونية أن تنطلق لولا إرادة المسيحيين فى أن يضعوا اليهود فى «غيتو» يدعى دولة يهودية ، موقوف على اليهود وحدهم . إن المأساة هى أنه بعد أن قاوم اليهود هذه الفكرة ٢٠٠ سنة، عادوا وتبنوها!

كما حث المسيحيون الصهيونيون الأوائل يهود أوروبة على التوجه إلى فلسطين لمصادرة كل ما يستطيعون مصادرته ، من الأرض، كذلك فإن المسيحيين الصهيونيين أمثال جيرى فولويل ، يحثون اليهود على أن يذهبوا إلى ما يتعدى فلسطين، وأن يطالبوا بكل الأراضى العربية التى تمتد من نهر الفرات فى الشرق حتى النيل فى الغرب.

فى السادس من فبراير ١٩٨٣ صرح فولويل لصحيفة كوريو تايمس - تلغرام ، فى تكساس ، أنه يفضل أن يصادر الإسرائيليون أجزاء من العراق، وسوريا ، وتركيا ، والعربية السعودية، ومصر والسودان، وكل لبنان والأردن والكويت. وفيما يتعلق بحدود الانتداب على فلسطين ، فهى كلها تخص اليهود. وقال فولويل فى هذه المقابلة: «لقد بارك الله أميركا لأننا تعاونا مع الله فى حماية إسرائيل التى هى عزيزة عليه».

لأن يهود أميركا - مثل اندى غرين - يعرفون أنهم يمكن أن يعتمدوا على دعم ٤٠ مليون مسيحى إنجيلى أصولى ، ولهذا فهم يصادرون الأرض من الفلسطينيين بقوة المسدس. ويقول غرين { الذى انتقل إلى إسرائيل فى عام ١٩٧٥ ولا يزال يحتفظ بجوازه الأميركى } : ليس للعرب أى حق فى الأرض - فلسطين - إنها أرضنا على الإطلاق . هكذا يقول الكتاب المقدس. إنه أمر لا يناقش . من أجل ذلك فإننى لا أجد أى مبرر للتحدث مع العرب حول إدعاءات منافسة لنا. إن الأقوى هو الذى يحصل على الأرض».

«هانا بورات» ، وهو من قادة غوش المثقفين ، يقول : إن السيادة اليهودية على إسرائيل، سرّ المملكة الكهنوتية، وكوننا أمة مقدسة، إن كل ذلك يشكل الشروط المسبقة أمام العالم حتى تتحد اليهود ثانية . وما لم يتم الالتزام بهذه الشروط المسبقة ، فلن يكون هناك سلام».

جميع الصهاينة ، من المسيحيين واليهود وبصورة خاصة من قادة الحركات الإرهابية اليهودية كاخ وغوش امونيم - شاركوا - وجهة نظر بورات بالسر المسيحى . إنهم يرون أرض إسرائيل على أنها حقيقة مطلقة. يصر الصهيونيون المسيحيون واليهود على أن السرية الدينية هى جزء سليم من التراث الدينى . إن الحاخام موش لفينغر، قائد الإرهابيين الذى أدين بتهمة التخطيط لاغتيال رؤساء البلديات الفلسطينيين ولتدمير قبة الصخر، يعرف الصهيونية لنفسه ولغيره:

«الصهيونية ، هى الإيمان بالغيب، تتلاشى الصهيونية إذا فصلتها عن جذورها الإيمانية الغيبية . الصهيونية هى حركة لا تفكر على أساس عقلانى، (على أساس السياسة العملية، والعلاقات الدولية ، والرأى الدولى والديمغرافى ، والديناميكية الاجتماعية»، إنما على أساس الأوامر الإلهية. إن ما يهم فقط هو وعد اللّه لإبراهيم كما هو مسجل فى كتاب سفر التكوين.

لقد اقتطفت كلمات اندى غرين ، وهانا بورات ، والحاخام لفينغر من مقال نُشر فى صحيفة «صوت القرية» التى سبق أن أشرت إليها ، وعنوان المقال : داخل الحركة الإرهابية اليهودية السرية» الذى كتبه روبرت فريدمان.

زواج المصالح .. لماذا عقدت إسرائيل حلفًا مع اليمين المسيحيّ الجديد

ربما أكون نموذجًا للمسيحى الذى ترعرع قبل أن توجد إسرائيل على الخريطة . كل المسيحيين الذين أعرفهم فى عام ١٩٤٨ رحبوا بخلق دولة يهودية فى صلاتهم وتوسلاتهم . لم نقرأ ولم نسمع ولم نعرف سوى المظاهر الجيدة عن إسرائيل . كان تصورى للإسرائيليين نموذجيًا إلى حد ما .كنت أنظر إليهم على أنهم شعب، كادح، منفتح العقل ، يحرثون ويحبون السلام. وباختصار تعاطفت معهم كالملايين غيرى من الأميركيين لأنهم بدوا مثلنا روادًا أو أحفاد رواد خلقوا عالمًا جديدًا أفضل، مما فى منطقة متخلفة من الشرقيين ، كما كان يعتقد الكثيرون.

لم أكن أعرف شخصيًا إسرائيليين في الخمسينات والستينات. وقد حصلت على تصورى عن إسرائيل وعن الإسرائيليين بصورة أساسية من اليهود الأميركان الليبراليين الذين بذلوا جهودًا كبيرة من أجل قيام الدولة اليهودية. تعرفت على المستوطنين الأوائل من اليهود فى فلسطين من خلال الكتب ومن خلال كتابات أخرى لكتاب يهود، لقد كان تصورهم لوطن يهودى غنيا بالمثاليات. الصهيونيون الأوائل أعربوا عن تفانيهم من أجل إسرائيل تؤمن بالعدالة الاجتماعية لجميع مواطنيها وتحقق السلام مع جيرانها العرب الذين نزحوا عن أرضهم . اليهود الليبراليون مثل «هاآم، وبوبر، ومغنيز ومنوهين» اعتبروا الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين نقمة على الأرض ، واعترفوا بمعاناة الفلسطينيين الذين أصبحوا بلا مأوى ، وهكذا فإن اليهود الأميركيين ، ربما أكثر من أية مجموعة أميركية أخرى، اعترفوا بمعاناة غيرهم من الأميركيين وعملوا على إزالتها، كالسود والهنود الذين ذاقوا طعم التمييز.

كان لليهود الأميركيين الليبراليين روابط شديدة مع العمال الأميركيين وكان ينظر إليهم غالبًا على أنهم عمود قوى فى المؤسسة الليبرالية الشمالية حيث يأخذ

المسيحيون اليمينيون مبادراتهم على الأغلب . إن أفضل اليهود الليبراليين وأكثرهم حيوية يعيشـون فى الشمال الشرقى وفى مراكز مدينية رئيـسة ، وخاصة فى مدينة نيويورك ، لـم يكونوا يهتمـون ولم يكونوا يعـرفون سوى القليل عـن الأصوليين الإنجيليين ، الذين كانوا فى أكثريتهم فى الجنوب ، وفى الغرب والغرب الأوسط. كـان بين المجمـوعتين الـقليل من القواسم المشـتـركة أو لعلّه لم تـكن بينهمـا أية قواسم. مـعظم الأصوليين الجنوبيين كانوا مـحدودين وعنصريين بصـورة علنية ، كانوا على اقـتناع بأنهم كبروتستـانت انجلوساكسـون بيض البشرة، يتفـوقون على السود والهنود والكاثوليك والصينيين واليابانيين والهندوس والمسلمين ، واليهود.

إن من هؤلاء الأميركيين من آمن بشـرعية الحقد والتفكير الضيق. إن مـسيحيى الجناح اليمينى أمـثال (جيرالد وينرود) [الذى نشر فى مجلتـه المدافع (ديفندر) مبدأ ملحميًا ضد اليهود] وغيره من مسيحيى الجناح اليمينى بمن فيهم «جيرالد سميث»، ووليم بيلى ، ووليم كـلغرين ، ووسلى سـويفت ، ووليم بلسـينغ ، بشـروا بأن أميركا (مسيحية) ستكون أفضل بدون اليهود.

وفيما يتـعلق باليهودى ، فإن الأصوليين الإنجيليين البيض ادعـوا تفوقهم عليه، ليس نتيـجة للون جلدتهم البيضـاء كما هو الأمر بالنسـبة للمسيـحى الأسود، إنما لأنهم كمسيحيين آمنوا بالمسيح ، وبالتالى أصبحوا مخلصين ، بينما اليهودى - مع كل أولئك الذين يرفضون قبول ألوهية المسيح ، لا يؤمنون به.

بالإضافة إلى التباعد الجغرافى بين اليهود والأصوليين ، هناك أيضًا الاختلافات الايديولوجية والفكرية والتقليدية حول المسائل الاجتماعية ، فاليهود الليبراليون فى الشرق (من الولايات المتحدة) ومـعهم العامة (الجنتيل) يحتـمون فى وجه البرنامج الاجماعى المحافظ والعدائى بالعديد من الأصـوليين الإنجيليين مثل تأييدهم للمزيد من القنابل النووية ، والصـلاة فى المدارس ، والإجـراءات التى تمنع الاجهـاض. اليهـود الليبراليون الأمـيركان تضامنوا مع الليـبراليين من الكاثوليك البروتسـتانت الأميركان، لدعم إجراءات البناء ؛ وقد تزايدت صحة ذلك بعد قيام إسرائيل.

منذ عـام ١٩٤٨ حتى عـام ١٩٦٧ ، اجتـمع القادة اليـهود الأمـيركان بـصورة منتظمة ومنسقة ، مع قادة كل من مؤتمر الأساقفة الكاثوليك فى أميركا (الذى يمثل حوالى ٤٠ مليون كاثوليكى) والمجلس الوطنى للكنائس (والذى يمثل أيضًا حوالى ٤٠ مليون مسيحى). إن كنائس البروتستانت الليبرالية والتى تمثل الكنائس المسيحية والكنائس الأسقفـية، وكنائس الطريقة المتحدة - ميـثوديست - كانت الأولى التى

شملت كتبـها الدينية بين الأربعينات والخمسـينات من هذا القرن - دراسات حول اللاسامية. لقد وافقوا على فصل الكنيسة عن الدولة ، وشجعوا العدالة السياسية، وهو وضع شارك فيه معظم اليهود فى أميركا.

فى الستـينات عندما كنت أعمل لمدة ثلاث سنوات فى البـيت الأبيض، راقبت الرئيس جونسون وهو يـحرك تشريعات الحقـوق المدنية عبر الكونغرس للمـساعدة على إنهاء التـمييـز ضد السود. وقد لاحظت أن اليـهود كانوا أقـوى مؤيدى هذه القوانين . فـيما بعـد ، عندما كتبت كـتبًا تعـالج موضوع مـعاناة الزنوج والهنود والعمال المكسيكيين غير المسجلين رسميًـا ، علمت أن الليبراليين اليهود قدموا أكبر دعم لكتبى. لقد كـان ذلك طبيعيًا لأن الأكـثرية الساحقة مـن الفكر اليهودى فى أميركا ولعدة عقود من الزمن كان فكرًا ليبراليًا .

فى طور هذا الواقع ، متى ولماذا حاول اليهود الأميـركيون واليهود الإسرائيليون التحالف مع الأصوليين الإنجيليين الأشد تطرفًا مثل جيرى فولويل؟

إذا لم تكن العلاقة المشتركة هى التى جمعت بين الأصوليين الإنجيليين واليهود، فما الذى جمعهما؟ إن الإنجيليين التلفزيونين يخبروننا باستمرار أن الدولة اليهودية تقدم لهم مكانًا حـيث يقابلون المسـيح ويعتقـدون ببركتـه الخالدة. ولكن طالما أن جيرى فولويل وجيمى سواغارت وبات روبرتسون ومعظم الإنجيليين التلفزيونيين ، يعتقدون أن كل يهودى سوف يقتل أو يتحول إلى المسيحية، لماذا يتطلع اليهود إلى التعاون معهم؟ لم يتخلى اليهود عن معتقدات فكرية وإنسانية يلتزمون بها بعمق لإقامة تحالف مع الأصوليين اليمينيين؟

الحـاخـام رابى مارك تـانينيـوم، وهو ضابـط ارتباط يـهودى مع المـسيـحـيين الأميركيين، يقـول : إن إسرائيل ومؤيديها الأميركـان أرادوا التحالف الجديد؛ لأن الليبـراليين المسيحـيين تخلوا عنهم ، وبصورة خاصـة المجلس الوطنى للكنائس . ولخص تانينيوم التغيير على النحو التالى:

«منذ حرب ١٩٦٧، شعرت المجـموعة اليهودية أن البروتسـتانت تخلوا عنها. كما شعرت أنه تخلى عنها أيضًا جماعات متحلقة حول المجلس الوطنى للكنائس، الذى وبسبب تعاطفـه مع قضايا العالم الثالث ، أعطى الانطـباع بأنه يدعم منظمة التـحرير الفلـسطينية. عنـد حدوث فـراغ فى دعم الرأى العـام لإسرائيل، يبـادر الأصوليون والمسيحيون الإنجيليون إلى ملئه».

قادة المجلس ينفون اتهامات تانينيوم بالتخلى عن يهود أميركا وإسرائيل؛ تحدثت

إلى أحد القادة البارزين فى المجلس الدكتــور تراسى جونز الذى أقام علاقة وطيدة وطويلة مع الحاخام تانينيوم . فـقال : «إن المجلس فى سياساته ومواقفه الحـقيقية بقى بقرار منه مواليـا لإسرائيل». وقال القس هافرى والتس من الكنيسة المسـيحية وأحد البارزين فى المجلس : «إن عـدداً من القادة البروتستـانت تورطوا فى معاناة الفلسطينيين المشردين وشـمولهم فى نداءاتهم حول العالم للحـصول على الدعم. كانت وجهات نظرهم متجـانسة مع مجلس الكنائس العالمى فى جنيف والذى يمثل أكثر من ٣٠٠ كنيسة بروتستانتية وإنجيلية ، أرثوذكس وكاثوليك تقليديين من ١٠٠ دولة. وقال الدكتور والتس : «كان المجلس ينوى إعداد بيانات يظـهر فيها اهتمامه بالمعاناة الـفلسطينية . وكان جـميع قـادة المجلس حريصين على إصـدار مثل هذه البيانات بحيث تكون بيانات منصفة لجميع أطراف الصراع وتوفيقية بقدر الإمكان. وجاهد قـادة المجلس باستـمرار من أجل الوقـوف فى كل قضايـا الشرق الأوسط خدمـة لمصالح الجـميع بما فى ذلك إسـرائيل ، غيـر أن مؤسسـة الأميـركيين الصهاينة نسـفت كل جهد متوازن ووصفـته بأنه يفتقر إلى قدر كـاف من التأييد ، وبالتالى فهو معادٍ».

بالإضافة إلى ذلـك ، أُجريت مقابلة مع الدكـتور فرانك ماريا فى نيـوهمشاير الذى صرف حياته فى بحث العـلاقات الإنسانية والتواصل ، فمن موقـعه كعضو فى مجلس إدارة المجلس الوطنى للكنائس قاد مـا وصفه «خطة الله للسلام» والتى تقوم على المـعتقـدات الروحية للديانـات التوحيـدية الثلاث فى المنطقـة . سألت الدكتور ماريا مـاذا عن اتهام الحاخام تونينهام بشأن تخلى المجـلس عن موقفه من إسرائيل ؟ فأجاب : «قبل حرب ١٩٦٧ ، كان الحاخام تونينهام يفاخر بأن المجلس كان لا يذيع أى بـيان من دون موافـقتـه. إننى لا أريد أن أقول إن هيـئة المجلس كانت مجرد أداة ختم بيد إسرائيل وكأنها كانت تتجاوب مع ضغوط ومع حماقات المجمـوعة اليهودية الأمـيركيـة، كما كـانت أقل أكتراثًا مع استـغاثات المسيـحيين والمسلمين فى الشرق الأوسط». وقـال أيضًا : «إن المجلس لم يتخلَّ عن الحـاخام تونينهام وعن غيره من مؤيدى إسرائيل . غـير أن إسرائيل ومؤيديها فى هذه البلاد قرروا أن باستطاعتـهم الحصول على مساعدة أخـرى - من الإنجيليين الأصوليين - معتقدين أنها ستكون ذات قيمة أكثر».

تساءلت باستغراب ، لماذا تعتبر إسرائيل أن الإنجيليين الأصوليين مثل فولويل، هم أكـثر فـائدة لهـا من الدكتـور ترسى جـونز وغيـره من قـادة المجلس الوطنى

للكنائس؟ رد الدكتور ماريا : (الذى ولد والداه فى سوريا) : «كل شىء تغير بعد حرب ١٩٦٧. أصبح الأميركيون ينظرون بصورة عامة إلى إسرائيل نظرة مختلفة. حتى عام ١٩٦٧ كانوا يرون فى إسرائيل « داود الصغير » تستهدفه قوى عربية «-غوليا - » متفوقة عليه. وفجأة هاجم الإسرائيليون جيرانهم. ضربوا الطيران المصرى على حين غرة ودمروه على الأرض بهجوم مماثل لهجوم بيرل هاربور. دخل الإسرائيليون إلى سيناء، وسيطروا على الضفة الغربية والقدس العربية وكل قطاع غزة ومرتفعات الجولان».

«كنت أشاهد على التلفزيون ، كل يوم من أيام حرب ١٩٦٧ ، الإسرائيليين يقتلون المصريين وكأنهم نمل. وشاهدت إسرائيليين فى مرتفعات الجولان يقتلون سوريين يشبهون أمى وأبى».

وأضاف الدكتور ماريا يقول : «شاهدت جنوداً إسرائيليين يحملون الحراب وهم يدفعون بالنساء الفلسطينيات وبالأطفال عبر جسر اللمبى إلى الأردن. لقد رأيت فى هؤلاء النسوة أمى وسقيقتى.

ومع ذلك كنت أعرف أنه فى الوقت الذى كان العرب يضطهدون ويقتلون على أيدى الإسرائيليين، كان الكثير من الأميركين من المسيحيين واليهود يتفرجون على التفلزيون مصفقين».

«لقد ولدت فى هذه البلاد ، وحاولت كل حياتى أن أعيش كأميركى جيد. منذ عام ١٩٦٧ عملت مع مؤسسات تعنى بالشؤون الإنسانية والثقافية والنشاطات السياسية للمساعدة على إقامة سياسة موالية لأميركا وموالية للسلام فى الشرق الأوسط والتى أعتبر أنها تحتل الأولوية فى التحديات العالمية التى تواجه أميركا. ولكن أن يصفق الأميركيون لقتل المسيحيين والمسلمين لأنهم يعتقدون أن جميع العرب سيئون ، فإن ذلك أدى إلى اسوداد الدنيا فى عينى. إن شعورى بالعمل من داخل الكنائس المسيحية تعرض فى تلك اللحظة إلى اليأس الشديد.

دعا الدكتور ماريا فى عام ١٩٦٧ قادة مسيحيين أميركيين آخرين إلى مؤتمر عقد فى بوسطن، ووجهوا نداء إلى الرئيس جونسون ليأمر إسرائيل بالانسحاب من الضفة الغربية والقدس العربية وغزة ومرتفعات الجولان. ويقول الدكتور ماريا : «إن الانسحاب لم يحدث. ولكننا على الأقل استطعنا أن نجعل بعض الأميركيين يدرك أن هناك ظلماً تؤيده حكومتنا. وفى إحدى المرات ، عندما سأل أحد قادة إسرائيل الرئيس جونسون الاعتراف بأن المناطق التى انتزعت من العرب فى عام

١٩٦٧ هى جزء من إسرائيل أجاب الرئيس: «إنك تسألنى الاعتراف بحدودك. إنك لم تحدد حدود إسرائيل أبداً».

شغل موضوع «حدود إسرائيل» الأمم المتحدة أكثر من أى موضوع آخر. لقد كانت الأمم المتحدة هى التى أوصت بإقامة إسرائيل كفلسطين يهودية إلى جانب فلسطين عربية، وحددت حدود إسرائيل فى عام ١٩٤٨. منذ ذلك الوقت، غيرت إسرائيل باستمرار هذه الحدود - كانت تطبع خرائطها الخاصة وتضمنها الأراضى التى كان بعض قادتها مثل مناحيم بيغن، يقول: إن الله أعطاها إلى اليهود. لم تعترف ولم توافق أية أمة على الأرض بالحدود التى أعطتها إسرائيل لنفسها.

قادة العالم كافحوا من أجل الالتزام بالقرار ٢٤٢ الذى أقرته الأمم المتحدة. مثّل بريطانيا فى الأمم المتحدة اللورد كارادون وجمع عناصر القرار رقم ٢٤٢ الذى يشير إليه قادة دول العالم باستمرار على أنه الأساس الأفضل للسلام فى الشرق الأوسط.

خلال زيارتى لندن فى عام ١٩٨٢ قابلت اللورد كارادون الذى توجه إلى القدس لأول مرة فى العشرينات من هذا القرن، ليخدم بصفته أصغر عنصر فى حكومة الانتداب البريطانية على فلسطين. وقد حدثنى عن تلك الأيام فقال:

« فى الأسبوع الأول من وصولى، شهدت اضطرابات حائط المبكى فى عام ١٩٢٩. عملت فى فلسطين خلال الثورة العربية فى أواخر الثلاثينات والتى شهدت اضطرابات عنيفة. بقيت فى نابلس حوالى عشر سنوات وفى عمان ثلاث سنوات. ومرة سرت وحيداً من صيدا إلى دمشق عبر قمة جبل حرمون. وكنت أستقبل بلطف من أهالى القرى. أعرف كل قرية إلى الشمال من القدس».

وتحدث اللورد كارادون عن سنوات المجازر فى ألمانيا وشرح كيف أن العالم الغربى الذى شعر بتعاطف مع اليهود، حفر فى فلسطين وطناً لضحايا النازية. «لقد فرض على العرب أن يدفعوا ثمن جرائم هتلر». إنه يعتقد أنه كان بإمكان العرب والإسرائيليين أن يبشروا بسلام لو توفرت فى تلك الأيام العدالة للفلسطينيين. «لقد ازدادو حرماناً بعد حرب ١٩٦٧» إن شرعة الأمم المتحدة وغيرها من القوانين الدولية، بما فيها اتفاقيات جنيف، تنص كلها على أنها لا يحق لأية دولة أن تحتفظ بأراضٍ احتلتها بالقوة العسكرية.

على أساس هذه القوانين الدولية بنى كارادون القرار (٢٤٢) الذى قال: إن

لكل دولة فى الشرق الأوسط ، بما فيها إسرائيل ، حق الوجود بسلام داخل حدود آمنة ، وقال أيضًا : إن على إسرائيل أن تعيد إلى السيادة العربية كل الأراضى التى احتلتها - إسرائيل - فى حرب ١٩٦٧ . ويذكر كارادون بحماس أنه بمجرد أن طرح الموضوع على التصويت رأى يد المندوب السوفياتى فاسيلى كوزنتسو ترتفع مؤيدة القرار، إلى جانب يد المندوب الأميركى فى الأمم المتحدة آرثر غولدبرغ. وهكذا فى نوفمبر ١٩٦٧ ، أقر مجلس الأمن القرار ٢٤٢بالإجماع . وقال اللورد كارادون معلقًا : لقد مر الآن عقدان من الزمن منذ الموافقة على القرار ولم تتمتع إسرائيل خلال ذلك بيوم واحد من السلام».

سألت لماذا ؟ فأجاب:

«إن الولايات المتحدة لم تطلب وحتى لم تشجع إسرائيل على الانسحاب من الأراضى التى تسيطر عليها بصورة غير شرعية . بل إن الولايات المتحدة زودت إسرائيل بالدعمين المالى والمعنوى الكاملين حتى تواصل استمرار تجاهلها موجبات الأمم المتحدة فى إعادة الأراضى واستنتج اللورد كارادون بعد ذلك : إن القرار ٢٤٢ مهم لأنه ينص على الضرورة الهامة لانسحاب إسرائيل من أراضى العرب فإذا تمكنا من تحقيق إنسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية ، فإن كل شىء يمكن أن يحدث بعد ذلك».

القائد الإنجلينى دوغلاس كريكر «من دنفربكولورادو» أعدّ ورقة تحليل مطول لإسرائيل والقادة اليهود الأميركان ، أشار فيها إلى أنه نتيجة لحرب ١٩٦٧ العدوانية ، فإن إسرائيل تواجه خيارين اثنين : إما أن تحقق السلام من خلال الانسحاب من «أراض غنمتها بالحرب» ، وفق لغة شرعة الأمم المتحدة والقرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ ؛ وإما أن تواصل الاعتماد على قوة عسكرية تتعاظم باستمرار.

إذا عمل الإسرائيليون بالخيار الثانى، وواصلوا التضخم العسكرى ، (وهو ما يحثهم كريكر عليه بصفته مؤمنًا بالتدبيرية) فإن على الإسرائيليين والأميركيين اليهود أن يواجهوا خطر انفجار اللاسامية.

بسبب السيطرة الإسرائيلية العسكرية على أراض عربية، فإن ظهور اللاسامية فى الغرب يمكن أن ينطلق.

ويقول كريكر يمكن منع حدوث ذلك من خلال تحالفها - إسرائيل - مع اليمين المسيحى الجديد. وذكر قادة إسرائيل واليهود الأميركيون أن الأصوليين الإنجيليين ، مثل اليهود الأرثوذكس ، مغرمون بالأرض التى وعد الله بها إبراهيم وذريته . وأن

إسرائيل تستطيع أن تستعمل الإنجيليين الأصوليين لتعكس من خلال شبكاتهم الإذاعية والتلفزيونية الواسعة صورة إسرائيل التى يريدها ويتقبلها ويؤيدها الأميركيون.

فوق ذلك ، يقول كريكر، إن اليمين الدينى يستطيع أن يبيع الأميركيين فكرة «أن الله يريد إسرائيل عسكرية ومسلحة». وأنه كلما أصبحت إسرائيل عسكرية أكثر، فإن اليمين الدينى فى الولايات المتحدة يؤيدها أكثر، ويصبح متعلقًا بها أكثر.

فى عام ١٩٦٧ دعا المجلس الوطنى للكنائس إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية. وقد اتخذت هذه المبادرة بصورة خاصة الكنائس السلمية فى المجلس، - بما فى ذلك كنائس الكويكرز - ومينونايت وميثوديت التى أصبحت مع الوقت متشددة أكثر فى الحث على دراسة الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى.

افتتح المجلس الوطنى للكنائس مكاتب له فى مدينة واشنطن وتحدث أعضاؤه من وقت لآخر مع أعضاء فى مجلس الشيوخ ومع ممثلين عن قضايا الشرق الأوسط وأدلوا بشهادات أمام لجان الكونغرس حول ظروف الفلسطينيين فى غزة والضفة الغربية . ولكن لم تتضمن المطبوعات الكنسية مقالات تقدم لقرائها وجهات نظر الطرفين الفلسطينى والإ سرائيلى من الصراع إلا فى مرات قليلة.

بعد أن قدمت الكنيسة الأسقفية قراراً بشأن «انتهاك إسرائيل لحقوق الإنسان وللقانون الدولى» والذى دعا إلى قطع المساعدات الأميركية ، أرسل المجلس الوطنى للكنائس وفداً إلى الضفة الغربية لدراسة هذه الاتهامات ، وعلى أساس مقابلات عديدة مع سكان عن مختلف شرائح المجتمع ، أصدر المجلس بيانًا فى عام ١٩٨٠ انتقد فيه سياسات الاحتلال الإسرائيلى ، وأيد إقامة دولة فلسطينية منفصلة فى غزة والضفة الغربية . وأصدر مجلس الكنائس العالمى فى اجتماعه فى فانكوفر فى عام ١٩٨٣ قراراً مماثلا . وكان المجلس الوطنى للأساقفة الكاثوليك قد أصدر منذ عام ١٩٧٤ قرارات تحث على إيلاء الحقوق الفلسطينية وإقامة دولة فلسطينية عناية أكبر.

بصورة عامة ، فإن استمرار الاحتلال الإسرائيلى غير المشروع للأراضى العربية، لم يحظ سوى باهتمام قليل من قبل أكثرية المسيحيين الأميركيين الليبراليين. فقد بقوا على ولائهم لإسرائيل فى قضايا الشرق الأوسط . ومع ذلك، مع أن احتفاظ إسرائيل بالأراضى العربية لم يغير صورة إسرائيل فى أذهان

معظم الليبراليين المسيحيين ، فإن مؤشراً على إمكانية التغيير كان كافياً لإزعاج الصهيونيين.

يقول ليون هادر فى صحيفة «بوست » المقدسية ، «إن الخط العام من القادة المسيحيين استوعب إسرائيل على أنها دولة عنصرية وإمبريالية».

حتى ولو كان ذلك صحيحًا (قادة المجلس الوطنى للكنائس يصرون على أنه ليس كذلك) فإن القادة الإسرائيليين وقادة اليهود الأميركيين ، قرروا أنهم حتى إذا خسروا دعم المجلس كليًا ، فإن خسارتهم لن تكون فادحة. لقد كان ذلك صحيحًا لثلاثة أسباب : أولا ، إن القادة الإسرائيليين وقادة اليهود الأميركيين كانوا على ثقة من أن الصف الأمامى من قادة الكنيسة لن يحتجوا بشدة على احتلالهم للأراضى العربية، وهذا ما حدث بالفعل ، إن الصهيونيين يشعرون باطمئنان إلى أنه رغم أن بعض الأفراد الليبراليين من قادة البروتستانت والكاثوليك استهجنوا معاناة الفلسطينيين ، وذكروا ذلك فى مناسبات نادرة، فإن القضية بالنسبة لهم لم تكن أكثر أهمية من قضايا أخرى مثل التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا، وسباق التسلح ، وانتهاك حقوق الإنسان فى أميركا الوسطى.

وفى الوقت نفسه فإن قادة المجلس وقادة كنائس ليبرالية أخرى يحتفظون بأوثق روابط الصداقة مع مؤيدى إسرائيل من اليهود . ففى معظم المدن الأميركية ، يعمل قادة اليهود الأميركيين فى المجالس البلدية وفى المستشفيات والجامعات والمجالس الإقليمية للرعاية.

عندما يلتقى قساوسة مسيحيون من الولايات المتحدة مع كهنة يهود لتطوير التفاهم بين المسيحيين واليهود فى أميركا ، فإنهم يتجاهلون أى التزام بالمسيحيين والمسلمين العرب فى الأراضى التى يحتلها إسرائيليون يهود.

لقد فضل القادة الصهاينة اليهود تغيير التحالفات من المسيحيين الليبراليين إلى المحافظين لسبب ثان ، وهو : كسب دعم أشد حرارة . إن المجلس الوطنى للكنائس يمثل حوالي ٤٠ مليون مسيحى . الكنائس الإنجيلية الأصولية تمثل عدداً مماثلا . ولكن إذا تحدث أحد المسيحيين الليبراليين من الأربعين مليونا ضد مصادرة إسرائيل للأراضى العربية ، فإن هذا السلوك المنفرد لن يكون له تأثير يذكر، بالمقارنة مع الأربعين مليون أنجيلى أصولى الذين يؤمنون بقوة أن الله نفسه يريد أن تحصل إسرائيل على أى جزء من الأراضى العربية وعلى الأرض العربية التى تتمكن من مصادرتها.

أدرك قادة إسرائيل واليهود الأميركان أنه لا يوجد فى الصف الأمامى من المسيحيين ما يعادل التعصب العسكرى للأصوليين . بالنسبة لهم تشكل إسرائيل اهتمامًا دينيًا قويًا مرتبطًا بخلاصهم. من بين كل القضايا السياسية فإنهم يعيرون إسرائيل أولوية مطلقة. من أجل ذلك يقدمون دعمًا كاملا لا يناقش للدولة الصهيونية.

وهناك سبب ثالث لتحول مؤيدى إسرائيل إلى ما يسمى بالمسيحية المتشددة أو الصلبة . وهو أن العديد من قادة المجموعتين يعتقدون بحاجة إسرائيل إلى مزيد من السلاح ، بجيوش أكبر، بقنابل أكثر ، لتحقيق أهدافها بالقوة العسكرية.

منذ أن حصرت إسرائيل نفسها. مع بداية عام ١٩٦٧، بين ذراعى اليمين المسيحى الشديدتين ، وبصورة برغماتية، حملت العديد من قيادات الصهاينة اليهود فى الولايات المتحدة على أن تحذو حذوها . «ناتان بيرلمتر» من حركة بناى بريث يقدم لنا أكثر التوضيحات دقة حول أسباب العناق بين يهود الولايات المتحدة والأصوليين. ويقول أولا : إنه يشعر أنه مثال لليهودى الأميركى من حيث إنه يقيس كل موضوع من مواضيع الحياة بمقياس واحد وهو : «هل هو صالح لليهود؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب انتقل إلى المواضيع الثانوية».

يعتقد جيرى فولويل أن على اليهود الليبراليين تأييده لأنه يؤيد إسرائيل . ويحتل هذا الأمر المرتبه الأولى عند بيرلمتر . فاليهود الليبراليون قد لا يتوافقون مع فولويل حول سياساته المحلية بشأن المزيد من القنابل النووية ، والإجهاض ، والصلاة فى المدارس . غير أن بيرلمتر يقتنع بأن هذه مشاكل ثانوية . ففى كتابه «اللاسامية الحقيقية فى أميركا» يقول بيرلمتر: يستطيع اليهود أن يتعايشوا مع كل الأولويات المحلية لليمين المسيحى التى يختلف معهم حولها اليهود الليبراليون ، لأنه ليس بين هذه الشؤون ما هو فى أهمية إسرائيل».

ويلاحظ بيرلمتر أن الأصوليين الإنجيليين يفسرون نصوص الكتاب المقدس بالقول: إن على جميع اليهود أن يؤمنوا بالمسيح أو أن يقتلوا فى معركة هَرْمَجَدُّون. ولكنه يقول فى الوقت نفسه : «نحن نحتاج إلى كل الأصدقاء لدعم إسرائيل . . فإذا جاء المسيح ، فسوف نفكر بخياراتنا فى ذلك اليوم . أما فى الوقت الحاضر، دعونا نصلى للرب ونرسل الذخيرة».

لقد تبنى بصورة متزايدة غيره من القادة اليهود هذا النهج . ويحث اريفينغ كريستول، (وهو ناطق بارز باسم المجموعة اليهودية المثقفة فى نيويورك) اليهود

الأميركيين علـى تشكيل تحالف أوثق مع جيرى فولويل وغيـره من الجناح اليمينى المحافظ. ويكتب كريستول فى صحيفة كومنترى فى يوليو ١٩٨٤ قائلا . . .

الليبراليـة هى فى موقع دفاعى. وعلى اليهود أن يبتـعدوا عنها . إننا مكرهون على اخـتيار حلـفائنا حيـث نجدهم وكيـفمـا نجدهم». ويعـتقـد أن أمام اليـهود الأميركيين أولوية مطلقة ، هى إسرائيل ، بما أن فولويل و«الأكثرية المعنوية» تدعم إسرائيل ، فإن على الـيهود الأميركـيين بالمقابل أن يؤيدوا تأييدًا ساحـقًا المحافظين الجدد. بالنسبة إلى كـريستول ، تصبح الدولة الصهيـونية الالتزام المعنوى المطلق ، وأساس كل المبادئ المعنوية الأخرى. ويقول فى كتابه : .

لو علم اليهود الأميركيون قبل ١٥ عامًا أنه ستـقوم حركة نهضة بروتستنتية قوية محافظة كقوة سياسية ودينية ، لتملكهم الذعر ، ذلك أنهم كانوا سيتوقعون أن أية نهضة من هذا النوع ستكون معادية للساميـة ومعادية لإسرائيل . غير أن «الأكثرية المعنوية ليست كذلك».

أكثر من ذلك أن كريستول (وهو أستاذ الفكر الاجتماعى فى كلية إدارة الأعمال فى جامعة نيـويورك) يرى أن «الأكثرية المعنوية» مؤيدة لإسرائيل بقـوة . وللتأكيد على ذلك يقـول : أحـيانًا يردد المـبشـر الأصـولى أن اللّه لا يسـتمع إلى صـلاة اليهودى، ولكن «لماذا علـى اليهود أن يكترثوا لنظريات المبشـر الأصولى طالما أنهم لا يؤمنون للحظة واحدة، أنه يتمتع بأية سلطة حول موضوع تجاوب اللّه مع صلاة البشر؟ وماذا تعنى مثل هذه الـنظريات المبهمة مقابل الحقيقـة الثابتة وهى أن المبشر نفسه يقف إلى جانب إسرائيل بقوة؟.

يحث كريستول اليهود على أن يوجهـوا إلى أنفسهـم السؤال التالى: كيف يكون الأمر لو كانت «الأكثرية المعنوية» ضد إسرائيل؟ إن الجواب سهل ولا يمكن التهرب منه. وهو : أن الفارق سـيكون كبيراً جـدًا وسيكون الأمر بالنسبـة لليهود مـرعبًا حقًا».

ويكتب كريستول قائلا : صحيح أن «الأكثرية المعنوية» ملتزمة بعدد من المسائل الاجتماعـية - الصلاة فى المدارس ، ومنع الإجهاض ، وعلاقـة الكنيسة والدولة بصورة عـامة - يمكن أن تثـير رد فعل مـعاديا بين معظم (وليـس جميع) اليـهود الأميـركيين ، ولكن من خـلال المقارنة بين حسنات ومـساوئ هذا الأمـر يتبين أن الأمور الأجـتماعـية «للأكثـرية المعنوية» لا تحقق أى نجـاح يذكر ، بينما الشـعور المعادى لإسرائيل كان يتصاعد، ودعم الأكـثرية المعنوية يمكن فى المستقبل القريب،

أن يصبح حاسمًا بالنسبة لوجود الدولة اليهودية . وعلى هذا الأساس حددت الحكومة الإسرائيلية خيارها من الأكثرية المعنوية . ومن الصعوبة رؤية أى سبب يجعل اليهود الأميركيين يصلون إلى خيار آخر.

ويقول كريستول : «أما فيما يتعلق بالقانون الدولى ، فلم يسبق لأية مجموعة وثنية أو دينية فى الولايات المتحدة أن أنجبت هذا العدد من العلماء فى ميدان القانون الدولى كما أنجب اليهود قياسًا على عددهم . غير أنه لا يجوز أن يبقى اليهود أوفياء «لهذه المبادئ البراقة» ، إذ إنه على إسرائيل أن تكسر من وقت لآخر القوانين الدولية وأن تقرر لنفسها ما هو قانونى وما هو أخلاقى وذلك على قاعدة واحدة وهى ما هو جيد لليهود وما هو فى مصلحة اليهود».

عندما قصفت إسرائيل ودمرت المفاعل النووى العراقى ، كتب كريستول يقول: إن معظم اليهود الأميركيين أدركوا أن هذا العمل كان معقولا وأنه لا يوجد فيه شىء غير قانونى أو غير أخلاقى . ففى عالم حافل بالصراع والوحشية ، يحث كريستول اليهود الأميركيين على احتضان القضايا الاجتماعية «للأكثرية المعنوية» . ويقول : على اليهود الأميركيين مراجعة تفكيرهم بشأن (على الأقل) بعض هذه القضايا الاجتماعية موضع الجدال ، حتى من زاوية المنفعة الخاصة. ويبدو أنه أصبح أكثر وضوحًا الآن أنه حان الوقت الذى يتحتم عليهم أن يفعلوا ذلك فى مطلق الأحوال ، سواء كانت هناك «الأكثرية المعنوية » أو لم تكن.

وتساءل كريستول : هل يستطيع أحد أن يشك أنه تحت حكم رئيس ديمقراطى ليبرالى ، فإن سفيرنا المقبل إلى الأمم المتحدة سيكون أقرب إلى اندرويونغ منه إلى جين كيرباتريك؟.

كتب كريستول يقول : الاتحاد الليبرالى يبتعد عن المصالح اليهودية ، مشيراً إلى «تزايد المحورية المأساوية بين اليهود والسود » وإلى المتغيرات داخل الاتحادات التجارية. الرئيس الحالى للاتحاد لين كيركلاند هو ليبرالى وعمل مع اليهود ولكن «من السهولة رؤية الأرض تتحرك تحت قدميه . إنه بالنسبة لليهود الأميركين ، تحرك مشئوم».

إن ما يسمى «بالاتحاد اليهودى » بدأ بالزوال . فعمال الملابس ، والعمال الدوليون للألبسة النسائية ، والفدرالية الأميركية للمعلمين، إنها كلها لا تزال تحتفظ بقيادات يهودية هى على علاقات وطيدة مع المجموعة اليهودية . غير أن

عضويتها أصبحت فى أكثريتها الساحقة من السود والشرقيين ومن جنوب أميركا . أما القادة المستقبليون فلن يكون لديهم أى سبب للاهتمام بصورة خاصة بالقضايا اليهودية».

ويرى كريستول «أن التنظيم العمالى يبتعد عن تقاليده اللاسياسية ، ويطور علاقات أوثق مع الحزب الديمقراطى . «وفيما يحدث ذلك ، فإن الاتحادات نفسها تتبع بصورة طبيعية أيديولوجية حلفائها السياسيين . وإذا أردنا أن ندرك معنى ذلك، يكفى إن ننظر إلى «المواد الثقافية» التى يعدها الاتحاد الثقافى الوطنى ونراقب كم هى «منصفة » لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وكم هى باردة ومشككة بالقيم الإسرائيلية . حتى إن وسائل الإعلام فشلت فى أن تكون دائمًا موالية لإسرائيل . «إن وسائل الإعلام فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا هى أشد نقدًا لإسرائيل وتعاطفًا مع منظمة التحرير».

يرى كريستول فى هذه المتغيرات فى الاتحادات التجارية ووسائل الإعلام ، انجرافًا نحو الليبرالية ، ولكنه يضيف أن الانجراف الليبرالى نحو اليسار سوف يقف فى مكانه، ولذلك فإن على اليهود الأميركيين الانضام إلى اليمين الجديد . إن الجميع يسيرون فى هذا الاتجاه.

إن مستقبل الحركة هو ضد النظام الاقتصادى والسياسى الليبرالى ، وضد المبادئ الليبرالية بالحكم الذاتى . وفى هذا العالم الواقعى «من الأفضل لليهود أن يدعموا المحافظين الجدد. ومهما يكن من أمر، فمن الأفضل دعم الرابحين لا الخاسرين.

يؤيد اليك ريشنيك رئيس المنظمة الصهيونية فى أميركا ، التحالف اليهودى مع المحافظين ولقد قال فى «مؤتمر رؤساء القيادات » الذى عقد فى لندن فى يونيو ١٩٨٤ : «نحن نرحب ونوافق ونحيى مثل هذا الدعم المسيحى لإسرائيل دون أن نورط أنفسنا فى قضاياهم المحلية».

وشدد خطيب آخر فى المؤتمر هو هارى هورويتس الذى يعمل فى مكتب رئيس الحكومة على ترحيب إسرائيل بدعم الجناح اليمينى الإنجيلى ، وأعلن : «إن المسيحيين الأصوليين هم أولا وأخيراً مؤيدون لإسرائيل . وعندما يتعلق الأمر بتجييش الدعم لا نستطيع أن نكون انتقائيين».

وإدراكًا من مجلس الحاخامين لأهمية التحالف مع الأصوليين المسيحيين ، عين المجلس الحاخام « رابى أبنر وليس » كضابط ارتباط مع اليمين المسيحى ورعى تجمعًا فى هيوستن من حوالى مائة يهودى ارثوذكسى وإنجيلى محافظ.

من بين قادة اليـهود الأميركـيين الذين يؤيدون إقامة حلف مع اليمين المسـيحى الجديد، الحـاخام سـيمـور (محافظ) والحـاخام جـوشوا هابرمـان (إصلاحى)، والحاخام يعقوب برونر، والدكتور هارون جـاكوبس رئيس المجلس الوطنى للشبيبة الإسرائيلية (أرثوذكسى) والحاخام دافيد بانيتس من منظمة بنى بريث.

باختصـار ، إن كلمات قادة اليهود واليمين المسيحى تخبرنا أنهم أقامـوا تحالفًا يريدون منه ويكافحون به من أجل تحقيق نفس الأهداف . إن القادة فى المعسكرين يفضلون بنـاء قوة عسكرية غـير محـدودة من الأسلحة النووية. ومن غـيرها من الأسلحة فى كـلا الدولتين (أميركـا وإسرائيل) . إن إسـرائيل تملك حوالى ٢٠ سلاحًا نوويًا، ويقول المحافظون الإنجيليون الذين تحدثت إليهم: إنهم يتمنون لو أن إسرائيل تملـك أكثر من ذلك. إن قـادة اليمين الإسـرائيلى، واليمين المسـيحى هم وطنيون عـسكر يتاريون ، لكل منهم عقـيدة تحتل الأولوية المطلقة فى حـياتهم ، عقيدة متمركزة حول إسرائيل وعبادة الأرض.

إن تطور إسرائيل إلى قوة استعمارية وعـسكرية بالإضافة إلى تحالفها مع اليمين المسيحى المتطرف ، يجـعلان الكثيرين من اليهـود الأميركيين الليبـراليين يشعرون بالقلق وعـدم التوازن . وقـد لاحظ «اريفين هو» وبرنارد روزنبـرغ فى كتـابهمـا «المحافظون «الجدد» أن الأكثرية الساحقة من الفكر ومن الكتابات اليهودية منذ عدة عقود كـانت فى الاتجاه الليبرالى»، غيـر أن الكاتبين يضيفان أن اليهـود الليبراليين مرتبكون الآن وأن إسرائيل هى السبب الرئيسى فى ذلك.

بعض اليهود الأميركيين شجب تعاظـم الاتجاه بين قادة اليهود الأميركيين لوضع عبادة إسرائيل فوق أى شىء آخر . وتحذر روبرتا شتراوس فيورليخت من بروكلين وهى من أبوين يهوديين أرثوذكسيين، من أن اليهود الأميـركيين يتجهون نحو عبادة إله صهيونـى مزيف وأنه بمثل هذا العمل فإنهم يهجرون مـعظم الأموال ويحولون قوة اليهود الأميركيين إلى «أوليغارشية صغيرة من الرجال اليهود».

وفى كتـابها الرائع «مـصير اليـهود» تشيـر «فيورليـخت» إلى أن أول مسـاهمة لليهودية كـان القانون الأخلاقى. وأن عظمة اليهـودية لم تكن فى ملوكها إنما فى أنبيائها . وتذكـرنا، أن السياح يفدون إلى قلعة «ماسادا» التاريخـية، حيث جرت عملية انتحار يهودية جماعية لتجنب الوقوع فى الأسر - ، وأن المسئولين يقسمون هناك بأنه لن تحـدث «ماسـادا» ثانيـة. ولكن اللّه لم يأمـر اليهـود بالموت، ولكنه

أمرهم بالحياة . وتنقل عن كلام اللّه : لقد وضعت أمامكم الحياة والموت. . . ولذلك عليكم أن تختاروا الحياة» . ومع ذلك تضيف ، إن الإسرائيليين بوضعهم مصيرهم بيد الجيوش والأسلحة وبتشر يفهم الجنرالات أكثر من الأنبياء، لا يختارون الحياة ولكنهم يختارون الموت.

وتحذر من أن أولئك الذين يجعلون من إسرائيل عبادة يدفعوننا فى هذا الاتجاه.

مكاسب إسرائيل من التحالف: المال

تلخص أهداف إسرائيل الثلاثة فى الولايات المتحدة على النحو الآتى:

١ - إن إسرائيل تريد المال.

٢ - إن إسرائيل تريد الكونغرس أن يكون مجرد خاتم - مطاطى للموافقة على أهدافها السياسية.

٣ - إن إسرائيل تريد سيطرة كاملة ومنفردة على القدس.

اليمين المسيحى الجديد يساعد إسرائيل على تحقيق هذه الأهداف الثلاثة. لنبحث أولا فى المسألة المالية. كم نقدم إلى إسرائيل؟ وهل ما نقدمه لها هو على شكل هبات أو قروض مع فائدة تدفعها، أو إنها مجرد عطاءات؟.

خلال جولة ١٩٨٥ مع فولويل، ناقشت موضوع المساعدات الأميركية لإسرائيل مع أستاذ فى الجامعة العبرية «إسرائيل شاهاك» رئيس المنظمة الصهيونية للحقوق المدنية والإنسانية. وهو أحد الناجين من معسكر الاعتقال فى «برجن - بلسن» وناقد لسياسة إسرائيل التوسعية. وجه الدكتور شاهاك اهتمامه إلى المساعدات الأميركية لإسرائيل قائلا: «إن دافع الضرائب الأميركى أرسل فى عام ١٩٨٥ إلى إسرائيل خمسة مليارات دولار. وهذا يعنى أنكم أنتم الأميركيين ترسلون ما يعادل ١٧٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل فى إسرائيل، وبكلام آخر، إنكم ترسلون حوالى ٨٠٠٠ دولار سنويًا لكل عائلة إسرائيلية من خمسة أشخاص. إنكم تقدمون لنا حوالى ١٤ مليون دولار يوميًا، على مدى ٣٦٥ يومًا فى السنة من دون أية قيود. إنكم لا تتوقعون أن نسدد لكم فائدة على هذه الأموال، ولا تطالبوننا بأن نعيد حتى الرأسمال. إنكم تجعلون من ملياراتكم هذه كلها هدية.

«يتساءل بعضنا فى إسرائيل كما يتساءل بعض الأصدقاء الأميركيين من اليهود

والمسيحيين ما إذا كانت الهبات الضخمة تساعد إسرائيل على المدى الطويل. إننى أعتقد أن تقديم مليارات الدولارات إلى إسرائيل هو مثل تقديم مزيد من المخدرات إلى المدمن.

إن أميركا لا تشجعنا حتى أن نتحمل مسئولية حياتنا ومصيرنا.

إن طبيعة الصهيونية هى البحث الدائم عن حام ومعيل . فى البداية توجه الصهيونيون السياسيون إلى إنكلترا ، التى قدمت لهم ذلك . الآن يتوجه الصهيونيون ويعتمدون كليا على الولايات المتحدة . ولقد أقاموا هذا الحلف مع اليمين المسيحى الجديد الذى يبرر أى عمل عسكرى أو إجرامى تقوم به إسرائيل».

وختم شاهاك قائلا : «حتى إذا أدرك قليل من الإسرائيليين والأميركيين أن التدفق غير المحدود لبلايين الدولارات الأميركية يعطل ويؤذى إسرائيل، فإن تحالف اليمين الإسرائيلى مع اليمين المسيحى سوف يصرّ على أنه عليكم أنتم الأميركيين أن تواصلوا إرسال المزيد من المساعدات».

عندما عدت إلى واشنطن قابلت «بول فندلى» العضو الجمهورى السابق فى لجنة العلاقات الخارجية . كان ممثلا عن منطقة إيليونيس التى أرسلت إلى الكونغرس فى عام ١٨٤٦ إبراهام لنكولن. كان فندلى يروج لكتابه «من يجرؤ على الكلام» والذى يتعلق بالكونغرس واللوبى الإسرائيلى.

أخبرت فندلى بما قاله لى بعض الأصوليين من أنه على الولايات المتحدة أن تقدم لإسرائيل كل ما تريده من المال «لأن الله يريد منا أن نفعل ذلك». وسألته : هل من رأيه أن على الشعب الأميركى أن يصوت على إرسال المزيد من بلايين الدولارات إلى إسرائيل؟ فرد قائلا:

«لا توجد فرصة أمام الشعب الأميركى نفسه ليصوت على موضوع إرسال بلايين الدولارات كمساعدات خارجية . وقال إن التصويت يقوم به مجلسا الشيوخ والنواب. وفيما يتعلق بصفقات المساعدة لإسرائيل فإن الكونغرس يصوت دون استثناء وبأكثرية ساحقة على إرسال الكميات من الأموال التى تحتاج إليها (إسرائيل).

الكونغرس يستطيع أن يسأل ، وهو يسأل بالفعل عن المساعدات التى ترسل إلى أية دولة أخرى ، أو عن المساعدات المخصصة للتغذية فى المدارس، وللأمهات الحوامل، أو لتطوير برامج الضمان الاجتماعى . غير أن الكونغرس يوافق دائمًا

على المساعدات لإسرائيل . إن إسرائيل بأربعة ملايين فقط من السكان هى بلا منازع المستفيد الأول من برنامج مساعداتنا . إنها تحصل على حوالى ثلث كل المساعدة الأميركية الخارجية.

وسألته : هل شاهد فندلى طوال ٢٢ عامًا فى تلة الكابيتول (الكونغرس) اقتراعًا ولو لمرة واحدة - أسقط طلب إسرائيل بالمساعدة؟ فرد بالنفى. وقال : إن ذلك لم يحدث أبدًا. وفى هذا الشأن فإن اللوبى الإسرائيلى هو الذى يعد بطاقته. وهو يحصل على كل الطلبات المالية التى يتقدم بها، باستثناء مرتين أو ثلاث، حيث كان الأمر يتعلق ببيع الولايات المتحدة أسلحة للدول العربية. إن اللوبى الإسرائيلى يقول ماذا يريد والكونغرس يصوت لإعطائه ويمكن القول : إن اللوبى الإسرائيلى أملى بصورة عامة سياستنا فى الشرق الأوسط » وسألته طالما أن اللوبى الموالى لإسرائيل عمل بصورة تقليدية مع الديمقراطيين الأميركيين ، وحصل على ما يريد من الكونغرس، فماذا ربحت إسرائيل من إقامة التحالف مع اليمين المسيحى الجديد؟

فرد قائلا : «إن اللوبى الإسرائيلى هو أكثر ذكاء من أن يحتفظ بأصدقائه التقليديين من الديمقراطيين الليبراليين، فى الوقت الذى يقيم صداقات مع المحافظين المتشددين من الجمهوريين الذين يتبعون جيرى فولويل وغيره من قادة اليمين المسيحى الجديد. وبوجود الديمقراطيين الليبراليين والمحافظين معًا فى جيبه، فإن اللوبى الإسرائيلى يكون قادرًا على أن يحصل بالإجماع على إقرار السياسات التى يريدها إزاء الشرق الأوسط.

نقلت إلى - فندلى - ما قاله المبشر لينش فى حديث صحفى عقده فى القدس خلال جولتى فى الأرض المقدسة عام ١٩٨٣ من أنه سيأتى يوم فى أميركا لا يفوز فيه أى مرشح لمنصب فى الإدارة الأميركية ، إذا كان هذا المرشح غير صديق لإسرائيل . وسألته هل يعتقد ذلك ؟ فرد قائلا : «إن هذا هو الواقع اليوم بالنسبة للكونغرس الأميركى» وأضاف : «ليست المسألة مسألة عدم صداقة إسرائيل ، إن اللوبى لا يريد مشروعًا يقول : إن هناك طرفين فى الصراع العربى - الإسرائيلى بل يريد من كل مرشح أن يكومئه بالمئة إلى جانب إسرائيل وإلا فيجب إسقاطه» . وأعطى أمثلة على ذلك قائلا:

إننى وتشاك بيرسى مثالان واضحان».

وسألته لماذا خسر هو بالتحديد مقعده فى الكونغرس؟ فأجاب : «لقد دعوت

إلى معالجة متوازنة لمشكلة الشرق الأوسط . غير أن اللوبى الإسرائيلى فسر أقوالى بأن هناك طرفين فى الصراع العـربى الإسرائيلى ، بأنه انتقـاد لإسرائيل . إن هذا اللوبى يريد منع أى انتقاد لإسرائيل فى الكونغرس، وفى الصحافة وفى الجامعات. وهو لا يتـورع عن خنق حرية الكلام من أجل ذلك . بالنسـبة للوبى الإسـرائيلى فإن انتقاد إسرائيل أو حتى مجرد ذكر كلمة الفلسطينيين، هو أمر مساو للاسامية.

لقد قدمت ٣١ لجـنة سياسية - يهـودية لخصمى السيـاسى الذى يكاد لا يعرف ١٠٤,٣٢٥ دولاراً . وفى ذلك الوقت كـان هذا التنافس الانتخـابى هو الوحـيد الذى تقدم من خلاله مثل هذه الجمعيات مبلغًا يفوق مائة ألف دولار . أستطيع أن أقول بثقة: إنه لو رفع اللوبى الإسرائيلى يده عنى لربحت الانتخابات.

وسألتـه بعد ذلك : ماذا فـعل تشارلز بيـرسى الرئيس السابق للجنة العـلاقات الخارجية حتى يفجر اللوبى الإسرائيلى ضـده جام غضبه ؟ فرد قائلا : لقد صوت بنعم عام ١٩٨١ على صـفقة طائرات الإنذار المـبكر أواكس - للعربية السـعودية. هذا التـصويت أدى إلى إسـقـاط بيرسى - رغم أنه كـان مـؤيداً لكل تشريعـات المساعدة لإسـرائيل . إن شبكة لجان العمل اليهـودية - باك - أقرت ١,٢٨ مليون دولار لمرشحي مجلس الشيوخ فى انتـخابات عام ١٩٨٤، وانفق ٤٤ بالمئة من هذا المبلغ على خصوم خمسة مـرشحين فقط - بينهم بيرسى - لأنه صوت إلى جانب بيع الأواكس. قدمت اللجان اليهودية - باك - ٣٢٩,٨٢٥ دولاراً لسبب واحد ، وهو هزيمة بيرسى. فـوق ذلك أنفق مايكل غـولاند، وهو مستـثمر عـقارات فى كاليـفورنيـا تشده روابط إلى - البـاك - اليهودية ١,١ مليـون دولار على برامج التلفزيون «المستـقل» وعلى توجيه الرسائل البريدية، وحمـلات اللوحات الإعلانية ضد السيناتور بيرسى».

وسألت : لقد كان مـعلومًا أن الصهيونيين الإسرائيلـيين أرادوا إقصاء بيرسى . ولكن كيف استفادوا من تحالفهم مع اليمين المسيحى الجديد فى ذلك؟ أجاب:

«لقد اسـتفادوا خـاصة فى هذه الحالة . اللوبى الإسـرائيلى عمل مع مسـاعد فولويل ريتشارد فـيغارى ، وهو أحد مؤسسى «الأكثـرية المعنوية». وأدلى فيغارى ببيان قال فيه : إنه يريد أن يرى بيرسى مهزومًا . وهكذا دفع المحافظون المتطرفون فيغـارى وفولويل بكامل ثقلهما لدعم مـرشح ديمقراطى ليبرالى هوبول سـيمون ، لأنه كـان مـؤيداً لإسـرائيل مـئـة بالمئـة ، أصـبح المرشح الذى يـفـضله اللوبى الإسرائيلى.

استعمل اللوبى الإسرائيلى اليمين المسيحى ليس فقط لإلحاق الهزيمة بمرشحين ، إنما لتغيير عقول وقلوب مشرعين لم يكونوا صهيونيين. ويمثل جيس هلمز مثالا على ذلك.

حتى عام ١٩٨٥ ، كان السيناتور هلمز [أحد أقرب حلفاء ، فولويل فى القضايا المحلية ، ويقال داعم مالى لكنيسة فولويل] معروفًا بأنه واحد من أكثر منتقدى العلاقة الخاصة القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل ، وكان انتقاده ينصب بصورة خاصة على الكميات الكبيرة من الدولارات الأمركية التى يرسلها دافع الضرائب إلى إسرائيل. لقد كان هلمز يصوت باستمرار ضد المساعدات الخارجية من حيث المبدأ، وله سجل حافل بتعطيل وبمهاجمة مبادرات أخرى مهمة لليهود. إن سجل تصويته يجعل الإسرائيليين وأصدقاء إسرائيل يصنفونه كواحد من أشد المعادين للصهيونية إن لم يكن أكثر المشرعين عداء للصهيونية.

فى عدد ٢٨ أغسطس ١٩٨٤ من صحيفة «صوت القرية» كتب الكاتب الأميركى - الإسرائيلى اليهودى سول شترن هذا التحليل : « إن هلمز هو أكثر سيناتور رجعية خلال العقود الثلاثة الماضية.. إن له أسوأ سجل بالنسبة لموقفه من المساعدات لإسرائيل . وتبين إحصاءات المنظمات اليهودية أنه عارض بشدة آخر ٢٦ مشروعًا مؤيدًا لإسرائيل».

انتقد هلمز كذلك علانية غزو إسرائيل للبنان والذى أسفر عن مقتل وجرح أكثر من ١٠٠ لبنانى وفلسطينى . وفى مقابلة مع «الواشنطن بوست » اقترح - كوسيلة للاحتجاج - العلاج الآتى:

قطع العلاقات فوراً - مع إسرائيل - «أعرف أن ذلك سوف يحدث صدمة لدى اللوبى - الإسرائيلى القوى هذه الأيام . ولكن اقطعوا العلاقات».

وفجأة قام هلمز بدورة ١٨٠ درجة . كان على منصة مجلس الشيوخ ، وبدلاً انتقاد إسرائيل بدأ يمتدحها . وأبلغ زملاءه أنه تلقى دعوة لزيارة الدولة اليهودية وأنه قرر تلبيتها . وفوق ذلك وقع هلمز اسمه على رسالة وجهها إلى الرئيس ريغان وصف فيها إسرائيل على أنها أفضل صديق لأميركا فى الشرق الأوسط ؛ وحث الرئيس على مساعدة إسرائيل للاحتفاظ بالمناطق العربية المحتلة بصورة غير شرعية فى الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان وشرقى القدس العربية .

ماذا حدث ؟ للحصول على رأى حول نقلة هلمز ، تحدثت إلى ألن كليوم ، محرر - ميدل إيست أوبزرفر - التى تنقل تشريعات الكونغرس المتعلقة بالشرق

الأوسط . وسألتـه : هل يمكن أن تشرح لى لماذا أصبح سيناتور شمـال كارولينا (هلمز) صهـيونيًا متحـمسًا بين عشيـة وضحاها؟ هل فولويل هو الذى غـير عقل وقلب السيناتور هلمز؟ أجاب كليوم الذى عمل أستاذًا فى الشرق الأوسط:

إنهما صـديقان حميمـان . كلاهما من المحافظين المتطرفين . كـلاهما يعارض الإجهاض ، والتجـميد النووى ، وتعديل قانون مسـاواة الحقوق، وتدريس نشوء وتطور الأجناس . إنهـما يتـوافقـان أيضا على أن كل العـقائد الأخـرى هى دون عقيدتهـما. وأنه ما لم تعد ولادة أى كان ثانية فـى المسيح فليست له ديانة توصله إلى الجنة.

كان هلمز وفولويل ، لسنوات ، على اتفاق تام حول جميع المسائل الأساسية، باستثناء مسألة واحدة ، هى إسرائيل .

فى السبعينات والثمانينات ، تقدم فولويل أكثر وأكثر باتجاه المعسكر الصهيونى. كان يؤيد إعطاء إسـرائيل أية كميـة من المال تريد . وكان هلمـز يعارض ذلك بلا هوادة». وسألت هل استعمل اللوبى الإسرائيلى صديقه الحميم فولويل للتأثير على هلمز ؟ أجاب :

«ربما يكون فـعل ذلك. لقد أعـيد انتـخاب هلمـز حتى عندمـا كان يـعارض المساعدات لإسرائيل. ولكن ربما استعمل الإسرائيليون فولويل ليقول لهلمز : انظر ماذا حل بالسيناتور بيرسى. لقد هزمناه . فإذا لم تتغير فلن يعاد انتخابك فى المرة القادمة . «أما الذين لهم الفـضل الحقيقى ليحملوا هلمز على القيـام بهذه القفزة، فهم مجموعة من اللوبى الإسرائيلى المحـافظ ، يطلق عليهم اسم «الأميركيون من أجل إسرائيل آمنة».

وعدت أسأل : سمـعت عن مجموعة ضمن اللوبى الرئيـسية المؤيدة لإسرائيل والتى تدعى «ايباك» (لجنة العلاقـات العامة الأميركية - الإسـرائيلية). أعرف أنها كانت مكلفـة بإنفاق الأموال الضخـمة التى جمعـتها اللجان اليـهودية - باك - ، ولكن ما هو الهدف الأساسى من وراء «أميركيون من أجل إسرائيل آمنة»؟ أجاب: الهدف هو أن تفعل مع الآخـرين غير المؤيدين للصهيونية مـا تم عمله مع هلمز ، أى إقناع أى مـحافـظ لا يؤيد إسرائيل أنـه من أجل انتخـابه، أو من أجل إعـادة انتـخابـه، فإن عليـه أو عليـهـا دعم إسرائيل مـائة بالمئـة . إن - ايبـاك واللوبى الإسرائيلى المحافظ يعالجـان أموراً مختلفة . تهتم - ايباك - بالمساعـدات ومبيعات الأسلحة. أما مـنظمة «أميركيـون من أجل إسرائيل آمنة» فإن لديهـا هدفًا آخر هو

إقناع الأميركيين بأن لإسرائيل حقًا مطلقًا فى كل القدس وفى كل فلسطين». وقال كيلوم:

«بالإضافة إلى مساعدة اللوبى الإسرائيلى فى الكونغرس ، ساعد اليمين المسيحى الجديد ، الصهيونيين من أجل كسب منافذ أكبر إلى البيت الأبيض. لا أعنى بذلك أن على توماس داين من ايباك - أو غيره من القادة اليهود أن يستعينوا بجيرى فولويل ليفتح لهم الأبواب من أجل التحدث إلى الرئيس . إن أصدقاء إسرائيل وجدوا دائمًا الأبواب مفتوحة أمام كل رئيس بدءًا بترومان ولكن خلال السنوات الأخيرة ومع اتجاه إسرائيل ثم المجموعة اليهودية فى الولايات المتحدة ، وبعد ذلك الرئاسة الأميركية ، نحو المزيد من المحافظة ، أدرك الإسرائيليون أنه أصبح ملائمًا التقرب من الأشخاص القريبين من الرئيس.

ومن كان أقرب إلى العديد من الرؤساء من بيلى غراهام؟. عندما أطلقت النار على ريغان، طلب ريغان قبل كل شىء أن يرى بيلى غراهام. اختار ريغان اثنين من قساوسة «التدبيرية» هما جيمس روبيسون وكريسويل ليقدما صلاة افتتاح واختتام مؤتمر الحزب الجمهورى فى دالاس. واختار القس دون موموا من أهل «التدبيرية» فى كاليفورنيا ليقدم بركة التدشين فى عام ١٩٨٥، يشعر ريغان بالارتياح من المؤمنين « بالتدبيرية» . وإذا لم يكن القسيس المسيحى مع اليمين المسيحى الجديد، فإن ريغان كان يرفض لقاءه أو التحدث معه.

ويختتم كليوم قائلا : «إن للقادة الأصوليين الإنجيليين اليوم قوة سياسية ضخمة. إن اليمين المسيحى الجديد هو النجم الصاعد فى الحزب الجمهورى . وتحصد إسرائيل مكاسب سياسية داخل البيت الأبيض من خلال تحالفها معه.

مكاسب إسرائيل من التحالف : مزيد من الأرض

مساء يوم من عام ١٩٨٥ وخلال زيارتى للأرض المقدسة مع رحلة فولويل المنظمة ، دعانا الدليل الإسرائيلى للتجمع فى قاعة الفندق. أراد أن يشرح لنا حروب إسرائيل فى أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، ١٩٨٢ . رسم خريطة كبيرة، وتحلقنا حوله نستمع إلى التواريخ والأماكن . وفور بداية «الأوديسة» عن الصراع المستمر مع الفلسطينيين، غادر أحد الحاضرين من المجموعة - ويدعى مارفين - القاعة . فى اليوم التالى سألته ما إذا لم يشأ الاستماع إلى الدليل بداعى التعب، فأجاب بالنفى . وقال : إنه ليس بحاجة لمعرفة حقائق عن حروب إسرائيل. إنه يعرف فى قرارة نفسه «معجزة ربح اليهود لكل حرب يخوضونها ضد العرب. وهكذا فأنا أعرف الجانب الذى أقف معه. إننى أقف إلى جانب إسرائيل».

إن مارفين كغيره من اليمين المسيحى الجديد ، يشعر بالنشوة لأنه حليف للرابح. إنه يتماثل مع مقاتلى العهد القديم الذين ذبحوا جميع أعدائهم بسيوف حادة ومن دون شفقة. يحب مارفين النصوص التوراتية التى تنقل عن الله اختياره أقصى العنف كسياسة إلهية . وقد نقل إلى مرة المقطع ١١٠ الذى يتحدث عن يهوه وهو يسحق الرؤوس ويملأ الأرض بجثث غير المؤمنين ، والمقطع ١٣٧ الذى يعرب عن الرغبة فى الانتقام بالقبض على الأطفال البابليين وإلقائهم فوق الصخور. قال لى مارفن : هكذا يجب على الإسرائيليين أن يعاملوا العرب.

رغم أن مارفن كان معجبًا ومطلعًا على نصوص التاريخ التوراتى ، فقد كان جاهلا بما يتعلق بالصراع الإسرائيلى العربى المعاصر . لم يكن مهتمًا بالتعرف عليه لأنه كان يعرف مسبقًا كل ما يعتقد أن اللّه يريد منه أن يعرفه وقال لى : «إن على الأميركيين أن يتعلموا من الإسرائيليين كيف يحاربون».

وسألته إذا كان يعتقد أن الإسرائيليين يدينون للتدريب الرائع فى كسب حروبهم ضد الفلسطينيين والعرب ؟ فأجاب بالنفى . قال : «إنها إرادة الله . فى كل حرب يخوضها جنود يهود ، فإن الله نفسه هو الذى يدير المعركة».

إن مارفن ومعظم المشتركين فى جولات فولويل يعتقدون أن على الإسرائيليين أن يواصلوا ما لديهم من إمكانيات استعمال قوتهم العسكرية لتوسيع حدود إسرائيل . «فاليهود هم الشعب الوحيد فى العالم الذى يتمتع بحق إلهى فى الأرض».

ويشارك مارفن كذلك هؤلاء ، الاعتقاد «بأننا نحن المسيحيين نؤخر وصول المسيح من خلال عدم مساعدة اليهود على مصادرة مزيد من الأرض من الفلسطينيين». ويقول: إن على اليهود أن يمتلكوا كل الأرض التى وعدهم الله بها قبل أن يتمكن المسيح من العودة . ولكن لن يطول الوقت قبل تحقيق الفداء الكامل». . . «وقبل الفداء الروحى على الله أن يتعامل مع أمته» إسرائيل . إن عبارة الفداء ، كما هى مستعملة اليوم فى إسرائيل، تنطبق على مصادرة أراضى العامة - جنتيل - فى إسرائيل الكبرى (أرض إسرائيل) سواء من خلال الشراء الشرعى ، أو الشراء القسرى ، أو المصادرة.

وأنا فى مدينة واشنطن ، علمت أن مسيحيين معظمهم يتبوءون مراكز حكومية رفيعة يصلون على مدار الساعة حتى يتحقق اليوم الذى لا يبقى فيه الفلسطينيون على أرضهم، وحتى تصبح الأرض كلها ملكًا لليهود. وعلمت أن المسيحيين يتوجهون إلى منزل فى واشنطن ثمنه نصف مليون دولار.

وأنهم يوجهون صلواتهم ليس من أجل جميع الشعوب فى كل مكان ، وليس من أجل السلام على الأرض ، وليس من أجل الفقراء ، والجائعين، والمشردين والمحتاجين ، بل ، من أجل الأرض ، الأرض التى يملكها الآن فلسطينيون ، والتى يريدون أن يأخذوها منهم وأن يضعوها بأيدى اليهود الإسرائيليين.

تملك المنزل السيد بوبى هروماس (زوجة الدكتور لسلى هروماس أحد كبار المسئولين فى مؤسسة دفاعية على الساحل الغربى) لقد اشترى المنزل لسبب وحيد وهو إيجاد مكان للمسيحيين للصلاة من أجل «فداء» الأرض. وتطلق السيدة هروماس - التى تملك منازل أخرى فى ضواحى لوس انجيلوس والقدس، - على منظمتها اسم الاتحاد الأميركى المسيحى. سمعت عنها للمرة الأولى من «تشارلز فيشبين» الذى قضى ١١ سنة يعمل مع المجموعة اليهودية كمدير تنفيذى للصندوق الوطنى اليهودى. وفى مقابلة مسجلة معه، قال فشبين:

في أكتوبر ١٩٨٢ دعاني جدعون شمرون ضابط الارتباط في السفارة الإسرائيلية بالمسيحيين الأميركيين. وطلب مني مقابلة بوبي هروماس مؤسسة ومديرة الاتحاد المسيحي الأميركي التي اشترت حديثًا منزلا ثمينًا في شمال غرب واشنطن. ذهبت إلى المنزل وقابلت السيدة هروماس التي قالت لي : إن الاتحاد هو مظلة لتغطية معظم الحركات المسيحية الإنجيلية الرئيسة، وإنها تعمل كصلة مباشرة لنقل الأموال إلى إسرائيل.

ويتمتع الاتحاد بالإعفاء القانوني من الضرائب ، ويتلقى التمويل من الأشخاص والمؤسسات ومن المنظمات الإنجيلية الأصولية الكبيرة. وكجزء من عملي كضابط ارتباط معها ، زرت منزل هروماس في رولينغ هيلز - كاليفورنيا . وهي تستعمل كذلك مكتبًا في «تورانس» وتعمل مع مجموعة تدعى - «ان أغاب» أي مع الحب «وتتلقى التمويل من مشاهير هوليود ومن أغنياء تكساس مثل كلنت مورشيسونس» المالك السابق «لدالاس كاوبوي» ، وتوم لاندري مدير فريق كاوبوي لكرة القدم ، والذي يقدم إعلانات عن الكتاب المقدس في التلفزيون.

أن الاتحاد يقدم هذه الأموال بدوره إلى إسرائيل ، وخاصة للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية . ترسل الأموال مباشرة إلى السفارة الإسرائيلية في واشنطن ، أو تحملها السيدة هروماس إلى إسرائيل . أو تحول عبر بنك هاريتاج انترناشيونال في بثيسدا - مريلاند - والذي أسسه دونالد ووب، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في أميركا ، وهو البنك الأول والوحيد في الولايات المتحدة الذي له فرع في إسرائيل . أخبرتني السيد هروماس أن الاتحاد خطط لجمع مئة مليون دولار لشراء أرض للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وأن الهدف الحالي هو منطقة في مدينة نابلس الفلسطينية . وقالت أيضًا : إنه تم تسليم الحكومة الإسرائيلية حتى الآن عشرات الملايين من الدولارات بالإضافة إلى أموال أرسلت إلى مستوطنات فردية في نابلس. لقد أكدت أن ذلك سوف يساعد على تحقيق النبوءة التوراتية.

كانت السيدة هروماس صريحة جدًا فيما يتعلق بعلاقاتها مع المبشرين الأصوليين الإنجيليين الرئيسيين بمن فيهم جيري فولويل وبات روبرتسون وجيمس سواغرت وغيرهم. كما كانت صريحة بشأن علاقاتها بأصدقاء ريغان القدماد أمثال (ولتز انبرغ) و (ادوين ميز) وزير الداخلية السابق وجيمس واب (وهيرب التفود) وهو صديق حميم لريغان ومستشاره منذ عدة عقود.

(بعد وقت قصير من الاجتماع الأول مع السيدة هروماس قالت لي : إن

الرئيس (ريغان) (وهيرب التفود) يريدان غرس حـديقة من الأشجار تخليداً لذكرى (سكوت) ابن ادوين ميـز، الذى قتل فى حـادث سيارة . أراد (التـفود) أن تزرع الأشـجار فى نابلس؛ ووافق مـيـز . قلت للسيـدة هرومـاس إنها بسـبب إعفـاء الصندوق الوطنى اليـهودى من الضـرائب فـإننا لا نستطيع أن نرسل الأمـوال إلى الضفة الغربية. فقالت : إنها ستمضى قـدمًا وتنظم الأمر عبر السفارة المسيحية فى القدس لغرس الأشـجار فى نابلس ، وإنها سوف تقدم كذلك خـمسة آلاف دولار إلى الصندوق الوطنى الـيـهـودى لغـرس حديقـة من الأشـجـار باسم سكوت فى القـدس» . تقديراً لمسـاهمـاتها العـديدة فى دعم إسـرائيل ، قرر الـصهـيونيـون الأميـركيون والإسرائيليـون تكريم السيدة هرومـاس. «لقد فوضونى بإعـداد حفل العشاء لها. كانت واحدة من قلة إن لم تكـن الوحيدة بين العامة - جنتيل - التى تكرم هكذا . وخلال العشاء قدم (هيرب التفود) للسـيدة (هروماس) كتابًا مقدسًا موقعًا عليه من الرئيس ريغان».

سألت «فشبين» إذا كان خلال زيارته إلى مقر الاتحاد الأميركى المسيحى قد رأى الكنيـسة حـيث يصلى المسيحـيون من أجل أن يصـادر الإسـرائيليون مـزيداً من الأراضى العربية!

أجابنى بالإيجاب . وقـال لقد أطلعتنى عليها (بـوبى هروماس) . إنها تقع فى الطابق الأرضى ، أما المنزل المقر فيقع فى نطقة تقاطع الشارع ٣٩ مع طريق رينو. فى مواجهته مباشرة السفارة الإسرائيلية».

وهل اختـارت عن عمد مـوقعًا مواجـها للسفـارة الإسرائيلية ؟ إذا كـان الأمر كذلك فلأى سبب؟ أجاب: نعم لقد اختارت متعمدة هذا الموقع حتى تكون أقرب ما يمكن إلـى السفارة ، ومن ثم إلى الأرض الـتى توجه صلواتهـا نحوها، أرض إسرائيل . لقد أضافت الكنيسة بعد أن اشترت المنزل، وصممتها بحيث يمكن أثناء الصلاة لإسـرائيل أن تنظر عبر نافذة زجـاجية واسـعة إلى السفارة الإسـرائيلية ، يوجد للكنيسـة مدخل خاص ، وتدعو السيدة (هروماس) أعـضاء فى الكونغرس والبرلمان، والأركان العامة وحتى الرئيس نفسه للاشتراك فى جلسات من الصلوات ٢٤ ساعة فى اليوم من أجل إسرائيل ، وقال (فيشين) : إن جهاز المخابرات طلب استعمال زجاج خاص على الشبابيك لحماية الزائرين داخل الكنيسة.

دعيت مـرة إلى أداء الصلاة فى هذه الكنيسة ، واسـتمعت إلى شريط مـسجل للسيدة هروماس مدته ٤٥ دقيقـة تشرح فيه ضرورة الحصول الآن على الأرض من الفلسطينيين وتسليمـها لليهود وإلا . . . وبانتظار فداء الأرض - فـإننا نؤخر عودة المسيح.

فى غرفة مجاورة للكنيسة وجدت عـدة طبعات من الكتاب المقدس وإلى جانبها سجل ملاحظات يتـضمن أسماء المسـئولين فى حكومتنا (الأميركـية) بدءاً بالرئيس ريغان، وكذلك لائحـة بأسماء المسئولين فـى إسرائيل بمن فيهم أسمـاء كل أعضاء البرلمان الإسرائيلى.

نظرت عبر النافـذة - اللوحة - الكبيرة عبـر شارع رينو المزدحم. لم أسمع أى صوت، فالكنيسة مـجهزة بعوازل صوتية . كنت أشاهد مبنى الـسفارة الإسرائيلية المقابل وعلى مـسافة منهـا السفارة الأردنـية . ومن المثيـر للاهتمام أن للســفارتين هندسة متشابهة. كل متهما تتألف من أربعة طوابق بلون البيج الحجرى.

فى طريقى إلى المنزل كنت أفكر فى مهمـة بوبى هروماس : الحصول على المال حتـى تشتـرى إسرائيل أراضى الفلسطيـنيين ، أو تزويد المستـوطنين اليهـود بالمال لمصـادرة الأرض بقـوة السـلاح ، وذلك فى مـحاولة لـفهم الـنظام الإيمانى عند «التدبيريين» شـعرت بالحزن . فبدلا من «استـرجاع» أرض تقع فى النصف الثانى من العالم تسـاءلت باستغراب لماذا لا نسـاعد المسيـحيين المضطهدين - كمـا فعل المسيح- الذين يتجمعون على بعد بضعة أميال. إننى لا أستطيع أن أفكر فى حادثة واحدة حث فـيها المسيح أتبـاعه على «استـرجاع» أرض مملكته ، كمـا قال ، هى بالذات.

مع ذلك فإن «التدبيريين» ينظرون إلى الأمر بصورة مختلفة . إنهم يقدمون المال إلى الإسـرائيليين لمسـاعدتهم على مـصـادرة الأرض من الفلسطينيين بأية وسـيلة ممكنة. منها عملية «أرض الاحتيال».

لقد كـشف علنًا فى السادس من أغـسطس ١٩٨٥ عن فضـيحة تـتعلق بأرض شاسعة ، وذلك عندما اعتقلت الشرطة ثلاثة إسرائيليين اتهموا بتزوير وثائق تتعلق بشـراء غيـر شرعى لعـدة آلاف من الهكتـارات من الأراضى العربيـة فى الضفـة الغربية. والرجال الثـلاثة هم من الشخصيات المعروفة جـداً لهم علاقات عسكرية وسياسـية واسعة ، اتهـموا بأنهم قبضـوا أكثر من مليونى دولار أمـيركى لمصادرة الأرض بوسائل احتيالية من الفلسطينيين. يمكن أن يكون جزء من هذه الأموال جاء من مسيحيى الجناح اليمينى المقتنعـين بأن آمالهم المسيحية الأهم تكمن فى مصادرة اليهود كل الأرض الفلسطينية.

يقـول مسـئول فى وزارة العـدل الإسرائيـلية : إن حـوالى مائة مليـون دولار تداولتها الأيدى لمصـادرة آلاف الهكتارات من الأراضى العربية بالاحتـيال والخداع والتزوير وأحيانًا بالقوة.

اثنان من أعضاء البرلمان الإسرائيلى هما يوسى ساريد ودودى زوكر وجها رسالة إلى وزير الشرطة قالا فيها : هناك شكوك بالاحتيال على نطاق كبير. إن عملية الاحتيال فى الأراضى جرت بإشراف مؤسسات حكومية». وعندما هدد ثلاثة من الإسرائيليين المعتقلين بالكشف عن أسماء مسئولين كبار، أدى هذا إلى حدوث صدمة فى الجناح اليمينى فى تكتل الليكود، والذى كان وراء خطة شراء الأرض . استقال رئيس دائرة الأراضى ، أما الباقون فقد حاولوا إما الابتعاد عن الفضيحة أو التخفيف من وقعها على الرأى العام.

فى ١٩ أغسطس ١٩٨٥ دعا زعيم الليكود وزير الخارجية إسحق شامير الإسرائيليين أن لا يأخذوا هذه القضية مأخذًا جديًا . وقال : «يجب عدم المس بموضوع» الاسترجاع. أحيانًا لابد من اللجوء إلى الحيل والخطط وإلى وسائل غير عادية لشراء واسترجاع الأرض ، إنه لأمر لا يطاق أن يتحول التحقيق فى حوادث منفردة من حوادث شراء الأراضى ، إلى مراقبة عامة على جميع عمليات شراء الأراضى (فى فلسطين المحتلة) بهدف تعطيل المهمة الصهيونية».

إن المهمة السياسية ، والعسكرية للصهيونية هى مصادرة كل أراضى الفلسطينيين.

فى عام ١٩١٨ كان الفلسطينيون يشكلون ٩٠ بالمئة من السكان ، وكانوا يملكون ٩٢ بالمئة من الأرض. أما اليهود فكانوا يملكون ٨ بالمئة من الأرض فقط.

فى عام ١٩٤٧ ، كان الفلسطينيون يملكون ٩٣,٩٦ بالمئة من الأرض ، وكان اليهود يملكون فقط ٦,٠٤ بالمئة . فى ذلك العام صوتت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين . بحيث يحصل اليهود على النصف ويحصل الفلسطينيون على النصف الآخر . موشى شارتوك رئيس الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية فى ذلك الوقت قال فى بيان إلى اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة : «اليوم نحن نملك قليلا فوق ستة بالمئة من مساحة فلسطين».

فى حرب ١٩٦٧ صادرت إسرائيل مناطق واسعة من الأرض العربية، ورفضت منذ ذلك الوقت الانصياع إلى القانون الدولى الذين ينص على أن الأرض التى تصادر بالقوة العسكرية لا يمكن الاحتفاظ بها شرعًا . فى مطلع عام ١٩٨٦ كان الجنود الإسرائيليون ينتشرون فى أكثر من نصف المنطقة التى وعد قرار الأمم المتحدة بأن تكون للعرب . لم يبق سوى ٢٠ بالمئة من فلسطين الانتداب بيد أهلها الفلسطينيين.

المسيحيون المتعصبون أمثال مارفين وبوبى هروماس اقتنعوا - وأعتقد أنهم اقتنعوا بصدق - أن عليهم مساعدة إسرائيل لتجريد الفلسطينيين من القليل الذى تبقى لديهم . وكما قال أحدهم مارفن ، فإن لليهود «حقوقًا تاريخية» فى الأرض.

الكاتب والمؤرخ الإنكليزى المشهور و. وليز يقول فى هذا الشأن: «إذا كان أمرًا عاديًا «إعادة بناء» دولة يهودية لم تعد موجودة منذ ٢٠٠٠ سنة ، لماذا لا نعود إلى الوراء ألف سنة أخرى لإعادة بناء دولة كنعانية؟ خلافًا لليهود ، لقد واصل الكنعانيون البقاء هناك طوال حقب التاريخ . فيما يتعلق بالحقوق التاريخية ، وإذا ترك أمر شؤون العالم لتتوالد على أساس القواعد التى يضعها أو يعلنها أولئك الذين يقولون إن لهم مثل هذه الحقوق ، فإن المغاربة الذين كانوا فى إسبانيا لمدة ٧٠٠ عام يستطيعون أن يعلنوا أن لهم «حقوقًا تاريخية» فى الأرض ، وأن يطالبوا الإسبان بالخروج . والهنود الذين كانوا فى أميركا لآلاف السنين قبل «اكتشافها» بواسطة الأوروبيين البيض، يمكن أن يقولوا لغير الهنود الذين يعيشون فى أميركا اليوم : إن لنا «حقوقًا تاريخية» ولذلك عليكم النزوح . يجب أن تكون هناك نقطة انطلاق ، بحيث نعيش ليس كمستوطنين يهود فى فلسطين المحتلة بقوة مدافع أو زى الرشاشة إنما من خلال مجتمع ، ودولة ، وقانون دولى.

بالنسبة لإسرائيل، فإن قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧ يمثل نقطة الانطلاق . ويمكن أن تضاف إلى ذلك الاتفاقات التى عقدت بإشراف الأمم المتحدة بشأن حدود الهدنة لعام ١٩٤٩.

كل قادة العالم أيدوا صلاحية قرار الأمم المتحدة الذى نص على أن تؤمن فلسطين الأرض لكل من المهاجرين اليهود والمواطنين الفلسطينيين. بالإضافة إلى ذلك ، فإن العديد من قادة اليهود بمن فيهم برونو كرايسكى الرئيس السابق لحكومة النمسا ، وفيليب كلاوتشنيك ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ، ينكرون حق اليهود فى الاحتفاظ بأراض صودرت بالقوة بعد أن أصبحت إسرائيل دولة . إنهم يقولون إن ادعاء اليهود أن لهم «حقوقًا تاريخية» فى أرض تتجاوز الحدود التى حددتها الأمم المتحدة ، يعنى العودة إلى سياسة القرن التاسع عشر الاستعمارية التوسعية. ويؤكدون أن علينا أن نعيش فى جو القرن العشرين وهو جو العداء للاستعمار ، واحترام حقوق الإنسان.

إن عدة ملايين من المسيحيين الأميركيين يعتقدون أن القوانين الوضعية لا تطبق على مصادرة اليهود واسترجاعهم كل أرض فلسطين . وإذا تسبب ذلك فى نشوب حرب عالمية ثالثة - هَرْمَجَدُّون نووية ، فإنهم يعتقدون أنهم تصرفوا بمشيئة الله.

مكاسب إسرائيل من التحالف : تجذير الدعم المسيحيّ

أعدّ أحـد القادة الإنجـيليين الأصوليين كـريكر ورقة لقـادة اليهود الإسـرائيليين والأميركيين ، ذكر فيها أسماء ٢٥٠ مـنظمة إنجيلية موالية لإسرائيل ، من مختلف الأحجام والعـمق فى أميركا . ويقول كريكر : إن مـعظم هذه المنظمات نما خلال السنوات الخـمس الأخيـرة أى منذ عام ١٩٨٠ . وتتـخصص هذه المنظمـات فى تنظيم أحداث بارزة مثل «مـهرجانات التضامن مع إسرائيل » أو تجـمعات الوعى الإسرائيلى» التى تقـام فى الكنائس الإنجيلية . وبعـضها يتـولى تنظيم الجولات ، وإعداد المطبوعات ، وعقد المؤتمرات التنبـئية ، والدعم الفكرى، الخ . . وبعضها ينغمس فى الدعم السياسى المباشر ويقوم بمختلف عمليات الضغط سواء عن طريق تنظيم اسـتكتابات الرسـائل ، أو عن طريق وسـائل الإعلام التى تعـبر بقـوة عن تأييدها لإسرائيل.

الصهيـونيون العاملون بتحـالف مع المحافظين ، الإنجيليين ، أنشـوا المنظمات الآتية : [وهذا جزء قليل من ٢٥٠ مجموعة دعم].

● مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية لإسرائيل

وقد سمى فـرنكلين ليتل وهو مسيحى صـهيونى وأستاذ فى جامـعة تامبل فى بنسلفانيـا رئيسًا ، والدكـتور ليتل (من مذهب المـيثوديست) الذى قد يكون أكـثر المسيحيين تأييدًا لإسرائيل ، أخبرنى فى مـقابلة خاصة: أن تكون مسيحيًا يعنى أن تكون يهوديًا » كـما أخبـرنى أن واجب المسيحـى أن يضع دعم « أرض إسرائيل » فوق كل اعتبار . إنه يبنى حبـه لإسرائيل ليس على النظام الإيمانى المعتقدى ، إنما على ما يتصور أنه ضرورة مسيحية للتفكير عن معاناة اليهود فى « المحرقة النازية».

من أجل الحصول على الدعم للهجوم الإسرائيلى المسلح على لبنان، فإن مؤتمر القيادة الوطنية لإسرائيل ، نشر فى صحيـفة واشنطن بوست وفى صحيفة نيويورك تايمز إعـلانًا فى صفـحة كـاملة من كل منهـما عنوانـه : التضـامن المسيـحى مع

إسرائيل». وفى هذا الإعلان قال المسيحيون : إن تضامننا مع الشعب اليهودى ودولة إسرائيل هو جزء من الالتزام بالسلام والعدالة لجميع شعوب الشرق الأوسط. إننا نعتقد أنه من الحقوق ومن الواجبات الثابتة لكل حكومة أن تضمن السلامة والأمن لمواطنيها » . الإعلان لم يشر إلى أى اهتمام بأصحاب المعتقدات الإسلامية أو المسيحية الذين يعيشون فى الشرق الأوسط . المسيحيون الذين وقعوا على الإعلان قالوا : إنهم يؤيدون تأييداً كاملا الغزو الإسرائيلى للبنان ، ووصفوا أخيراً أولئك الذين عارضوا سياسات إسرائيل باللاسامية.

المدير التنفيذى لهذه الحملة كان إسحاق روتنبرغ وهو يهودى تحول إلى البروتستانية الهولندية الإصلاحية ، وترتبط هذه المنظمة بالسفارة المسيحية العالمية فى القدس؛ ومن بين أقوى مؤيديها القساوسة كريسويل، وجيم بيكر، وبات روبرتسون ، من جماعة «التدبيرية».

● المؤتمر الوطنى المسيحى :

(وهو إحدى ثمرات المنظمة التى ورد ذكرها أعلاه) أنشئ قبل تصويت مجلس النواب الأميركى على بيع طائرات الإنذار المبكر - اواكس إلى العربية السعودية .

البروفسور ليتل الذى قال : إن المؤتمر الوطنى المسيحى قام من أجل توحيد المسيحيين من تعدد التسميات والمنظمات التى يجمع بينها اهتمام مشترك بسلامة الوطن اليهودى، أعلن فيما بعد أن اقتراح بيع الطائرات إلى العربية السعودية يمثل « الوقت العصيب جداً بالنسبة لبقاء إسرائيل » . وقد أعلن المؤتمر بقوة معارضته بيع الطائرات.

فى الاجتماع الأول للمجلس الذى ضم مئة مشترك بمن فيهم أصوليون ، وممثلون عن المؤتمر الوطنى للأساقفة الكاثوليك، والمجلس الوطنى للكنائس ، وقد وصف ممثل الحزب الجمهورى من نيويورك ، جاك كامب إنشاء إسرائيل فى عام ١٩٤٨ بأنه «تحقيق لنبوءة توراتية» . وقال : إن دور الولايات المتحدة هو تأمين الفرص (فى إسرائيل) لتحقيق النبوءات التوراتية.

● الاتحاد الأميركى من أجل سلامة أميركا.

يبدو أن هذه المنظمة أنشئت من أجل هدف واحد ، وهو : إعداد الأسماء لرعاية إعلانات الصفحات الكاملة فى الصحف ضد تزويد السعودية بأسلحة دفاعية . وقع على الإعلانات ، العشرات من الصهيونيين بمن فيهم جيرى فولويل وراهبة كاثوليكية ترأس كلية «مانهاتان فيل».

● تاف الكاتدرائيات الإنجيلية.

(وتاف هو الحرف الأخير من أحرف الأبجدية العبرية) . فى عام ١٩٨٢، وخلال الغزو الإسرائيلى للبنان، استعمل الإسرائيليون - تاف - لتنظيم عدة مؤتمرات على الساحل الغربى لقادة أصوليين إنجيليين ويهود. وفى نوفمبر من ذلك العام رعت - تاف - «سبت التضامن» فى التجمع العبرانى بواشنطن . وكان الحاخام جوشع هابرمان رئيس حاخامي الكنيس هو مضيف التجمع الذى حضره عدد من الحاخامين ، كما حضره رئيس مجلس المنظمة الصهيونية فى أميركا وممثل عن اللوبى الإسرائيلى ، ولجنة العلاقات العامة الأميركية - الإسرائيلية - ايباك - التى ربما حشدت حوالى ١٥٠٠ أصولى وقيادى يهودى إلى العاصمة من أجل أن يؤيدوا رسميًا - وبتغطية من جريدة واشنطن بوست - غزو إسرائيل للبنان.

أبلغنى الدكتور جو فالورو رئيس المعهد الدينى فى دالاس أنه كان أحد الخطباء فى هذا المهرجان . وقال : لقد تحدثت أمام التجمع عن وعد الله إلى أمة إسرائيل، ولقد أحبوا ذلك».

● الائتلاف الأميركى من أجل القيم التقليدية

يتزعم مبشر سان دياغو الكاتب الشهير تيم ليهاى . وهو مؤيد لإسرائيل ومن جماعة «التدبيرية». وتعتبر هذه المنظمة من الجذور السياسية لذراع اليمين الدينى. استنادًا إلى المنشور الدعائى فإن هدفها «هو تجييش ٤٥ مليون أصولى من خلال تسجيل الناخبين والمساهمة فى الحملات الانتخابية ، كما أن هدفها هو توصيل الأصوليين إلى المراكز الحكومية من خلال «بنك المواهب» الذى لدينا . من قادة هذا التنظيم فولويل ، سواكارات ، جيم بيكر ، وبات روبرتسون.

● الصوت المسيحى

مركزها فى كاليفورنيا مع «مكتب ضغط » فى مدينة واشنطن . وتدعى هذه المنظمة أن عدد أعضائها يبلغ ١٩٠ ألف شخص، بمن فيهم ٣٧ قسيسا . وتبلغ ميزانيتها السنوية حوالي ١,٥ مليون دولار. وتعتبر منظمة «صندوق الصوت المسيحى للدعم الحكومى المعنوى» ذراعها السياسى. وقد نظمت حملة تحت عنوان «المسيحيون من أجل ريغان».

يسمى كريكر بين كبار مؤيدى إسرائيل من الإنجيليين الأصوليين:

- إد ، ماك أترى من «الطاولة الدينية المستديرة» والتى ترعى صلاة إفطار سنوية من أجل إسرائيل.

- بن ارمسترونغ ، المدير التنفيذى للاتحاد الوطنى للمذيعين الدينيين.
- اديان روجز ، راعى الكنيسة المعمدانية فى «بل فى » فى «ممفيس» والرئيس السابق للمؤتمر المعمدانى الجنوبى.
- و . أ. كريسويل رئيس قساوسة الكنيسة المعمدانية الأولى فى دالاس.

إن كريسويل هو مثل روجرز رئيس سابق للمؤتمر المعمدانى الجنوبى. إن الاثنين يعتبران من أبرز قياديى الجناح اليمينى للمؤتمر الملتزمين بتطهير الليبراليين والأرثوذكس الجدد وسواهم من غير الإنجيليين. ومن غير المؤمنين بالتدبيرية، من الهيئات والمنظمات المعمدانية الجنوبية. إن غريسول شأنه شأن فولويل التزم كليًا بإسرائيل قوية. لقد أقام علاقات وثيقة مع قادة الجناح اليمينى فى إسرائيل ، وخاصة مع رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن.

مزج السياسة بالدين

لمن القدس؟ هل هى مجرد قطعة من الأرض ؟ هل هى رهينة للذين يملكون الأسلحة وأكبر الجيوش؟ أم إنها وكما أعلنت الأمم المتحدة عندما انتزعت من فلسطين وطنًا لليهود، مدينة الأديان الثلاثة ، المسيحية والإسلامية واليهودية ، تقرر إطار الحكم فيها القوى الكبرى بموجب القانون الدولى؟

الإسرائيليون يطالبون بفرض سيادتهم وحدهم على المدينة التى يقدسها مليار مسيحى ، ومليار مسلم ، وحوالى ١٤ مليون يهودى . وللدفاع عن ادعائهم بأنهم يملكون بصورة مشروعة مدينة العقائد الثلاث، فإن الإسرائيليين - ومعظمهم لا يؤمن بالله - يقولون : إن الله أراد أن يأخذ العبرانيون - أو - اليهود ، القدس إلى الأبد. ولشن حملة علاقات عامة شعبية لمصلحة هذه الرسالة توجه الإسرائيليون نحو ما يك ايفنز ، هو يهودى أميركى لم يكن معروفًا من الرأى العام الأميركى، ولا حتى من معظم الأصوليين الإنجيليين فى الجناح المسيحى الذى تحول إليه.

فى «معبد بيثل» فى فورت ورث فى ميدوبروك في اوكلاند ، أخبرنا الراهب جون ويلكرسون ، أن القس مايك ايفنز هو صديق لجورج بوش وأنه يحتل مكانًا مرموقًا فى الحزب الجمهورى . وأنه يتحرك فى صفوف الناخبين ويحثهم على انتخاب أمثالنا ، أمثال ريغان وبوش ، إنه يؤمن بأميركا مؤيدة لإسرائيل ، لانه يؤمن بالقوة إنه يؤمن بأميركا تدعم حليفنا الأمين الذى يعتمد عليه فى الشرق الأوسط، إسرائيل الديمقراطية الوحيدة فى المنطقة».

قال الراهب ويلكرسون: إن مايك ايفنز يهودى تنصّر من أجل مساعدة شعبه. ولكن هذا لا يعنى أنه يذهب إلى إسرائيل ويحاول تنصير اليهود. لا شىء من ذلك على الإطلاق. يريد أن يظهر لإسرائيل ولليهود أننا نحبهم، وأننا نقف إلى جانبهم، ويريد أن يعرب لهم من خلال وجودنا ، ومن خلال هدايانا ، عن حبنا

الكبيـر. لم يعان أحد فى العـالم كما عـانى اليهود، والله يقـول لنا : إنه يبارك أولئك الذين يباركون اليهود».

بعد ذلك تحدث ايفنز وظل يردد لمدة ساعـة قوله : «إن الله يريد من الأميركيين نقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس، لأن القـدس هى عاصمة داوود. ويحاول الشيطان أن يمنع اليـهود من أن يكون لهم حق اختيار عـاصمتهم. إذا لم تعـترفوا بالقدس ملكـية يهودية ، فـإننا سندفع ثمن ذلك من حيـاة أبنائنا وآبائنا . إن الله سيبارك الذين يباركون إسرائيل وسيلعن لاعنيها».

وبعـد أن عرضت عـلينا لقطات مـصورة تدعـو لدعم إسـرائيل تمثل فـولويل وسواغـارت وبات روبرتسون والمغّنى بـات يوون ، والكاتب هال ليندسى والمعلق جاك اندرسـون ، طلب منا التبـرع، وكتـابة الشيكات. نظرت حـولى فرأيت كل واحد يكتب شيكًا . وقبل مغادرة المعبد طلب منا الراهب ويلكرسون التوقيع على نداء بنقل السفارة الأميركية إلى القدس وقد لبى الطلب كل الحاضرين.

فى يوم آخر، توجهت إلى مدينة بدفورد فى تكساس التى قال ايفنز إنها مدينته ويقيم فيهـا. سألت رئيس البلدية فلم يعرفه. ولم يعرفه أحد فى غـرفة التجارة . ولم يكن اسمه مدرجًـا على لائحة القساوسة أو البطاركة. حـتى العامة من الناس لم يسمعوا به. لم يكن له بيت فى المدينة . كل ما له فيها عنوان صندوق بريد.

حصلت عـلى فيلم تلفـزيونى مدته ساعـة ، أعده ايفنز تحت عنـوان «إسرائيل مفتاح أمـيركا إلى النجاة» . فى هذا الفيلم يستعـمل ايفنز كلمة «جوهرى» ليصف الدور الذى لعبته إسرائيل فى المصيـر السياسى للولايات المتحدة. ورغم أن للفيلم بعدًا سياسيًا واضحًا ، فإن ايفنز والصـهيونيون معه ، يصنفونه مع الأفلام الدينية، حتى يضـمنوا بثه مجانًا من مـحطات التلفزيون المحلية فى أكـثر من ٢٥ ولاية ، بالإضافة إلى شبكة البث المسيحية للمشتركين (بواسطة الكابلات).

فى هذا الفيـلم يقدم ايفنز عددًا من التـأكيـدات السياسـية المثيـرة حول أهمـية إسرائيل بالنسـبة للولايات المتحـدة. فيقول : إذا تخلـت إسرائيل عن المناطق التى تحتلها بصـورة غير شرعية فـإن الله سيدمر كلا من إسـرائيل والولايات المتحدة . ويختتم ايفنز الفيلم بتوجيه نداء إلى المسيحيين لدعم أفضل صديق لأميركا فى ذلك الجزء من العالم من خلال التوقيع على «إعلان مباركة إسرائيل».

بين أكتوبر ١٩٨٤ وإبريل ١٩٨٥ عرضت فيلم ايفنز ٢٥٠ محطة تلفزيونية. ثم

أعيد النظر فيه باعتماد ممثلين محترفين وأعيد بثه خلال صيف ١٩٨٥ لتلطيف موقف دافع الضرائب من طلبات المساعدة الهائلة التى تطلبها إسرائيل من الولايات المتحدة عبر الكونغرس ، وكذلك من أجل توفير الدعم اللازم للهدف الصهيونى وهو إقناع الولايات المتحدة نقل سفارتها إلى القدس.

عندما لم أستطع أن أعثر على ايفنز فى بدفورد، كتبت إليه على عنوانه فى المدينة . وقد تولى جهاز الكومبيوتر لديه الرد، فوردتنى منه رسائل عديدة مع صور له مع شارون عرّاب غزو لبنان فى عام ١٩٨٢ وتدى كوليك رئيس بلدية القدس وإسحق شامير وريغان وغيرهم . يتحدث ايفنز فى إحدى رسائله عن زيارة قام بها للبيت الأبيض فى عام ١٩٨٣ فيقول : لم أكن أعرف أن رئيس الولايات المتحدة سوف يدعونى إلى البيت الأبيض ، أو أن الله سيقف إلى جانبى متحديًا ٥٨ جنرالا وأدميرالا بحقيقة الله وسط لقاء فى البيت الأبيض.... ولم أكن أعرف أن كلمة كتبتها تدعو أميركا إلى الوقوف إلى جانب إسرائيل ، سوف تضم إلى سجلات الكونغرس».

فى العام التالى دعى افينز مرة أخرى إلى البيت الأبيض . «فى عام ١٩٨٤ دعا الرئيس (ريغان) إلى البيت الأبيض حوالى ٩٠ شخصية من أكثر القادة الإنجيليين نفوذًا للقاء بعض كبار الحاخامين والقيادات اليهودية فى العالم.

«وعندما جلسنا فى الجناح الشرقى من البيت الأبيض إلى جانب صديقى الحميم جيمى سواغارت ، أخبرنا روبرت ماك فرلين مستشار الأمن القومى أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة لا يمكن أن يحددها الكتاب المقدس ، وأن القدس ليست عاصمة إسرائيل . ثم قال : إن وضعية القدس يجب أن يتم تحديدها فى مفاوضات مع العالم العربى.

«توجهت إلي جيمى سواغارت وقلت : جيمى ، هل سنفعل شيئًا إزاء هذا التصريح ؟ أجاب : ما بك ، لقد كرسّك الله بالنيابة عن إسرائيل وعليك أن تقف وتتكلم».

«وقفت وقلت للسيد ماك فرلين إن الكتاب المقدس ليس موضع مفاوضة ، وإن الله لن يبارك أميركا إذا أدرنا ظهرنا لعاله المقدس. ثم قلت بعد ذلك إن المسيحيين الإنجيليين لن يديروا ظهورهم تحت أى ظرف من الظروف إلى الشعب اليهودى أو إلى كلمة الله.

«صفّق الجميع بإعجاب بمن فيهم حوالى ٤٠ من أكثر وأقوى الحاخامين فى أميركا».

ويضيف ايفنز : «ثم فى يناير ١٩٨٥ دعا الرئيس ريغان جيمى بيكر، وجيمى سواغارت وجيرى فولويل، ودعانى أيضًا مع مجموعة صغيرة أخرى للقائهم بصورة شخصية . لن أنسى ما قاله لنا. أعرب الرئيس عن إيمانه بأن أميركا على عتبة يقظة روحية ، وقال : إننى مؤمن بذلك من كل قلبى . إن الله يرعى أناسًا مثلى ومثلكم فى صلاة وحب نبتهل إليه فيها إعداد العالم لعودة ملك الملوك وسيد الأسياد».

أما فى إسرائيل ، فيقول ايفنز: إنه قابل رئيس الحكومة العمالى شيمون بيريز كما قابل قادة الليكود. «لقد قابلت فى الواقع جميع القادة الكبار فى دولة إسرائيل وعقدت أحد عشر لقاء مع رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن وغيره من كبار المسئولين فى الحكومة. . . كنت أقابل رئيس الحكومة والمسئولين بصورة منتظمة».

ويقول ايفنز : إن له علاقات وطيدة مع الدكتور روبن هاخت من مكتب رئيس الوزراء ، والدكتور ناتنياهو رئيس معهد جوناثان حول الإرهاب الدولى ، وايسر هاريل الرئيس السابق لجهاز الأمن والاستخبارات الإسرائيلى.

كما يقول : إن الإسرائيليين أخبروه عن خططهم بغزو لبنان قبل يومين من حدوثه. ويكتب فى رسالته : «لقد صليت مع (رئيس الوزراء) بيغن لمدة ٢٤ ساعة مباشرة بعد غزو لبنان فى عام ١٩٨٢».

ويذكرنا ايفنز فى جميع رسائله أن الإسرائيليين ينظرون إليه على أنه صديق خاص. وخلال وجوده فى القدس ليصور فيلمه «القدس . د. س. يقول ايفنز : إن حاخامًا ارثوذكسيًا - لم يسمه - وضع يديه على رأسه (على رأس ايفنز) «وصلى من أجلى» . «إن مثل هذا الحاخام لا يضع يديه على رأس مسيحى ويصلى، ولا يسمح للمسيحى أن يضع يديه على رأسه ويصلى . أما بالنسبة إلى فقد أدى صلاة لا يؤديها إلا «ليفيت» أى الكاهن فى قدس الأقداس».

لأن العديد من قادة إسرائيل يعتبرونه مقربًا منهم، فقد دعوه لعرض الفيلم (القدس د. س.) على شاشة التلفزيون الحكومية . ويقول ايفنز: إنه قبل عرض الفيلم ، لم يسمح الإسرائيليون أبدًا لقس مسيحى - حتى لأصدقاء مثل بيلى غراهام وجيرى فولويل - أن يظهروا على شاشة التلفزيون الإسرائيلى . هناك قانون إسرائيلى يحظر على المسيحى أن يتحدث مع اليهودى ، كما يحظر أى تجمع

لليهــود حول المسيح. ولكن الإســرائيليين يعرفون منذ البــداية أن رسالة ايفنز هى رسالة سياسية».

يشرح ايفنز دعوته للظهور على التلفزيون الإسرائيلى فيقول:

تاثر المدير العام لشبكة التلفزيون الإسرائيلية بعد مشاهدته فيلم - القدس ، د. س . لدرجــة دعانــى إلى السفــر إلى إســرائيل كـضيــف والظهور علــى شاشــة التلفزيون، ومن ثم عرض الفيلم على الدولة الإسرائيلية. وستكون المرة الأولى فى تاريخ دولة إسرائيل التى يحل فيها مسيحى ضيفًا على شبكة التلفزيون الحكومى.

دعا ايفــنز بعد ذلك يهــوداً أميركــيين لمشاهدة العــرض التلفزيونــى . وكم كان مســروراً عندمــا علم أن أكثــر من ١٥٠ ألف يهودى شــاهدوا الفيلم فــى أميــركا وحدها، وكذلك عندما تلقى أكثر من ١٤٥٠٠ اتصال من أناس يهود. كتب ايفنز إلى جميع الكنائس فى أميركا عارضًا إرسال فيديو كاست عن الفيلم مجانًا . بعد أن امتدح الكثيرون من الحاخامين هذا الفيلم.

كتب ج. روثمــان رئيس المنظمة الصهــيونية فى أمــيركا يقول : «أول اســتنتاج توصلت إليــه بعــد مــشــاهدة تســجــيل عن الفــيلم هو : «اشــكروا اللّه وأرسلوا الذخيرة». «إن عــملكم هو ابتهال وشكر لله» وإن فيلــم القدس د. س هو أفضل ذخيرة . إن عاصــمة داوود هى عاصمة إسرائيل ، وإن شريط فــيلم الفيديو يؤكد على القضية بدقة وبوضوح. آمل أن يرى الفيلم وأن يدعمه الملايين».

يريد ايفنز أن يوقع مليون مسيحى عــلى نداء كالذى وزع علينا فى كنيسة فورت ورث. ويقول ايفنز فى إحــدى رسائله : «أريد مســاعدتكم لإدراج أسمــاء مليون شــخص أو أكثــر ، للتــوقيع على نداء عــالمى للاعــتراف بالقــدس ، وعن حق، عاصــمة لإسرائيل . إنه نداء روحى ســوف أسلمه شخــصيًا إلى رئيسنا (الرئيس الأميركى) وإلى رئيس وزراء إسرائيل ، وإلى رؤساء دول أخرى . لقد دعوت اللّه أن يحرك قلوب مليون إنسان على الأقل. للتوقيع على هذا النداء التاريخى . وأنا أريد منك أن توقع على هذا النداء الحار والتاريخى وأن تعيده إلى بسرعة».

فى عام ١٩٨٤ جمع ايفنز مجلدين من التواقيع ، وحمل الأسماء إلى إسرائيل وقدمها إلى رئيس الوزراء إســحق شامير، وهو مقاتل صلب وقــائد سابق لفيصل إرهابى. ويكتب ايفنز عن هذا اللقاء قائلا: .

ملأت الدموع عينى رئيس الورزاء وقال لى : هؤلاء المسيــحيون يحبوننا فعلا ، أليس كــذلك »؟ . قلت له : «نعم ، إنهم يحــبــوننا . إنهم يحــبــونك فعــلا .

ويهتمون ». ثم قال رئيس الوزراء : « هؤلاء أناس أصيلون أليس كذلك؟» وينهى ايفنز رسالته بالقول : «صدمت إسرائيل الحبيبة عندما علمت أن أناسًا مثلك ومثلى يشاركون شعبها العطف والحب والشوق».

وفى رسالة أخرى يكتب ايفنز : « إن حكومتنا مذنبة لأنها لم تنقض قرارًا معاديًا لإسرائيل فى مجلس الأمن الدولى يدعو جميع الأعضاء إلى سحب سفاراتهم من المدينة (القدس) على أساس أن القدس لم تكن جزءًا من أرض عربية احتلتها إسرائيل». وبالنتيجة ، فإن ١٣ دولة ممن أقامت سفارات فى القدس كعاصمة لإسرائيل، انسحبت.

«ان الكتاب المقدس يقول : إن اللّه أعلن القدس عاصمة فى أيام الملك داوود ، عندما طلب من سليمان أن يبنى المعبد هناك. وسنصلى من أجل سلام القدس وازدهارها» (٦/ ١٢٢ الآية).

« مع ذلك ترفض أميركا الاعتراف بالقدس. إن دولتنا تعتبر القدس منطقة محتلة، وليس عاصة لإسرائيل. لقد رفضت الولايات المتحدة طوال ثلاثة عقود الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على أى جزء من المدينة . من أجل ذلك تقع السفارة الأميركية فى تل أبيب»..

«إن أميركا تدعو إلى تقسيم القدس. وفوق ذلك ، ليس للسفير الأميركى فى تل أبيب أى دور أو موقع رسمى فى القدس. انه لا يستطيع حتى ختم تأشيرة أميركية فى القدس . لماذا لا تعترف أميركا بالقدس؟ لأننا نقول : إن الأردن أدار جزءًا من القدس فى فترة معينة . هذا صحيح ولكنهم أداروا هذا الجزء بصورة غير قانونية . وختم ايفنز قائلا:

«لقد وعدت إسرائيل بهذه العاصمة فى الكتاب المقدس . وأعيدت هذه المناطق إليها تاريخيًا بواسطة الإنكليز».

الواقع أن الأردن أدار القدس قبل حرب ١٩٦٧ ، لمدة قصيرة ، تمامًا كما فعل البريطانيون قبل الأردنيين ، وكما فعل الأتراك قبل الإنكليز، وهكذا طوال الألفى سنة الماضية. إن الحقيقة التى يتجاهلها ايفنز هى أن المدينة القديمة من القدس يعيش فيها فلسطينيون مسيحيون ومسلمون بشكل كامل تقريبًا ، وأن الفلسطينيين وأسلافهم عاشوا وكانوا الأكثرية الساحقة فيها مدة لا تقل عن ٢٠٠٠ سنة.

فى عام ١٩٨٠ ضم رئيس الوزراء بيغن بصورة غير شرعية القدس العربية، وهو

عمل استهجنه كل قادة العالم. لم تعترف حكومة أية دولة رئيسة بحق إسرائيل المطلق فى مدينة الديانات الثلاثة. ولا تقيم حكومة أية دولة رئيسة سفارة لها فى القدس فإذا بادرت الولايات المتحدة بهذه الخطوة فستكون أول حكومة ، وستكون الدولة الكبرى الوحيدة فى العالم التى تعطى الشرعية لادعاء الحق المطلق لإسرائيل فى مدينة الديانات الثلاثة. (افتتحت دولة أو دولتان من دول أميركا الوسطى التى تدين لإسرائيل بالحصول على الأسلحة سفارة لها فى القدس منذ أن نقلت سائر السفارات من المدينة فى عام ١٩٨٠ احتجاجًا على الضم غير الشرعى للمدينة الذى قام به بيغن).

فى عام ١٩٤٧ ، عندما صدر قرار الأمم المتحدة الذى يوصى بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ، ودولة فلسطينية، لم تكن القدس فى نصيب أى منهما . وفى الواقع فإن قرار التقسيم الذى صدر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ استثنى القدس من التسوية [استعملت الأمم المتحدة عبارة تقسيم الجسد] . ونص القرار أيضًا أن «تقسيم الجسد» هذا سيكون تحت السيادة الدولية عندما يتم إنجازه.

باختصار ، لم يكن مفروضًا أن تكون القدس مدينة يهودية ، ولا مدينة فلسطينية إسلامية مسيحية . ولمدة ٣٩ عامًا ، منذ عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٨٦ ، أصر قادة العالم على تجنب أى تغيير فى هذه الوضعية حتى تحل كل أطراف الصراع قضية مدينة الأديان الثلاثة.

الخـاتمة

هناك نص توراتى يقـول : «لقـد وضـعت أمـامكم الحـياة والموت. والبـركـة واللعنة: لذلك اختاروا الحياة، التى تعيشونها أنتم وأحفادكم». فكرت فى خيارنا للحياة ، أو فى موتنا، طوال السنوات العديدة الماضية مـستمعة إلى جيرى فولويل وغيره من الإنجيليين الذين يأتون إلينا عبر الهاتف ، والكتاب المقدس باليد، ناقلين عن كتاب دانيـال من العهد القديم، وعن كـتاب سفر الرؤيا من العـهد الجديد ، قائلين : إن الله قضى علينا أن نخوض حربًا نووية مع روسيا.

اقتناعًا منهم بأن هَرْمَجَدُّون نووية لا مفـر منها بموجب خطة إلهية ، فإن العديد من الإنجيـليين المؤمنين بالتدبيـرية ألزموا أنفـسهم سلوك طريق مع إسـرائيل يؤدى بصورة مباشرة ، باعترافهم أنفسهـم ، إلى محرقة أشد وحشية وأوسع انتشارًا من أى مجزرة يمكن أن يتصورها عقل أدولف هتلر الإجرامى.

لقد وجدت فكرهم الوعظى تحريضيًا وتصادميًا فى حثهم على الاستعداد لنهاية العالم. إنهم يدفـعون بى إلى أن أدرك أننا قطعنا مـسافة طويلة بعـيدًا عن بداياتنا كبشر . إن معظمنا يتـمسك باعتبار حسن الجوار علاقة رائـعة فى حياتنا المدنية : معاملة الآخرين كما نحب أن يعاملونا به، وفـوق ذلك عاش الكثيرون بهدف أكثر نبلا : وهو مغادرة هذه الدنيا فى حالة أفضل من الحالة التى وجدوها عليها.

إن مواعظ المـؤمنين «بالتدبيـرية» جعلتنى أدرك من جـديد أننى وبلايين البـشر قبلى، كنا سعداء .لقد جئنا إلى هذا العالم وبنينا آمالا كبيرة على غد أفضل . أما الآن ولأول مـرة فى التاريخ فـإن لدينا الرغـبـة فى تدميـر كل الوجـود الثقـافى والإنسانى، وأن نقـضى ليس فقط على أولئك الذين يعيشـون اليوم، بل على كل المستقبل ، وكل أيام الغد.

أحيانًا أتمشى فى حديق عـامة وأتفرج على عظمة تغيير الشجـر حلته الخارجية من الشتاء إلى الربيع ، أو أستمع إلى موزارت ، أو إلى شكسبير أو أشاهد معجزة يد الطفل الصغير المصممـة بدقة وكمال ، ثم أفكر : كيف يمكن لنا وبمطلق إرادتنا أن نختار بجدية تدمير كل معجزة الحياة هذه؟.

فى كتاب : «قـدر الأرض» يقول جوناثان شيل : إنه من المهم التميـيز بوضوح بين معاناة وموت البلايين من الأشخاص، من جهة أولى ، والقضية التى لا يمكن قبولها باستئصال كل المستقبل البشرى من جهة ثانية.

«إن إمكانية الكائن الحى على منع الأجيال المستقـبلية من دخول الحياة ، تحملنا على طرح أسئلة جـوهرية جديدة حول وجودنا ، وأهم هذه الأسـئلة ، ماذا يعنى لنا هؤلاء الذين لم يولدوا بعد ؟ لم يسبق لأحد أن طرح هذا السؤال قبل أيامنا ، لأنه لم يسـبق لأى جيل قبلـنا أن أمسك بيديـه حياة أو مـوت كل الكائنات . . . كيف يمكن لنا أن نـستوعب حيـاة أو موت الأعداد اللامـتناهية من البـشر التى لم توجد بعد ؟ ويتساءل شيل:

«كيف يمكن لنـا نحن الذين نشكل جزءاً من الحيـاة الإنسانيـة ،أن نتراجع إلى الوراء منفصلين عن الحـياة من أجل أن نؤكد معنى زوالهـا ؟. إن الموت هو نهاية الحياة . والإبادة هى نهاية الخلق الموت ينتـقل إلى اللاشىء بعد حياة كل مولود . أما الإبادة بضـربة واحدة فـإنها تغلق أبواب اللاشىء قـبل الحيـاة ، فى وجه كل الناس الذين لم يولدوا بعد.

«إن خطر خسارة الخلـق يُغير على كل الجوامع المشتـركة بين الناس، ذلك لأن إمكانية كـائناتنا على إنجاب أجـيال جديدة هى التى تضـمن استمـرار العالم الذى توجد فيه كل مصالحنا المشتركة كما تضمن أن يكون لهذه المصالح معانيها».

بالإضافة إلى قـراءة شيل تتبعت الاكتـشافات العلمية لعلمـاء الفيزياء، والفلك وغـيرهـم الذين يحـذرون من أنه إذا اسـتعـملت أى من القـوى الكبرى السـلاح النووى، فـإن غبـار الانفجـارات المترتب على الحـرائق سوف يغطى كـامل الكرة الأرضية. لن ينجو من ظلام طبقات الغبار الكثيف الذى سيمنع أشعة الشمس من الوصول إلى الأرض أى إنسان لا فى نيوزيلند ولا فى تيـراديل فواكو. مما سيؤدى إلى شتاء نووى قد يقضى على حياة كل النبات والحيوان.

بالاستماع إلى مواعظ فولويل، وبقراءة شيل وكارل ساغان ، أرى أنهم ينظرون إلى إمكانيـة إبادة كل المستـقبل من زاويتين مـختلفـتين، هناك فـوارق كبيـرة بين المحافظين أيام طفـولتى والمحافظين اليـوم. فى أيام طفولتى كان المبـشرون يرذلون السـينمـا والرقص والمشروبات الـروحيـة ونظرية النشـوء. كانـت إمكاناتهم المادية محدودة جداً. ولم تكن عندهم مـحطات تلفزيونية ولا دولة إسرائيل . أى أنه لم يكن عندهم مـوقع رسمى لِهَـرْمَجَـدُّون. وأكثـر أهمية، لـم تكن القنبلة النووية

موجودة . اليوم ، فإن فولويل وبات روبرتسون وغيرهما من المؤمنين «بالتدبيرية»، يتمتعون بمصادر مالية غير محدودة. عندهم موقع المعركة فى إسرائيل ، وعدة أسباب لحرب نووية يريدها الله. وهم يعظون ويعدون ويبيعون الأميركيين فكرة إنتاج المزيد من القنابل واستعمالها.

إن المبشرين فى أيام طفولتى بتعزيز إيمانهم بولادة المسيح من أم عذراء ، وبأن الله خلق الكون فى ستة أيام، كانوا يتعاملون مع أحداث الماضى. وهكذا لم يشكلوا أى خطر على وجودنا . غير أن فولويل وغيره من المؤمنين «بالتدبيرية » هم قبل الماركسيين الغامضين ، اعتنقوا عبادة السيناريو الذى وضعوه حول مستقبلنا. وبما أنهم يقولون : إن مستقبلنا يقع فى الحرب والإبادة فهم يطرحون خطراً مختلفًا تمامًا أشد تأثيراً من خطر الإنجيليين والمحافظين الأوائل.

حاولت أن أبين أن الحلف الإسرائيلى - الأصولى الأميركى ليس مجرد حشد للمبادئ النظرية والمعتقدات الروحية . إنما يقوم على عوامل سياسية وعسكرية أكثر منها نظرية . ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ، لأن المقومات الدينية التى تميز الدولة اليهودية ، تقوم على أصول يهودية تعتبر الاهتداء بالمسيحية - وهو هدف أساسى للأصولية - تهديدًا أساسيًا لوجود اليهود كمجموعة.

على الرغم من أن الأصوليين المسيحيين ، دينيًا هم على نقيض القيادات السياسية فى إسرائيل ، فهم حاليًا على علاقات حسنة معهم ويجب أن لا نصدق أنهم أفضل الأصدقاء رغم أن كل جانب يحاول أن يؤكد ذلك لنا.

إننا نعرف أنه نتيجة لوجود أهداف بعيدة المدى بين أطراف التحالف ، فإن تحالفهم وتنظيمات أعمالهم يجب أن تبقى مؤقتة بالضرورة . ورغم ذلك يمكن لها أن تستمر مدة كافية لتتسبب فى كارثة لا يمكن التهكن بأبعادها فإذا لم نعترف بالخطر الذى يفرضونه فسيكون أمام المتطرفين الوقت الكافى فى حلفهم غير المقدس ، لتفجير حرب لا تنتهى قبل أن تدمر الكرة الأرضية من خلال التحقيق الذاتى للنبوءة.

إن المجلس العالمى للكنائس الذى يمثل حوالى عشرة ملايين مسيحى فى الشرق الأوسط يقول فى تقارير له : إن الولايات المتحدة وروسيا مع ألمانيا الغربية وإنكلترا وفرنسا جعلوا من الشرق الأوسط نقطة ارتكاز فى سباق التسلح.

وتقول مجلة المجلس بيرسبكتيف الصادرة فى - إبريل ، مايو ١٩٨٤ - : «إن

٥٠ بالمئة من كل الأسلحة المنتجة فى العالم تذهب إلى الشرق الأوسط الذى يتمتع الآن بأعلى نسبة من الإنفاق على التسلح فى العالم كله».

لقد أغرقنا إسرائيل بالمال والأسلحة - جعلنا من دولة الثلاثة ملايين يهودى تقريبًا ماردًا عسكريًا أكبر من أى من ألمانيا ، إنكلترا ، أو فرنسا، وأقوى من ٢١ دولة عربية مجتمعة بسكانها البالغ عددهم ١٥٠ مليونًا. وبالإضافة إلى ترسانتها الضخمة من أسلحة الحرب الأميركية ، كانت إسرائيل فى عام ١٩٨٦ وطوال العقدين السابقين ربما، الدولة الوحيدة فى الشرق الأوسط التى تملك أسلحة نووية.

ولقد أخبرنى الكاتب ستيفن غرين مؤلف كتاب «الانحياز » ، أنه «منذ عام ١٩٦٥ عندما بدأت إسرائيل تحصل على المواد والتقنية اللازمتين من الولايات المتحدة ، أنتجت إسرائيل أسلحة نووية على شكل رؤوس صاروخية أو قنابل تسقط من الطائرات. وقال لى أيضًا :

«فى عام ١٩٥٦ حصل موالون لإسرائيل على ٧٥٢ باوند من اليورانيوم ، (وهى كمية كافية لصنع ٣٨ قنبلة ذرية من حجم القنبلة التى ألقيت على هيروشيما) من مؤسسة للمواد والتجهيزات النووية فى أبولو - بنسلفانيا. كان زالمان شابيرو وهو عالم يهودى ترأس المصنع شريكًا مع الحكومة الإسرائيلية فى شركة ايزوراد (وهى شركة مقرها فى إسرائيل وتنتج أجهزة نووية).

يؤكد تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأميركية كشف فى عام ١٩٨٦، على مقدرة إسرائيل النووية، ويقول: إن تل أبيب قادرة على إنتاج أجهزة نووية من دون ضجة. ويوضح تقرير وكالة المخابرات أن إسرائيل تملك ما بين ١٢و ٢٠ قنبلة نووية.

من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٢ صدَّر إلى إسرائيل رجل أعمال فى كاليفورنيا بصورة غير مشروعة ١٥ شحنة من أجهزة التوقيت العسكرية تدعى «كريترون» يمكن استعمالها كأدوات تفجير فى الأسلحة النووية. تقارير جديدة فى ١٦ مايو ١٩٨٥ تقول : إن محكمة فدرالية فى لوس أنجيلوس أدانت رجل الأعمال - أى رجل الأعمال الذى اختفى بصورة غامضة ، قام بعمليات النقل من «ميلكو انترناشيونال » فى كاليفورنيا إلى شركة «هالى ترايدنغ » فى تل أبيب - .

منذ بداية صناعتها النووية رفضت إسرائيل الانضمام إلى أى من معاهدة حظر

الانتشـار أو أى من المنظمات الدوليـة التى أقيمت من أجل أن تفـرض القليل من السلامة على السباق الدولى نحو أسلحة الإبادة.

لقد أصبحت الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بالأسلحة الحربية متورطة بطريقة أو بأخـرى فى كل الحـروب الإسـرائيليـة فى أعـوام ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ ، ١٩٨٢ .

فى الحرب الإسرائيلية - العـربية عام ١٩٧٣ ، أمر نيكسون وكيـسنجر استنفاراً نوويًا من الدرجة الثـالثة من الاستـعداد النووى فى كل أنحاء العـالم ، مما وضعنا على مـسـافـة خطوتين من هَرْمَـجَـدُّون . أكـثر من ذلـك ، فى المراحل المبكرة للحـرب، هددت إسرائـيل باستـعـمال الأسـحلة النووية ، وفى الواقع اتخـذت الاستـعدادات لتـفعل ذلك ، من أجل أن تحـمل الولايات المتحـدة على تزويدها «بشحنات ضخمة من الأسلحة التقليدية » كما قال البروفسور نعوم كومسكى وهو يهودى أميركى بارز فى مـعهد ماساتشوستس للتكنولوجيـا . ويقول كومسكى فى كتابه : «المثلث القدرى : الولايات المتحدة ، إسرائيل والفلسطينيون»:

«التهديد كان موجهًا إلى الولايات المتحدة. الإشارات الإسرائيلية ستجعل الأمر واضحًا أمام صانعى القرار فى البيت الأبيض والبنتاغون ووزارة الخارجية ، من أن أى مزيد من التأخير سـيؤدى إلى كارثة فى الشرق الأوسط. . . ويمكن الظن أيضًا أن الصـواريخ الإسرائيلـية ذات الرؤوس النووية والتـى يمكن أن تصل إلى جنوب روسيا ليس الهدف منها ردع الاتحاد السوفياتى ، إنما تنبيه المخططين الأميركيين مرة أخرى ، إلى أن الضغوط على إسرائيل للرضوخ إلى تسوية سياسية يمكن أن تؤدى إلى رد فعل عنيف . . . مع إمكانية حرب نووية عالمية».

ويكتب الدكـتور كومـسكى أيضًا : «إن سـلاح إسرائيل السـرى ضد الولايات المتحـدة بصورة خاصـة ، وضد الغرب بصـورة عامة، هو أنهـا - أى إسرائيل - يمكن أن تتصرف «كـدولة متوحشة » خطيرة على جـيرانها ، غير طبيـعية ، قادرة على إحراق حقول النفط أو حتى البدء بحرب نووية».

إن لجوء إسرائيل إلى استعمال التهديدات المبطنة لإطلاق العنان أمام نهاية العالم كان موضع اعـتراف داخل إسرائيل . باكوف شـاريت كتب فى صحيـفة دافار (٣ نوفمبر ١٩٨٢) إن الخطر الأكبر الذى يواجه إسرائيل اليوم هو النسخة المجمعة عن انتقـام سامسـون من الفلسطينيين . «دعنى أفنى مع الفلسطينـيين» ، وذلك عندما هدم الهيكل أشـلاء. وينقل عن وزير الدفاع السابق بنحاس لافـون قوله : «سوف

نصاب بالجنون» . كذلك ينقل شاريت عن مسئول فى حزب العمل دافيد هاكوهن تحذيره بعد الهجوم الإسرائيلى على مصر فى عام ١٩٦٧ ، من أنه «ليس لدينا شىء نخسره ، ولذلك فإنه من الأفضل أن نتصرف بجنون . إن العالم سيعرف إلى أى حد وصلنا » . إن «عقدة سامسون » المعاصرة تعززت من خلال الشعور «بأن العالم كله ضدنا» بسبب لا سامية لا تزول ، إنها نظرة جنون الارتياب والشك التى تدين فى قسم غير قليل منها إلى نظام الإيمان عند المسيحيين الصهيونيين .

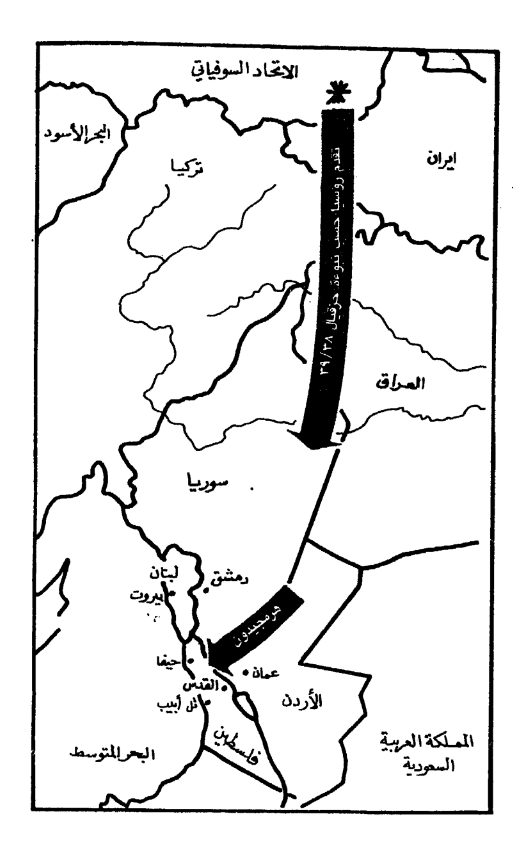
إن المتطرفين بين الإسرائيليين اليهود لا يشكلون بعد الأكثرية والمسيحيون المتطرفون لا يشكلون بعد الأكثرية .

لقد حاولت أن أبين أن الحلف بين هاتين المجموعتين اليمينيتين العسكريتين يوفر لكليهما قفزة كافية فى الواقع وقوة وجبروتًا غير عاطفيين . كذلك يتملك قادة المجموعتين إيمانهم بنظام اعتقادهم ، وبثقتهم فى أنهم يملكون القوة والحق للمساعدة على تنظيم ليس فقط نهاية الزمن بالنسبة إليهم ولكن بالنسبة لكل الكائنات الأخرى .

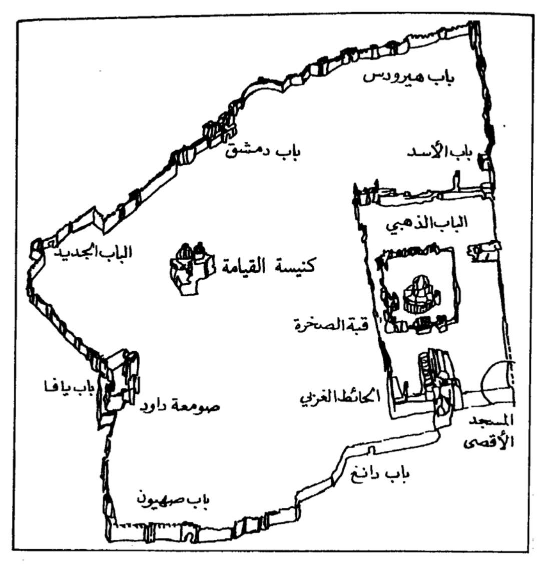
فى عام ١٩٨٥ تأملنا نحن الأميركيين عميقًا فى الذكرى الأربعين لإلقائنا أول قنبلة نووية . بعد أربعة عقود الآن عاش الأميركيون وكل شعوب العالم فى الظل النووى . منذ هيروشيما أنتجنا أكثر مما نحتاج إليه لتدمير الإنسانية كلها .

ومع ذلك فإننا مندفعون بصورة متواصلة لإنتاج المزيد من القنابل ولإنفاق آلاف البليونات من الدولارات فى الفضاء الخارجى «للمحافظة على السلام» . إذا اعتقدنا أن الأسلحة النووية الأميركية تحفظ السلام ، هل يتبع ذلك أن السلام سيكون فى حرز حريز إذا أصبحت كل دول العالم قوى نووية؟

فى كل مواعظ جيرى فولويل وغيره من الإنجيليين التلفزيونيين ، لم أذكر شيئًا مما كانوا يحدثوننا بشأن (الموعظة على الجبل) . ولم أشر إلى تذكيرهم لنا أن المسيح سلك نهجًا غير عسكرى . وأن نهجه لم يكن يستهدف تدمير الممتلكات وإبادة الشعوب من أجل مملكة سياسية مؤقتة على الأرض . إنما جاء (المسيح) من أجل تحقيق تقدم وتطور الحياة . جاء برسالة السلام. علمنا أنه بالسلام نحصل على الحياة ، وأننا نحصل عليها بوفرة.



الاتحاد السوفياتي
البحر الأسود
تركيا
ايران
تقدم روسيا حسب نبوءة حزقيال ٣٨/٣٩
العراق
سوريا
لبنان
دمشق
بيروت
هرمجيدون
حيفا
عمان
القدس
تل أبيب
الأردن
فلسطين
البحر المتوسط
المملكة العربية
السعودية



القدس المدينة القديمة

كانت القدس طوال تاريخها الطويل مدينة عربية على الأغلب . توجد داخل أسوار المدينة القديمة صروح الديانات الثلاثة : الصرح الإسلامى ، قبة الصخرة، الصرح اليهودى، الحائط الغربى، الصرح المسيحى، كنيسة القيامة.

إن المدينة القديمة هى موطن ٢٥ ألف نسمة ينحدرون فى معظمهم من عائلات عاشت فى المدينة قبل المسيح.

فهرس

الصحفة

رقم الإيداع ٩٨/٢٨٩٤
I.S.B.N. 977 - 09- 0432- 5

مطابع الشروق

القاهرة: ٨ شارع سيبويه المصرى – ت: ٤٠٢٣٣٩٩ – فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ – هاتف: ٣١٥٨٥٩ – ٨١٧٢١٣ – فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

قامت فى بريطانيا أولاً، ثم فى الولايات المتحدة،
حركات دينية مسيحية إنجيلية، أهمها واقواها
هى الحركة التدبيرية Dispensationalism .
وهذه الحركة تؤمن بأن الله هو مدبّر كل شئ .
وأن فى الكتاب المقدّس ـ وخاصة فى سفر حزقيال،
وسفر الرؤيا وسفر يوحنا ـ نبوءات واضحة حول الوصايا
التى يحدد الله فيها كيفية تدبير شؤون الكون ونهايتة :
عودة اليهود إلى فلسطين . قيام إسرائيل . هجوم أعداء الله على إسرائيل .
وقوع محرقة هرمجدون النووية . إنتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين.
ظهور المسيح المخلص . مبادرة من بقى من اليهود إلى الإيمان بالمسيح .
انتشار السلام فى مملكة المسيح مدة ألف عام .
وعندما تضم هذه الحركة أكثر من أربعين مليون أمريكى،
وعندما يكون من بين أعضائها الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريغان،
وعندما تسيطر الحركة على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأمريكية
وبصورة خاصة المتلفزة، وعندما يشارك قادتها
كبار المسئولين الأمريكيين فى البيت الأبيض، والبنتاغون، ووزارة الخارجية،
فى صناعة قراراتهم السياسية والعسكرية من الصراع العربى ـ الصهيونى .
عند ذلك، تصبح دراسة هذه الحركة ـ التى تتوسع باستمرار
والتى تستقطب حركات دينية أخرى داخل وخارج الولايات المتحدة ـ ضرورة وواجباً .

328
62

دار الشروق
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
ص. ب : ٣٣ البانوراما ـ تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص. ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)